سورة المعارج

[٩٧١] أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾[١] قال هو للنضر بن الحارث قال: «**اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء**». وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾[٢] قال نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: «**اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك**» الآية وكان عذابه يوم بدر.

[٩٧٢] ك.. وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال نزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾[٣] فقال الناس: على من يقع العذاب فأنزل الله: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾[٤].

* * *

---

[٩٧١] (١) سورة المعارج: الآية (١).
(٢) سورة المعارج: الآية (١).
[٩٧٢] (٣) سورة المعارج: الآية (١).
(٤) سورة المعارج: الآية (٢).

(٧٠) سورة المعارج مكية
وآياتها أربع وأربعون

● **سورة** المعارج من السور المكية ، التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية ، وقد تناولت الحديث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وما فيها من سعادة وشقاوة ، وراحةٍ ونصب ، وعن أحوال المؤمنين والمجرمين ، في دارِ الجزاء والخلود ، والمحورُ الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن كفار مكة وإنكارهم للبعث والنشور ، واستهزاؤهم بدعوة الرسول ﷺ .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالحديث عن طغيان أهل مكة ، وعن تمردهم على طاعة الرسول ﷺ ، واستهزائهم بالإنذار والعذاب الذي خُوفوا به ، وذكرت مثلاً لطغيانهم بما طلبه بعض صناديدهم وهو « النضر بن الحارث » حين دعا أن يُنزل الله عليه وعلى قومه العذاب العاجل ، ليستمتعوا به في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك مكابرةً في الجحود والعناد ﴿سأل سائلٌ بعذابٍ واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذي المعارج ..﴾ الآيات

● **ثم تناولت** الحديث عن المجرمين في ذلك اليوم الفظيع الذي تتفطر فيه السموات ، وتتطاير فيه الجبال فتصير كالصوف الملوَّن ألواناً غريبة ﴿يوم تكون السماءُ كالمُهْل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميمٌ حميماً . يبصَّرونهم يودُّ المجرم لو يفتدي من عذابِ يومئذٍ ببنيه .

وصاحبته وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ .

● **ثم استطردت** السورة إلى ذكر طبيعة الإنسان ، فإنه يجزع عند الشدة ، ويبطر عند النعمة ، فيمنع حقَّ الفقير والمسكين ﴿إنَّ الإنسان خُلق هلوعاً . إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً . وإذا مسَّه الخير منوعاً﴾ .

● **ثم تحدثت** عن المؤمنين وما اتصفوا به من جلائل الصفات ، وفضائل الأخلاق ، وبينت ما أعدَّ الله لهم من عظيم الأجر في جنات الخلد والنعيم ﴿إلاَّ المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ الآيات .

● **ثم تناولت** الكفرة المستهزئين بالرسول ، الطامعين في دخول جنات النعيم ﴿فما للذين كفروا قِبَلَكَ مهطعين . عن اليمين وعن الشمال عزين . أيطمع كل امرئٍ منهم أن يُدخل جنة نعيم . كلاَّ إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ .

● **وختمت السورة** الكريمة بالقسم الجليل برب العالمين على أن البعث والجزاء حقٌ لا ريب فيه ، وعلى أن الله تعالى قادر على أن يخلق خيراً منهم « فلا أُقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدِّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين .. إلى قوله خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون » .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المعارج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **سأل سائل بعذاب واقع،**[3] قرئ بتسكين الألف، ومعناه سَالَ وادٍ بعذابٍ واقع، أي جرى وادٍ بعذاب واجب. والقراءة العامة بالهمز،[4] من السؤال. وتأويله على سؤال القوم العذابَ،[5] بقولهم: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[6] وقولهم: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا.[7] وقيل: هو النَّضْرُ بنُ الحارثِ سأل ذلك فقُتل يوم بدر بعد ما أُسِر،[8] هكذا قال بعض أهل التأويل.[9] ولكنْ عندنا أنَّ هذا وإن كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا لينزل به العذابُ في التحقيق، وإنما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي حملهم على الاستبعاد والإنكار

---

[1] ر – سورة المعارج؛ ث + وهي أربع وأربعون آيات مكية.

[2] ر: وقوله تعالى.

[3] جميع النسخ + للكافرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

[4] ر م: بالهمزة. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿سَالَ سائل﴾ ساكنة الألف غير مهموزة، وقرأ الباقون ﴿سأل﴾ مفتوحة الألف مهموزة. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩١.

[5] م – العذاب.

[6] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٢).

[7] ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ (سورة ص، ٣٨/١٦).

[8] ر م: بعد أسر.

[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٣٠٦.

هو أنه كان عند أهل مكة أنه لو كان فيهم نبيّ لكانوا هم أحقَّ بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين بُسِطَتْ لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم تُبْسَط[1] له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذٌ؛ فيظنون بهذا أنهم أقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يستقيم في العقل أن يَصِلَ الولي إلى عدوه ويحسنَ إليه ويدعَ صلة وليه ويجفوَه.[2] فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به، فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والإنكار[3] للعذاب لا أن كانوا مقرين به ثم استعجلوه. وذُكر أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم انصر أَبَرَّنا قَسَمًا[4] وأوصلَنَا رَحِمًا وأقرانا للضيْفِ.[5] فكان يدعو بهذا لما عنده أنه أشرف حالا وأعلى منزلة عند الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم[6] وأتباعه، ومن كان هذا شأنَه فهو أولى أن يُنصَر من عنده. قال الله تعالى:[7] وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[8] ولو لم يكن عندهم أنهم أقربُ منزلة وأحقُّ أن يكونوا أولياءَ وإلا لم يكونوا [٤١٨ظ] / يجترءون أن يسألوا هذا.[9] فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي أورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا أنهم أحق[10] بالرسالة. وظنهم هذا متولد من ظن إبليس؛[11] وذلك أن إبليس، قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[12] فظن أن أمر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حدِّ الحكمة فصار إلى ما صار إليه من الخزي[13] واللعن.

[1] جميع النسخ: لم يبسط.
[2] ر ث م: ويخوفه.
[3] ر ث م: والإمكان.
[4] م: فسما.
[5] روي أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي فأهلكه (*تفسير الكشاف*، ٢/١٥٠).
[6] ر ن م – من محمد صلى الله عليه وسلم.
[7] ر م – وأتباعه ومن كان هذا شأنه فهو أولى أن ينصر من عنده قال الله تعالى.
[8] سورة الأنفال، ٨/٣٢.
[9] ر ث م: بهذا.
[10] ث م: حق.
[11] ر ث م: وظنهم هذا متولد من إبليس.
[12] سورة الأعراف، ٧/١٢؛ وسورة ص، ٣٨/٧٦.
[13] ر: من الجزي.

فكذلك هؤلاء لما رأوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا ظنوا أنهم أقرب إلى الله تعالى إذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب.

ثم سعتهم هي التي حملتهم[١] على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترْكِ الخضوع وإلا لو أُعْطُوا النَّصَفَةَ من أنفسهم لكان يجب أن يكونوا هم أطوعَ خلق الله تعالى، لأن الواجب على من كَثُرتْ عليه النِعم من آخَرَ أن يكون هو أشكر للنِعم وأطوعَ له فيما يدعوه إليه مِنَ الذي قلَّتْ نِعَمُهُ عليه. فإذا كانوا مقِرِّين أن نِعَمَ الله عليهم[٢] أكثرُ وإحسانَه إليهم أوفرُ أوْجَبَ ما ذَكَرُوا أن يكونوا هم أَلْزَمَ لطاعته وآخَذَ لما يأمر به. وكذلك إبليس اللعين إذا رأى لنفسه[٣] فضلا -وإنما استوجب ذلك[٤] بما أنعم الله عز وجل عليه- كان الحق عليه[٥] أن يتسارع إلى طاعته وينقاد لما أُمر به، لا أن يُظْهِرَ الخلافَ من نفسه وتَرْكَ الائتمار بأمره.

وقوله عز وجل: **بعذاب واقع**، أي هو[٦] واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى، أو واقع بمعنى سيقع، كما يقال: قاتل[٧] أي سيقتل.[٨]

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **للكافرين ليس له دافع**، فإن كان قوله: **للكافرين**، صلة قوله: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[٩] فحقه أن يقول: "على الكافرين"، ولكن اللام[١٠] من حروف الإضافة والخفض، وحروف الإضافة مما يُسْتَبْدَلُ[١١] بعضها ببعض، فجَعَلَ اللامَ بدلا عن عَلَى. وإن كان قوله: **للكافرين**، صِلَةَ قوله: **ليس**[١٢] **له دافع**، فمعناه أن ليس على الكافرين دافع لعذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة،

---

[١] جميع النسخ: سفههم هو الذي حملهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٢] ث: عليكم.
[٣] ث م: نفسه.
[٤] ن – ذلك.
[٥] ث – عليه.
[٦] ن: هم.
[٧] ر م: قائل؛ ن: غير منقوطة؛ ث: قابل.
[٨] ر: سيقيل؛ ن ث: غير منقوطة؛ م: سيقبل.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ر ث م: اللازم.
[١١] ن: يستدل.
[١٢] ث م – ليس.

فأبدلت اللام مكانَ عَنْ، لأنهما جميعا من حروف الخفض. وقد يُدفع العذاب عن المسلمين من وجوه: إما برحمة الله تعالى، أو بشفاعة الرُّسل والأخيارِ، وإما بحسنات[1] سبقت منهم توجب[2] تكفير سيئاتهم. وأما[3] الكفار فلا تنالهم[4] رحمته ولا شفاعة أحد من الخلائق، وليست لهم حسنات تكفّر[5] سيئاتهم، فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب. وجائز أن يكون معناه أن الذي[6] ظنوا أنه ينصرهم عند النوائب وحلول الشدائد لا يقوم بنصرهم ولا يشفع لهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الملائكة على رجاء أن يشفعوا لهم ويُقرّبوا إلى الله تعالى.

﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **من الله ذي المعارج**، أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج،[7] كقوله عز وجل: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ،[8] أي الذي له العرش. واختلفوا في المعارج، قال بعضهم: هو المصَاعِد وهي السماوات، وسماهن مصاعدَ لأن بعضها أصعد من بعض وأرفعُ. ولو قال: ذي المَسَافِل، كان مستقيما واقتضى ما يقتضي قوله **ذي المعارج**، لأن بعضها إذا كان أصعدَ والذي تحتها أهبط[9] وأسفلُ. ولكن ذَكَرَ[10] المصاعد لأن هذا أعلى في الوصف. ثم في ذكر هذا ذكر[11] عِظَمِ[12] نعمه وإحسانه إلى خلقه حيث خلق السماوات مَسْكَنا لأهلها وبسط الأرض مسكنا لأهلها، حتى إذا عرفوا هذا عرفوا[13] أن له أن يُفَضِّل بعضا على بعض وله أن يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختصَّ[14] بها.

---

[1] ر ث م: الحسنات.
[2] جميع النسخ: فوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[3] ن: فأما.
[4] ن: فلا ينالهم.
[5] جميع النسخ: يكفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: جميع النسخ: أن الذين. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن – أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج.
[8] سورة البروج، ١٥/٨٥.
[9] م: هبط.
[10] م – ذكر.
[11] جميع النسخ – ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: أعظم.
[13] م – هذا عرفوا.
[14] م: ويخص.

وذكّرهم أيضا حكمته وعلمه[١] وقدرته وسلطانَه،[٢] حيث وضع سماء على سماء وخَلَقَهُنَّ طِبَاقًا من غير عَمَدٍ تحتها تمسكها[٣] أو علائقَ من فوقها تربطها.[٤] فتبين أنه يمسكها بحكمته وقدرته وسلطانه. فيكون في ذكر كل وجه فيما[٥] ذكرنا إزالة الشبهة التي اعترضت لهم في أمر البعث والرسالة وإيضاح بأن من قدر على ما ذكرنا لقادر على الإعادة بعد الإفناء. وقيل: **المعارج**، المعالي أي الذي له العلو والرفعة، كما قلنا في قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ،[٦] أي لا أحد يستحق الحمد في الحقيقة، وما حُمِدَ أحدٌ إلا وذلك في الحقيقة لله تعالى، لأنه به استفاده. فعلى ذلك قولنا: له العلو والرفعة، أي ليس أحد يستفيد العلو والكرامة إلا وحقيقة ذلك لله تعالى لأنه استفاده به. والثاني أي هو الموصوف بالعلو والجلال عما يقع عليه أوهام الخلق.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **تعرج الملائكة والروح إليه**، يحتمل أن يكون معنى قوله: **تعرج**، ليس عن هبوط تصْعَد وتعرج،[٧] لكن أنشأهم كذلك معروجين، كقوله: وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ،[٨] أي أنشأهم كذلك، وقولِه عز وجل: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا،[٩] ليست أنها كانت[١٠] في موضع مُنْحَطٍّ فرفَعها، لكنه كذلك خلقها مرفوعةً. فعلى ذلك قوله عز وجل **تعرج الملائكة**، أي أنشأهم كذلك ليستعملهم[١١] **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**. ووجه آخر -وهو الأشبه بالآية- وهو ما قالوا: إن الملائكة تعرج إليه أي إلى الموضع الذي عنه أرسلهم إلى أنواع الأمور في يوم لو قُدِّر ذلك العروج[١٢] بعروج البشر وسيْرهم لكان مقداره[١٣] خمسين ألف سنة.

---

[١] ر م: وعلم.
[٢] ر ن م + أنه.
[٣] جميع النسخ: يمسكها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٤] جميع النسخ: يربطها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: فما؛ ن: مما.
[٦] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ١/١.
[٧] جميع النسخ: يصعد ويعرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[٨] ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[٩] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٧/٥٥).
[١٠] جميع النسخ: ليس أنه كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: استعلمهم.
[١٢] ن: المعروج.
[١٣] ر ث م: مقدار.

[٨٤٣و] وقوله عز وجل: **في يوم كان مقداره خمسين / ألف سنة**، وقال في موضع آخر: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[١] فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة وصعودهم.[٢] وهو أن البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير ألفُ عام، والبعضُ منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرةَ خمسين ألف سنة. فيكون في هذا إبانةُ أَنْ ليس أهل سماء أَحَقَّ أن يدور عليهم تدبير أهل الأرض من أهل سماء، بل ينزل أهل سماء إلى الأرض مرة لما يراد من التدبير[٣] وينزل أهل سماء أخرى بتدبير آخر. ثم [من][٤] أيّ سماء يُرْسَل فهو يَصعد إلى تلك السماء بيوم واحد، إن أُرسل من السماء السابعة أو السادسة أو الأولى فهو يصعد إليها في ذلك اليوم، ويكون[٥] في هذا تبيين قوة بعض الملائكة على بعض أن فيهم مَنْ يسير مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد، وفيهم من[٦] يسير مسيرة ألْف سنة. ومن قدر على أن يخلق في خلق من خلائقه من القوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل أن يعجزه شيء؛ فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما به هُوِّلُوا من القيامة والبعث. وجائز أن يكون قوله: **في يوم كان مقداره خمسينَ ألْفَ سنةٍ**، راجعا إلى يوم القيامة، فذكر في موضع أن مقداره ألفَ سَنَةٍ[٧] وذكر هاهنا أن مقداره خمسين ألفَ سنةٍ.

فالأصل أن ذلك اليوم ليس بذي حد ولا له غاية،[٨] ينتهي إليه، فما يخبر من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع.[٩] فبأي شيء يَعظُم ذكره في القلوب يذكره، فمرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل: ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ،[١٠] ومرة قال: لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا،[١١] ومرة قال: **خمسين ألف سنة**، ومرة قال: أَلْفَ سَنَةٍ، إذ هذه الأشياء مما يعظم في القلوب،

---

[١] ﴿يُدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنةٍ مما تعدون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

[٢] ر ث م: فصعودهم؛ ن + فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة.

[٣] ر ث م: تدبير.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.

[٥] ر م: فيكون.

[٦] ر م – من.

[٧] سورة السجدة، ٥/٣٢.

[٨] ر ث م + نهاية.

[٩] ن: والتقريع.

[١٠] سورة ق، ٣٤/٥٠.

[١١] سورة النبأ، ٢٣/٧٨.

وكذلك الألْف هي عظيمة في القلوب. فإذا كانت هذه الأشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الواحد من الجملة أو ذكر الأشياء يقتضي معنى واحدا. ومنهم من يصرف الألف إلى تقدير عروج الخلائق إلى السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله: **خمسين ألفَ سنةٍ**، إلى تقدير المُقام للحساب[1] قبل أن يدخلوا النار. وجائز أن يكون تأويله على ما ذكره بعض أهل التفسير،[2] وهو أن الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ إلى الخلق فتكلفوا[3] أن يَفْرَغوا من حسابهم لم[4] يفرغوا منه إلا[5] في مقدار خمسين ألف سنة. لكن الله عز وجل بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في أدنى وقت حتى يصير أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[6] على ما جاء في الأخبار، وذلك قوله: وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.[7]

فإن قيل في قوله عز وجل: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[8] أن كيف قدّر ذلك بصعودنا ونحن لم نُمَكَّنْ[9] من الصعود ولم نُنْشَأْ[10] على ما في طبعنا إنشاءَ الصعود حتى ننظر[11] أنه ألف سنة أو أقل[12] أو أكثرُ؟

وجوابه أن يقال: إن تأويله -والله أعلم- أنه لو بُسِط ما بين السماء والأرض وصار بحيث يمكن السير عليه لم يُقطع ذلك المسير إذا احتجنا إلى قَطْعه إلا بألف سنة مما تعدون. وجائز أن يكون تأويله أن لو جَعَل لنا[13] إلى السماء بابا وفَتَحَ وظَلَلْنا نعرج إليها لم نتوصل[14] إليها إلا في ألف عام.

---

[1] ر: لا حساب.
[2] ر: التأويل.
[3] ن + إلى.
[4] ر م: أن.
[5] ث: إلى.
[6] ر م - في النار.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٠٢؛ وسورة النور، ٢٤/٣٩.
[8] سورة السجدة، ٣٢/٥.
[9] ر ث م: ولم يمكن.
[10] جميع النسخ: ولم ينشأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[11] ر ث: ينصر؛ ن ينظر؛ م: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] م: و أقل.
[13] ر ث م - لنا.
[14] جميع النسخ: لم يتوصل. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فاصبر صبرا جميلا**، قيل: الصبر الجميل هو صبر لا جزَع فيه، والصبر الذي لا جزع فيه هو أن يصبر صبرا لا يُرى عليه أثر الصبر بأن لا يَظهر في وجهه كراهة[١] وعبوسة؛[٢] وهو أن ينظر إلى من أذاه بعين الرضا[٣] والشفَقة، ليس بعين السَّخَط والكراهة. أو الصبر الجميل أن لا يكافئهم[٤] ولا يَدَعَ شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفَقَته ورحمته وحزنُه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه[٥] تَهلِك[٦] فيها؛ كما قال الله عز وجل: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٧] وقال: فلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ.[٨] فالرسل عليهم السلام كانوا إذا أُوذوا لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا[٩] بل كانوا يحزنون لمكان[١٠] مَن يؤذيهم[١١] خوفا من أن يحل بهم[١٢] الهلاك والبوار بإيذائهم رسل الله تعالى، وإشفاقُهم على قومهم هو الذي كان يُحزِنهم ليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾[٦] ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا**، أي بعيدا[١٣] أن يكون، فيكون على النفي[١٤] والإنكار. وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول[١٥] الرجل في المناظرة لصاحبه:

---

[١] ر م: كراهته.
[٢] ر م: عبوسة.
[٣] ث م: الرضاء.
[٤] ر ن ث: أن لا يكافهم.
[٥] ن + تبلغ.
[٦] ر ث م: يهلك.
[٧] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٨] ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).
[٩] م + لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا.
[١٠] جميع النسخ: بمكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[١١] ر ث م: من ذنوبهم.
[١٢] ر ث م: لهم.
[١٣] م: أي بعيد.
[١٤] ر: على الشقي.
[١٥] ر ث م: يقول.

أبعدتَ في القول، إذا أجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة، فيريد بقوله: "أبعدت" النفيَ، أي ليس كما تقول.[١] وقال الله عز وجل: أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،[٢] ومعناه على نفي النداء أي لا ينادَون. أو يكون[٣] قوله: بعيدا أي مستبعَدا[٤] كونه؛ فبَعُد عن أوهامهم حتى أنكروه. **ونراه قريبا**، أي قريبا كونه، إن كان معنى قوله: **بعيدا**،[٥] أي بعيدا كونه، **ونراه**[٦] **قريبا**، أي كائنا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم. وكل ما هو كائن فهو قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[٨] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[٩]

/ وقوله عز وجل: **يوم تكون السماء كالمهل**، فكأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٤٣ظ] عن الوقت الذي وعِدوا أن يقع بهم العذاب: متى وقته؟ فنزلت هذه الآية **يوم تكون السماء كالمهل**. وقيل: المهل، عَكَر الزيت وهو دُرْدِيُه.[٧] فجائز أن يكون هذا على التحقيق، وهو أنها[٨] تتغير[٩] في ذلك اليوم من لون إلى لون فتحمرّ[١٠] مرة وتصفر[١١] أخرى لشدة هول ذلك اليوم فتكون[١٢] كدُرْديّ الزيتِ لِينًا[١٣] ولونا متغيرا من حال إلى حال. وجائز أن لا يحُل بها التغير ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع تضعف[١٤] بصره حتى يرى[١٥] السماء على خلاف[١٦] اللون الذي هي عليه، وهو كما يُرَى[١٧] المرء إذا حل به الضعف والمرض في الشاهد

---

[١] ن: كما يقول.
[٢] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[٣] ر ث م: أو أن يكون.
[٤] ث: بعيدا.
[٥] ث – كونه فبعد عن أوهامهم حتى أنكروه ونراه قريبا أي قريبا كونه إن كان معنى قوله بعيدا.
[٦] ر م: أو نراه.
[٧] ر م: دردية.
[٨] ر م: أنهما.
[٩] جميع النسخ: يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[١٠] ر ث م: فيتحمر.
[١١] جميع النسخ: ويصفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م: لنا.
[١٤] ر ث م: يضعف؛ ن: بضعف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ر م: ترى.
[١٦] ن: على حلاب.
[١٧] ر م: ترى.

وجد[1] طعم الأشياء على خلاف ما هي عليها، فيكون في ذكر هذا تهويل وتفزيعٌ. إن هول ذلك اليوم شديد لا تقوم[2] لهوله[3] السماوات والأرَضون مع صلابتها وغلظتها[4] في نفسها[5] فكيف يقوم لهوله[6] الآدمي[7] الموصوف بالضعف[8] واللين؟[9] وجائز على ما ذكرنا أنه يصير[10] شبيها[11] بالمهل للينها ورخاوتها[12] وهو أنها[13] تلين وترخو[14] من هول ذلك اليوم حتى تصير[15] السماء كالمهل والجبال كالعهن. فيكون في هذا أيضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويُقبِلوا على عبادة الله ويتسارعون[16] إلى طاعته. وتأويل العهن[17] ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا في قوله عز وجل: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[18]

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل **ولا يسأل حميم حميما**، قرئ برفع الياء ونصبها،[19] فمن يرفع[20] الياء فتأويله أي لا يُطلَب حميم من حميم ولا يؤخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا، لأن ذلك اليوم هو يوم العدل،

---

[1] ر: ووجه؛ ث م: ووجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[2] ن: لا يقوم.
[3] جميع النسخ: لهولها.
[4] ر ث م: وغلظها.
[5] ث: في أنفسها.
[6] جميع النسخ: لهولها.
[7] ن: آدمي.
[8] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٤/٢٨).
[9] م: واللبن.
[10] م: بصير.
[11] ن: سببها.
[12] ر ن م: ورخوتها.
[13] ر م: وأنها.
[14] ن: ويرخو؛ ث: وترخوا.
[15] جميع النسخ: يصير.
[16] ر ن: ويتسارعوا.
[17] ن – العهن.
[18] سورة القارعة، ١٠١/٥.
[19] قرأ أبو جعفر وابن كثير في رواية ابن أبي بزة والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم ﴿وَلَا يُسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ بضم الياء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦).
[20] م: رفع.

وليس من العدل أن يؤخذ الغير بذنب الغير. ومن قرأه بالنصب فتأويله ألَّا يسأل[١] حميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوْلِه النصرة والشفاعة، أو لا يسأل[٢] عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[١١] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[١٢] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[١٣] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[١٤] ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾[١٥] ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يبصرونهم**، يحتمل أن يعرَّف بعضهم ببعض:[٣] إن هذا أبوك وابنك وحميمك، إذ لا يعرفه[٤] إلا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع. ثم إذا عرفوا لا يسألونهم بل يفر بعضهم عن بعض، كما قال تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٥] الآية. أو يكون معناه أن يبصَّروا ما سبق منهم من الذنوب والأجرام فيعرفونها ويصير لهم حاضرةً. وقوله عز وجل: **يود المجرم لو يفتدي من عذاب يَوْمِئِذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا**، ففي هذا أنه[٦] يستقبلهم في ذلك هول عظيم[٧] وفزع لم يكن لهم بمثله[٨] عهد في الدنيا ولا كان خطرَ ببالهم ذلك، لأن المرء لا يبلغ به الهولُ في الدنيا مبلغا يود أن يفتدي[٩] ببنيه وصاحبته[١٠] وأخيه وأقربائه وجميع من في الأرض. فيكون فيه إخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الإنابة إلى الله تعالى والانتهاء[١١] عما هم عليه.

---

[١] ن: أن لا يسأل.

[٢] م: و لا يسأل.

[٣] جميع النسخ: عن بعض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.

[٤] ث: أن لا يعرفه.

[٥] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/ ٣٤-٣٧).

[٦] ر ث م: آية.

[٧] ر ن م - عظيم.

[٨] ر ث م: مثله.

[٩] جميع النسخ + به. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ن: وصاحبه.

[١١] ر م: وانتهاء.

ثم بدأ بذكر البنين والأقربين وأنهاه[1] بالأبعدين. وحق هذا أن يُبدأ بالأبعدين ثم يختم بذكر الأقربين،[2] لأن المرء قد تسخو[3] نفسُه بفداء الأبعدين وتَضِنُّ[4] ببذل[5] الأقربين فِداء. فإذا سخت[6] أنفسهم في ذلك اليوم بفداء البنين والأقربين فَلَأَنْ تسخو[7] بفداء الأبعدين أحق. وإذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع أن يبدأ بذكر الأباعد ويختم[8] بذكر الأقارب، فكيف ابتدأ[9] بذكر الأقربين؟

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه إنما يُتَوصَّل إلى فداء أهل الأرض إذا كان له عليهم مُلك وكانوا بأجمعهم له، وإذا كانوا جميعا له ملكا كانت شَفَقته على ملكه وأولاده واحدةً أو أكثر. فكما يَضِنُّ[10] ببذل أولاده -وإن يكونوا عنه فِداء- فكذلك يضن[11] بالأباعد إذا كانوا جميعا ملكا له، فلذلك استقام أن يبدأ بذكر الأقربين قبل[12] الأبعدين إذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع. ***والله أعلم***.

و[الثاني] جائز أن يكون ذكر الأقربين وذكرُ أهل الأرض ليس على جهة[13] الأَولى، ولكنه ذَكَر الآحاد أولا ثم ذكر الجماعة[14] ثم ذكر جماعة الجماعة[15] ليعلموا أن لا ينفعُهم الفداء في ذلك اليوم وأن الذين وَدّوا الفداء ليتخلصوا من عذاب الله تعالى لا يشتدّ عليه ما فَدَوا وإن كان[16] ذلك ملءَ الأرض. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: وأنها.

[2] جميع النسخ: بالأبعدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.

[3] ر ث م: قد يسخو؛ ن: قد سخوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ر م: ويظن؛ ن ث: ويضن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.

[5] ن ث: ببدل.

[6] ن: نسخت.

[7] ر ث م: فلأن يسخو؛ ن: فلأن يسخوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م - بذكر الأباعد ويختم.

[9] جميع النسخ: ابتداء. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر ث م: فكما يظن.

[11] ر م: يظن.

[12] ر: قيل.

[13] ر: جبهة.

[14] ث - ثم ذكر الجماعة.

[15] ر م - ثم ذكر جماعة الجماعة.

[16] ن: وإن كانوا.

وقوله عز وجل **ثم ينجيه، كلا**، رد وتنبيه أن لا ينجيه ذلك اليومَ. وقوله عز وجل: **إنها لظى نزَّاعَةً للشوى**،[١] فاللظى اسم من أسماء النار، والشوى قيل:[٢] مكارم خَلْقه، وقيل: هي القوائم والأطراف، وقيل: هي الجلود.[٣] والأصل أن نار جهنم تعمل[٤] على أصحابها[٥] كل قبيح وكل مُستشنَع مستفظع، فإن شئت صرفت ذلك إلى الأرجل، وإن شئت إلى الجلود،[٦] وإن شئت إلى مكارم خَلْقِه،[٧] لأن التقبيح في كل ذلك موجود. وهو كقوله عز وجل: لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ،[٨] فقيل في تأويل المطهرة [من][٩] وجوه. أحدها[١٠] أنهن مطهرات [من الأخلاق الذميمة، وقيل: مطهرات من الأنجاس، وقيل: مطهرات][١١] من العيوب والآفات. وجملته أنه ما من شيء يُستحسن وُيستقبح[١٢] من خُلق أو نَفْس أو معاملة إلا وهن مطهَّرات[١٣] من ذلك، وما من شيء يستشنع[١٤] ويستفظع إلا وذلك في أهل النار موجود.

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **تدعو من أدبر وتولى**، فجائز أن يكون الدعاء منها على التحقيق، / وهو أن يجعل الله تعالى [لها][١٥] باللطف لسانا تدعو[١٦] به، أو يخلق فيها الكلام من غير لسان فتقول:[١٧] إليّ إليّ.[١٨] [٨٤٤و]

---

[١] ر ث م + الآية.

[٢] ر م + هي.

[٣] جميع النسخ: الخلود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.

[٤] جميع النسخ: يعمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر ث م + قبيح.

[٦] ر ن م: الخلود.

[٧] جميع النسخ + الأخلاق. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] سورة البقرة، ٢٥/٢.

[٩] الزيادة من المرجع السابق.

[١٠] ر: إحداها.

[١١] الزيادة من المرجع السابق.

[١٢] ث م: ليستحسن ليستقبح.

[١٣] ر: مطهرة.

[١٤] ر ن: يستبشع؛ م: يستشفع.

[١٥] الزيادة من المرجع السابق.

[١٦] جميع النسخ: يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٧] جميع النسخ: فيقول. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٨] ر م - إلي.

وجائز أن يكون هذا على التمثيل، وهو أنها لا تَدَعُ أحدا[1] يفرَ عنها ويتخلص من عذابها فكأنها دعته إلى نفسها. ثم قوله عز وجل: **من أدبر وتولى**، جائز أن يكون قوله: **من أدبر**، أي من كان أدبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الإجابة لرسله، كقوله تعالى: تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا،[2] أي أَعْرَضَ؛ أو أدبر عن توحيده وتولى عن النظر في حججه[3] وفيما جاء من عنده. ويحتمل قوله: **من أدبر**، أي **أدبر** عن طاعة الله عز وجل، **وتولى**، أي تولى الشيطان، من الولاية [لا عن الإعراض].[4] وجائز أن يكون أدبر، في جهنم فيُدبر[5] رجاءَ أن يفر عنها، **وتولى**، كذلك، فلا تدعه[6] النار ليفر بل تغشاه[7] عن الإعراض، كقوله عز وجل: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ.[8] ولكن هذا قريب من الأول لأن من تولى عن ذكر الله فقد تولى الشيطان.[9]

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وجمع فأوعى**، يخبر بقوله: **وجمع**، على ما جُبِل عليه[10] من شدة الحرص على الدنيا فيكون الجمع كناية عن الحرص فبلغ به هذا الحرص مبلغا أنساه ذكر الآخرة. وقوله عز وجل:[11] **فأوعى**، فيه بيان صفته فيما عليه من النهاية في البخل، فيكون الإيعاء كناية عن البخل حتى لم يؤد حق الله تعالى في ماله؛ أو لم يقم بشكر [ما أنعم][12] الله تعالى [عليه][13] من النعم؛ أو بلغ به البخل[14] مبلغا منعه ذلك عن قبول[15] حق الله تعالى في ماله.

---

[1] ر: أحد.

[2] ﴿فأَعْرِضْ عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ (سورة النجم، ٢٩/٥٣).

[3] جميع النسخ: في حجته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.

[4] الزيادة من المرجع السابق.

[5] ر ث م: فتدبر.

[6] ر م: يدعه ويتولى كذلك يدعه؛ ن ث: ويتولى كذلك فلا يدعه.

[7] جميع النسخ: بل يغشاه.

[8] سورة النحل، ١٠٠/١٦.

[9] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).

[10] ن: عليها.

[11] م + وجمع.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] الزيادة من المرجع السابق.

[14] ث: البخل به.

[15] ر: عن قول.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن الإنسان خلق هلوعا**، اختلف في تأويل الهلوع من وجوه، كل يرجع إلى معنى واحد. فقال[١] بعضهم: الطامع في اللذات الطالب لها، والكاره للأثقال الهارب منها. وقيل: **خلق هلوعا**، أي على حب ما يتلذذ به والقيامِ[٢] بطلبه[٣] وبُغض ما يتألم به والهربِ عنه. ومنهم من يقول: الهلوع الضجور، وهذا[٤] موافق للتأويل الأول، لأن الذي يحمله على الضَجَر هو ما يصيبه[٥] من الألم فيضجر لذلك أو يضجر عن حق الله تعالى. ومنهم من يقول: تفسيره[٦] ما ذكر[٧] على إثره من قوله:

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾[٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٢١]

إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا، وهذا أيضا مثل الأول لأن الذي حمله على المنع شدة حبه إياه، والذي حمله على الجزع ما مسه من الضرِ والشر، فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر[٨] ومبغضة له. وقال الله عز وجل: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا،[٩] وقال في موضع آخر: وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا،[١٠] أي لا تسخو [نفسه][١١] على إخراج ما في يديه. ففي هذه الآيات إنباء أن الإنسان خلق على هذه الأحوال، قتورا عجولا هلوعا. فلما أنشئ على حب ما ينفعه وبغضِ[١٢] ما يكرهه[١٣] ويتألم به عُلم أنه[١٤] خلق على هذه الأحوال[١٥] للمحنة.

---

[١] ن: قال.
[٢] ر ن م: القيام.
[٣] ر م: يطلبه.
[٤] ر ث م: وهو.
[٥] ن: هو ما يظنه.
[٦] جميع النسخ: تفسير ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[٧] ر ث م + ذلك.
[٨] ن – والشر فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر.
[٩] سورة الإسراء، ١١/١٧.
[١٠] سورة الإسراء، ١٠٠/١٧.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ث: وبعض.
[١٣] ث: يكرمه.
[١٤] جميع النسخ: أنها.
[١٥] رث م – الأحوال.

فمن تذكّر فيما وعد الله تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما أمره به حمله[١] ذلك على التسارع في الخيرات وتَرْك[٢] ما يحبه في الدنيا لينال الموعود في الآخرة، إذ هو في الأصل أُنشئ محبا لما يتلذذ [به].[٣] ومن تذكر[٤] ما أُوعد من العذاب بما يعطى نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وبما يمتع من حقوق الله تعالى الواجبة[٥] في ماله سَهُل عليه ترك الشهوات، وخف عليه بذل ما طُلب منه لئلا يَحُلَّ به ما يُنغّص[٦] بعيشه من الآلام والمكاره.

والأصل أن الإنسان وإن كان مطبوعا على هذه الأخلاق الذميمة من البخل والإقتار والعجلة وجُبِل عليها فقد مَلّك رياضة نفسه[٧] ويمكنه أن يستخرجها من تلك الطبائع[٨] الذميمة إلى أضدادها من الأخلاق الحميدة والشمائل المرضية، فلزمه القيام بذلك. ألا ترى أنه يتهيأ له أن يقوم برياضة[٩] الدواب والسباع فيُخرجَها بالرياضة عن طباعها[١٠] التي أنشئت عليها من النفار[١١] عن الخلق والامتناع عن الانقياد، حتى تصير[١٢] منقادة للخلق ذليلة لهم فيُتهيأ لهم[١٣] الاستمتاع والتواصل إلى منافعها، فكذلك الإنسان إذا قام برياضة نفسه أمكنه أن يستخرجها عن خلقتها فتصير[١٤] مطيعة له فيَخِفّ عليها بذْلُ ما يُطلب منها ويَسهُل عليها تحمّل ما كان يشتدّ عليها.

ثم الأصل أن المرء وإن جُبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتألم ويتوجع فقد جبل أيضا على ترك ما[١٥] فيه من اللذة لِلذّة[١٦] هي أعظم منها وعلى التصبر لاحتمال الأذى والمكروه

---

[١] ن: جملة.
[٢] ر م – وترك.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[٤] ن: ومن يذكر.
[٥] ن: الواجه.
[٦] ر ن م: يبغض.
[٧] جميع النسخ: رياضة نفسها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: الطباع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: رياضة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: عن طاعتها.
[١١] ر: من النفاد.
[١٢] ن: حتى يصير.
[١٣] ث م – فيتهيأ لهم.
[١٤] ن: فيصير.
[١٥] ر ن ث م + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر ن م: اللذة.

ليتخلص عما هو أعظم من ذلك المكروه والألم.[١] وإذا كان كذلك فهو إذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة وأقربَ اللذتَين بأبعدهما فرأى أن[٢] الآخرة أعظم وأبقى خَفّ عليه ترك أقربهما لأبعدهما وأقلهما لأكثرهما.[٣] وإذا قابل مكروهَ الدنيا بمكروه الآخرة وعذابها[٤] بعذاب الآخرة فرأى عذاب الآخرة أشدَّ وأبقى خَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. فهذا السبب الذي ذكرنا مما يتوصل به إلى رياضة النفس. والذي يدل على أن المرء قد يخف عليه عمل الشدائد وترك اللذات الحاضرة لما يَأْمُل من اللذات الآجلة، أنك ترى المرء قد يَهُون عليه الضرب في الأرض وقطعُ الأسفار وتحمل المُؤَن / وركوب الأهوال والفظائع والانقطاعُ عن اللذات، كالذي [٨٤٤ظ] يخرج للتجارة من بلده إلى بلاد نائية[٥] لما يرجو من النفع والربح في ذلك فيتحمل[٦] ما يمسه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل اللذات التي هي أعظم من نيل اللذات التي[٧] تركها. فعلى ذلك إذا تفكر في نعيم الآخرة وتفكر في عقابها سهل[٨] عليه ترك اللذات الحاضرة وخَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. ووجه آخر أنه لمّا جُبل على حب اللذات[٩] وبغض المكاره أُمر أن يجعل ما يحبه من العاجل آجلا فيكون شُغْله أبدا فيما يوصله إلى نعيم[١٠] الآجل وأُمر أن يجعل هربَه عن الآلام الآجلة فيجتهد فيما فيه[١١] التخلص والنجاة عن تلك الآلام. *والله أعلم*.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[٢٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**، معناه –والله أعلم– لأن المصلين يقومون برياضة أنفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التي أنشئت عليها. ثم بيّن أن الذين

[١] ر: والآلام.
[٢] ر ن م: أنه.
[٣] ر: لأكثرها.
[٤] م: وعذابا.
[٥] م: نائبة.
[٦] ر م: فتحمل.
[٧] ر م – هي أعظم من اللذات التي.
[٨] ر ث م: يسهل.
[٩] ث م: للذات.
[١٠] ث + الآخرة.
[١١] ن م – فيه.

يقومون برياضة أنفسهم هم الذين يقومون على صلاتهم دون الذين يقومون إلى الصلاة كُسالى ولا يدومون عليها ولا ينفقون من أموالهم إلا عن كراهة.

ثم قوله عز وجل: **على صلاتهم دائمون**،[1] دوامهم عليها في لزوم ما عرفوها وهو[2] أن يقيموها[3] في أوقاتها ويحافظون[4] عليها دون أن يكون[5] دوامهم أن يكونوا فيها أبدا. ألا ترى إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قَلَّ».[6] وأراد بقوله "أدومها" لزومها في الوقت الذي أَوْجب فِعْلَ ذلك على أنفسهم لا أن يكونوا أبدا فيها، لأنهم إذا بَقُوا فيها أبدا كثر ذلك منهم فلا يكون لقوله: وإنْ قَلَّ معنى، فثبت أن معنى الدوام ما وصفنا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد من المداومة هو أن يدوم على الأحوال التي تليق[7] بالصلاة عند كونه فيها من الإقبال على المناجات وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الأشغال والوساوس.

وقال بعضهم: **على صلاتهم دائمون**، هو التطوع، وَعَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ،[8] الفريضة.[9] قال: وتصديقه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا صلوا صلاة داموا عليها. وكان يقال:[10] خير الأعمال أدومها[11] وإن قل. وأصله أن الله تعالى قال: وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ،[12] والإقامة على الشيء هو الدوام عليه، لأنه إذا فعل الشيء مرة ثم تركه لم يوصف بالإقامة عليه. فقوله: **دائمون**، وَيُقِيمُونَ،[13] يقتضي معنى واحدا، فيكون فيه إبانة أن الصلاة يلزم فعلها مرة بعد مرة، وليست كالفرائض التي إذا أُدِّيت مرة سقطت من نحو الجهاد والحج.

---

[1] ن + وقوله.
[2] م – وهو.
[3] ر: أن يقوموها.
[4] ر م: ويحافظوها.
[5] ر: أن يكونوا.
[6] مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/١٦٥؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، المسافرين ٢١٥-٢١٦.
[7] جميع النسخ: يليق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.
[8] الآية ٣٤ من هذه السورة، وغيرها من الآيات.
[9] ث م: الفرضية.
[10] ر م: وكانوا يقول.
[11] جميع النسخ: أدومه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] سورة البقرة، ٢/٢٧٧؛ وسورة التوبة، ٩/٥، ١٥ وغيرها.
[13] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٣ وغيرها من الآيات.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾[٢٤] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والذين في أموالهم حق معلوم**، قيل: هو الزكاة. ذكر ذلك عن قتادة[١] وغيره. وقال أبو بكر [الأصم]: هذا غير محتمل، لأن هذه الآيات[٢] مكية وإنما فرضت الزكاة عليهم بعد هجرتهم إلى المدينة. ولكن ليس فيما ذكره دفع هذا التأويل لأنه يجوز أن تكون[٣] الزكاة لم تفرض[٤] عليهم لما لم يكونوا أصحاب الأموال، لأن الزكاة لم تكن[٥] مفروضة في الجملة فبيّن[٦] الوجوب إذا استفادوا الأموال. ألا ترى أن الفقير[٧] قد يعلم إيتاء الزكاة من المال -وإن لم يكن له مال- ليقوم بأدائها إذا صار من أهلها. فقوله: **حق معلوم**، أي أعلمه الله في أموالهم فلزمهم إخراجه. ثم بين أن خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في أموالهم بالدفع إلى السائل والمحروم. وجائز أن يكون ذلك الحق المعلوم هو حق[٨] القرابة وغيره. ومن ذكر أن هذا الحق غير الزكاة قالوا: إنهم كانوا أُعْلِموا [أن] في أموالهم حقا فَجَعَلَ طائفة[٩] منها للسائل وطائفة للمحروم لذلك سماه[١٠] حقا معلوما. ويحتمل أن يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في أموالهم نسختها آية الزكاة ولم يُذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا إلى معرفته.

ثم السائل معروف وهو الذي يسأل. وأما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن المحروم فقال: «المحروم هو الذي لا يَثْمُر نخله ويَثْمُر نخل الناس ولا يزكو زرعه ويزكو زرع الناس ولا تَلْبَن[١١] شاته وتلبن شاة الناس»[١٢] فَعَنَى[١٣] بالمحروم هذا أنه حُرِم بركةَ ماله. وفي هذا الخبر دليل على أن المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والأرض.

---

[١] ث + ونحوه. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٩/٩٩.

[٢] ن ث: الآية.

[٣] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.

[٤] جميع النسخ: لم يفرض. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر ن م: لم يكن.

[٦] جميع النسخ: وبين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر م: إن الفقر.

[٨] ن: هو الحق.

[٩] جميع النسخ: فجعلوا لطائفة. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] م: سماها.

[١١] ن: ولا يلبن.

[١٢] لم أطلع عليه. قال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/٣٩).

[١٣] جميع النسخ: فعنوا.

وجائز أن يكون المحروم هو الذي حِيل[1] بينه وبين وجوه المكاسب، فمن كان حاله هكذا كان علينا أن نتعاهده ونقوم[2] بكفايته. وقال الحسن: المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وإن هلك.[3] *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **والذين يصدقون بيوم الدين**، فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب، فكل من عرف[4] الجزاء وآمن به لم يجزَع بما يصيبه ولا منَع الحق الذي طُلب منه و لم يوصف[5] بأنه هلوع، وإنما الهلوع هو الذي يكذّب بيوم الدين، كما قال: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، فأخبر أن الذي يدع اليتيم وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[6] هو الذي لا يؤمن بالآخرة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**، أي خائفون وَجِلون. وهم الذين قال عز وجل [فيهم] في آية أخرى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ
[٨٤٥و] رَاجِعُونَ.[7] وسئل رسول الله / صلى الله عليه وسلم وقيل له: أهم الذين يَسرِقون ويزنون ويعملون بالمعاصي؟ فقال: «لا بل هم الذين يصلون ويصومون ويؤتون الزكاة»[8] أو كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم. ووجلُهم هو أنهم يخافون أن لا يقبل[9] منهم حسناتهم أو يخافون أن يكونوا قصّروا عن الوفاء بشكر النعم أو غفلوا عن شكر كثير منها.

---

[1] ر: جبل.
[2] ر ن م: أن يتعاهده ويقوم.
[3] قارن بما ورد في تفسير *مفاتيح الغيب* للرازي، ١٣٠/٣٠.
[4] ر ث م: ما عرف.
[5] م: لم يوصف.
[6] سورة الماعون، ١٠٨/١-٣.
[7] سورة المؤمنون، ٦٠/٢٣.
[8] جميع النسخ: لا بل هم الذين يقومون ويصلون ويؤتون الزكاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و. عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه». (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٩/٦، ٢٠٥؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٢٣).
[9] ن: أن يقبل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **إن عذاب ربهم غير مأمون**، فهذا هو الحق أن لا يأمن أحد من عذابه وإن دَأَب في عبادته واجتهد في طاعته لما لا يدري على ماذا يُختم أمره، أو يخاف أن لا يقبل منه[١] ويردّ عليه، أو يخاف أن يكون قد قصّر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها. والأصل أنه ما من أحد ينظر في أمره وحاله إلا وهو يرى على نفسه من الله تعالى نعما[٢] لو أجهد[٣] نفسَه ليقوم بشكر واحد منها لقصّر عن ذلك ولم يتهيأ له القيام بوفائها. فمن كان هذا وصفَه فأنى يقع له الأمن من عذابه ويوجد[٤] منه الوفاء بالأسباب التي يأمن[٥] بها؟ إلا أن يكون من الخاسرين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **والذين هم لفروجهم حافظون**، ذكر حفظ الفرج ولم يذكر بم يُحفظ. وحفظه يكون[٦] بخصال. أحدها أن يُسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد. والثاني بما جعل[٧] الله عز وجل [له] سببا للتعفف من النكاح ومُلْك اليمين، فيمنعه ذلك عن الزنا وحُفِظ الفرج. والثالث يُجيع[٨] بطنَه بالصيام،[٩] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يقدر على الباه[١٠] فليصم فإن الصوم له وِجاءٌ».[١١] والرابع بما يترك النظر إلى النساء ولا يخلو بهن ويَدَع مجالسة الفجّار وأهل الرِّيبة.

---

[١] ر م - منه؛ ث: منهم.

[٢] ر ث م: أنعما.

[٣] ث: اجتهد.

[٤] ر ن م: ويؤخذ.

[٥] جميع النسخ: يؤمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.

[٦] ث م - يكون.

[٧] جميع النسخ: بما جعله.

[٨] ر: بجميع؛ ن: بجمع.

[٩] ر م: بالقيام.

[١٠] ر: على الباء؛ م: على الباد.

[١١] عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شباب لا نقدر على شيء. فقال: «يا معشر الشباب! عليكم بالباءة فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء» (*سنن الترمذي*، النكاح ١؛ و*سنن النسائي*، الصيام ٤٣).

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**. ولو لم يقل: **غير ملومين**، لكنا نعلم [أيضا] بقوله: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**، أنهم لا يلامون، لأنه[١] قد أباح لهم الاستمتاع بمن ملكت أيمانهم ومن كان تحتهم بملك[٢] النكاح، ولا يجوز أن يلحق اللائمة باستعمال المباح المطلق. ولكنْ فيه فوائد. أحدها أن من الناس من يحرِّم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين، فيخبر أنهم عند من اعتقد الإيمان بالرسل غير ملومين، وإنما يلومهم[٣] من أنكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة. وجائز أن يكون معناه أنهم وإن منعوا النساء عن الجماع بما هو خير لهن[٤] من الصيام وأنواع القُرَب لم يلحقهم اللائمة كما يلام[٥] من يمنع آخر عن طاعة الله تعالى، أو إذا استمتعوا[٦] بملك النكاح وملك اليمين ثم يُبْلَوا[٧] بالزنا فيلحقهم اللائمة بذلك.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**، العادي هو الظالم في الحقيقة؛ يقال: عدا فلان على فلان إذا ظلمه، فهم عادون حيث ظلموا أنفسهم فوضعوها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها. وقال الحسن: هم العادون حيث عدَوْا من الحلال إلى الحرام.[٨] وفي هذه[٩] الآية دلالة تحريم المتعة، لأنه أخبر أن من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو إذا من العادين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**، فالأمانات لها وجهان. أحدهما ما ائتمن الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم. والثاني ما ائتمن[١٠] بعضُهم بعضا

---

[١] ر ث م: لأنهم.
[٢] م: بملك.
[٣] جميع النسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[٤] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: كما لا يلام.
[٦] جميع النسخ: وإذا استمعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لم يبلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٧٥/٣.
[٩] ر م: وفي هذا.
[١٠] ر م: والثاني ائتمن.

على الحقوق والعهود التي تجري[1] بين الخلق من الذِمَم والنذور وغير ذلك. فيدخل فيه كل أمانة بين العبد وبين ربه وبينه[2] وبين الخلق وكلُّ عهد أُخذ عليهم من نحو قوله: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ،[3] قيل: في التأويل: العهود، ثم بيّن ذلك، فقال: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ،[4] الآية، والعهدُ الذي أعطينا المعاهدين، فكل ذلك داخل[5] تحت الآية.[6] وقد يدخل معنى الأمانة في العهد والعهدُ في الأمانة، وقد يجوز أن يقع بينهما فرق. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **والذين هم بشهاداتهم قائمون**، أي يقيمون بها[7] لله تعالى، كقوله: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ،[8] أو قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة، فيقومون بها[9] أَحَبُّوا أو كرِهوا ضَرَّهم ذلك أو نفعهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **والذين هم على صلاتهم يحافظون**، محافظة الصلاة أقامتها في أوقاتها بشرائطها، والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى، ولما جعلت تكفيرا لسيئاتهم فيرغبون في إقامتها تكفيرا عنهم سيئاتهم.

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **أولئك في جنات مكرمون**، في الآية إبانة أن من يكرم بالجنان هؤلاء. وذكر عن أبي بكر الأصمّ أنه قال: في هذه الآية[10] دلالة أن من وَفَى بهذه الأشياء التي ذكرها

---

[1] ر م: التي يجري؛ ن: الذي يجري.

[2] ر ث م: وبينهم.

[3] سورة المائدة، ٥/١.

[4] ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة المائدة، ٥/١٢).

[5] ن: فكل ذي داخل.

[6] ن + والعهد الذي أعطينا المعاهدين.

[7] جميع النسخ: يقيمونها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.

[8] سورة النساء، ٤/١٣٥.

[9] جميع النسخ: لها. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر ث م – الآية.

في هذه السورة من الإدامة على الصلاة وإيتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين إلى آخر ما ذكر، فهو الذي يكرَم بالجنة أو الخاطئُ[1] الذي يرجع عن خطيئته ويتوب عنها. فأما غير هذين[2] فهو لا[3] يستوجب الإكرام بالجنة. فما ذكر من الإكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما فهو كما ذكر. وأما الصنف الثالث فهم الذين بُلُوا بالخطيئات من أهل الإيمان ولم يتوبوا عنها
[٨٤٥ظ] فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه[4] وتعالى وكرمه وجُودِه. ومن كان / هذا وصفه لم يُؤْيَس من إحسانه[5] بل كان العفو منه مأمولا والإحسان منه مرجوًّا.

﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾[٣٦] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين**. اختلف في تأويل الإهطاع. فمنهم من يقول: هو الإسراع في المشي، ومنهم من يقول: هو إدامة النظر. فمن حمله على الإسراع فمعناه أن أئمة الكفر كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن منه، ثم يُسرِعون إلى أتباعهم ويجلسون حلقا حَلَقًا ويحرّفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتبسون على ضعفائهم وأتباعهم ليصدهم[6] ذلك عن الإيمان بالله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام. فإن كان الأمر على هذا فتأويله: مالهم يُسرعون إليك ليستمعوا[7] كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك، نحو أن يقول بعضهم: مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[8] ومَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[9] إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ،[10] ونحو ذلك. وما المنفعة لهم في طعنهم عليك سوي[11] استيجابهم[12] المقت والهلاك بذلك من الله تعالى،

---

[1] ر م: والخاطي.
[2] ر م: على غير هذين.
[3] ر ث م: فهؤلاء.
[4] ن – سبحانه.
[5] ر: من اخشا.
[6] ر: ليضدهم.
[7] ر ث م: يسمعوا.
[8] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).
[9] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.
[10] ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾ (سورة المؤمنون، ٣٨/٢٣).
[11] م + إلا.
[12] ر: استحبابهم؛ م: استيخافهم.

وما يرجون بإعراضهم عن تصديقك بعد ما رأوا الآيات؟ ومن حمله على النظر فمعناه أنهم كانوا يجلسون من بعيد، فينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وأنه[١] من أساطير الأولين، فيمكرون بمن يفتري[٢] برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعاديه[٣] من الكفرة. فإن كان على هذا فتأويله كأنه يقول لهم: مالهم يجلسون[٤] من البعد ناظرين إليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما أنزل إليك فينتفعوا به؟ لكنهم متفرقون[٥] عن اليمين وعن الشمال يصدّون الناس عن مجلسك، وقد علموا أن لهم إلى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجةً، إذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالأنباء المتقدمة ليعلموا أنك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة.[٦] فإن كان على هذا[٧] الوجه فالعتاب[٨] [في ترك الاستماع، وإن كان على الأول، فالعتاب][٩] لمكان التحريف والتبديل. ***والله أعلم.***

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم**، قوله: **أيطمع**، حرف استفهام، وقد ذكرنا أن حرف الاستفهام لمن لا يَفْهم[١٠] إيجابٌ.[١١] ثم اختلف في وجه الإيجاب. فمنهم من يقول: معنى قوله: **أيطمع**، أي لا يطمع كل امرئ منهم[١٢] بعبادتهم الأصنام والأوثان أن يُدْخلوا جنة نعيم إذ هم منكرون للبعث[١٣] والجنة والنار. ثم مع هذا ينصرون الأصنام ويخضعونها[١٤] وإن كان لا طمع لهم في نصرها إلى شيء في العاقبة ولا يرجون منها العواقب.

---

[١] ر م – وأنه.
[٢] جميع النسخ: من يقتدي. والتصحيح من *الشرح* نسخة مكة، ورقة ٢١٨ظ.
[٣] جميع النسخ: من يعاديه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر: يحبسون.
[٥] ن + متفرقهم؛ ث + يتفرقهم.
[٦] م: والكهان.
[٧] م: فإن كان هذا.
[٨] ن: فالعنان؛ ث م: والعتاب.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٣و.
[١٠] جميع النسخ: ممن لا يفهم.
[١١] انظر: "المصطلحات والأفكار الرئيسة" أواخر المجلدات.
[١٢] ر م – منهم.
[١٣] ن: بالبعث.
[١٤] ر م: ويعبدونها.

فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يطمعون[١] نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاةَ من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم لله تعالى. كأنه يقول: إنهم لا يطمعون نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة، ثم يقومون[٢] بنصر[٣] الأصنام، فأنتم أحق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تطمعون نيل الجنة والدخول فيها بنصركم إياه. *والله أعلم*.

ومنهم من حمله على إيجاب الطمع، وهو أنهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها[٤] إذا رجعوا إلى ربهم[٥] ظنا منهم أنهم إذا ساوَوْا المسلمين في نعيم الدنيا وسَعَتها فكذلك يساوُونهم في نعيم الآخرة، كما قال الله عز وجل[٦] خبرا عنهم: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[٧] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[٨] الآية، هكذا ظن الكفرة أنهم إن رجعوا إلى ربهم فيجدون عنده خيرَ مُنْقَلَبٍ.

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾[٣٩]

فقال تعالى: **كلا إنا خلقناهم مما يعلمون**. فقوله: **كلا**، على هذا التأويل رد لاعتقادهم[٩] وقطع لأطماعهم، فقال: **كلا**، أي لا يدخلونها قط. ثم استأنف الكلام فقال عز وجل: **إنا خلقناهم مما يعلمون**. وعلى التأويل الأول **كلا** بمعنى حقا إنهم لا يطمعون، ثم استأنف بقوله: **إنا خلقناهم مما يعلمون**، أي من تلك[١٠] النُّطَف. فيذكّرهم[١١] بهذا عظيم نعمه وإحسانه إليهم بما أخرجهم منها ونقلهم من حال إلى حال حتى صاروا بشرا سَوِيًّا ليعلموا أنه[١٢] لا يتركهم سدى،

[١] ر: يطعمون.
[٢] ر م: يقولون.
[٣] ر: ينصر.
[٤] ر م: نعمها.
[٥] ر – إلى ربهم.
[٦] ن: كما قال تعالى.
[٧] سورة فصلت، ٥٠/٤١.
[٨] سورة الجاثية، ٢١/٤٥.
[٩] ر م: الاعتقادهم.
[١٠] ر ث م: أي تلك.
[١١] ر: فتذكرهم.
[١٢] جميع النسخ: أنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

بل ليمتحنهم ويستأديَ منهم شكر ما أنعم عليهم فيوجب[١] ذلك تصديق الرسل. وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا أن من قدر على إنشائهم لقادر على أن يُحييَهم بعد ما أفناهم. *والله أعلم*.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٤٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**، الآية. ذِكْرُ المشارق والمغارب ذكر السماوات والأرض وفي ذكرهما ذكر أهل السماوات والأرَضين. فيكون معناه: فلا أقسم برب الخلائق أجمعَ. ويكون حرف **لا**، زائدة في الكلام تأكيدا للقسم على ما يذكر، فيكون معناه فَلَأُقسم.[٢] ثم حق هذا القسم أن يقول مكان قوله: **برب المشارق والمغارب**: فلا أقسم بي إذا كان القسم من الله تعالى، هذا هو ظاهر الكلام في متعارَف اللسان. ولكن يحتمل هذا وجوها. أحدها أن يكون هذا القسم من النبي عليه السلام كأنه[٣] علَّمه أن يقسم به فيقولُ[٤] له:[٥] قل يا محمد: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**. وإن كان هذا قسَما من الله تعالى فهو مستقيم / أيضا من وجهين أحدهما على الإضمار كأنه قال: فلا أقسم بي فأنا[٦] رب المشارق والمغارب. [٨٤٦و]
والثاني وإن كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر، لأن الخلق كله لله شهود وليس هو بشاهد[٧] للخلق، فيخرج الكلام بينهم [مرة][٨] على ما يُخاطَب الغائبُ ومرة على الوجه الذي يخاطب به الشاهد، ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة على أن مَلِكَ السماوات والأرضين ومدبرهما واحد، إذ لو لم يكن كذلك[٩] لكان لِمَلِك[١٠] السماء أن يمنع الشمس والقمر والكواكب من إيصال النفع إلى أهل الأرض

---

[١] م: فيجب.
[٢] ر ن م: فلا أقسم.
[٣] ن: كان.
[٤] جميع النسخ: ويقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.
[٥] ن – له.
[٦] ر ث م: بي ويا رب؛ ن: بي رب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: شاهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] ر م – كذلك.
[١٠] ر ث م: ملك.

ويكون لملك[1] الأرض أن يمنع مَلِكَ السماء عن الإغراب[2] في الأرض. ثم الذي يَشْرُق ويغرُب منذ خلق يجرى على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل. فلو كان[3] لله[4] تعالى فيه شريك لكان لا بد[5] من وقوع التغيير فيها، فثبت أن تدبير السماوات والأرضين وتدبير سلطانهما راجع إلى الواحد.

وقوله عز وجل: **إنا لقادرون، على أن نبدل خيرا منهم**، هذا موضع القسم، فجائز أن يكون أريد به أي نبدل[6] الخير منهم، فتجعل[7] مكان ما كانوا من الشر خيرا، كقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا،[8] وقد فعل ذلك لأنهم أسلموا. ويحتمل أن يكون أراد به أن يبدل قوما خيرا منهم.

ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما على تحقيق القدرة، والثاني أن يكون معنى القدرة إرادة الفعل. أما الأول فعلى وجهين. أحدهما على معنى تخويف أهل مكة أنهم إن لم ينتهوا عن ذلك أبدل[9] الله تعالى مكانهم مَن هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون إلا بعد المُبْدل عنه، وقد فعل الله تعالى ذلك بهم أهلك المعاندين منهم وأبدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولادهم والمهاجرين منهم والأنصارَ الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه.[10] والثاني أي[11] كنا قادرين على أن نجعل[12] المرسَل إليهم خيرا، إذ قد علموا أنه[13] من قدرة الله عز وجل وأنه هو الذي خلقهم وأنشأهم، لكن إنما أُرسل إليهم وأمرهم لحاجات[14] أنفسهم لا لنفع يرجع إليه،

---

[1] م: الملك.

[2] ث: عن الإعراب. غرَب القوم: ذهبوا في المغرب. وَأَغْرَبُوا: أتوا المغرب. والمُغرب: الذي يأخذ في ناحية الغرب (*لسان العرب*، «غرب»).

[3] جميع النسخ: ولو كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

[4] ر ث م: الله.

[5] ن: الأبد.

[6] ث: أن يبدل.

[7] ر ث م: فيجعل.

[8] سورة يونس، ٩٩/١٠.

[9] ر ن م: أنزل.

[10] ر: ونصره.

[11] ر ث م: إنا.

[12] ر ن م: على أن يجعل.

[13] ث م – أنه.

[14] ر: الحاجات؛ ث: لحاجة.

ليس على ما عليه ملوك الدنيا؛ لكنه إنما امتحنهم بالأمر ليسعوا في نجاة أنفسهم ونهاهم لِيَفُكّوا[١] رقابهم عن النار، فيكون فيه تسكينُ قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وَجْده عليهم حيث لم يؤمنوا.

وأما الوجه الثاني أن يكون معنى القدرة إرادةَ الفعل خاصة إذ قد يُكنى بالقدرة عن الفعل[٢] إذ هو سبب الفعل، كالأمر المعتاد بين الخلق بأمر رجل آخرَ بفعل[٣] فيقول: لا أستطيع ولا أقدر أي لا أفعل. وعلى هذا تأويل قوله: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ[٤] أي هل يفعل ذلك؟ فعلى هذا تأويل[٥] قوله عز وجل: **إنا لقادرون**، أي لفاعلون[٦] من هو خير لرسول الله بدلا عن هؤلاء. فإن كان على هذا فيكون فيه بِشَارةٌ[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجعل له أصحابا يرضاهم، ويكون فيه إخبار[٨] له بالنصر والغلبة على المكذبين منهم، ويكون فيه إنباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يَنْفُذ[٩] فيه مكرهم وإن اجتهدوا، ويكون فيه إعلام له[١٠] أنه ينتقم منهم له ويعذبهم. وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل -والله المستعان- حيث بدّل عن[١١] أهل مكة أهل[١٢] المدينة وكانوا خيرا منهم، لأن أهل مكة كانوا عليه وأهل المدينة كانوا له فكانوا هم[١٣] خيرا.[١٤] وقوله عز وجل: **وما نحن بمسبوقين**، والمسبوق المغلوب فكأنه قال: لا يسبقنا أحد ولا يُعجزنا أحد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريده.

---

[١] ر م: ليكفوا.
[٢] ر ث م – عن الفعل.
[٣] ر ث م: يفعل.
[٤] سورة المائدة، ١١٢/٥.
[٥] ر ث م – هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء أي هل يفعل ذلك فعلى هذا تأويل.
[٦] ر م: فاعلون.
[٧] ث: يساره.
[٨] ر ث م + الله عز وجل.
[٩] ر م: لا ينفد.
[١٠] ر م – له.
[١١] ر ث م: على.
[١٢] ن – أهل.
[١٣] ر: فكافوهم.
[١٤] م: خير.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **فذرهم يخوضوا ويلعبوا**، قال أبو بكر [الأصم]:[١] الخائض المتحير،[٢] واللاعب الخاطئ. فقوله: **فذرهم**، أي دَعْهم فيما هم من خطاياهم وتخيرهم[٣] في دينهم. فكل من اشتغل بما لا يحتاج[٤] له فهو خائض لاعب. وأصله أن كل[٥] أمر لا عاقبة له تحمد[٦] فهو فيه لاعبٌ لاهٍ،[٧] كقوله: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،[٨] أي من يعمل في الحياة الدنيا للدنيا لا للآخرة فهو لاعب لاه.[٩] وكأن هذه الآية صلة قوله: فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ،[١٠] الآية، أمره بأن لا يشتغل[١١] بأولئك ويُقبلَ على[١٢] من يرجو منهم الإيمان؛ أو أمره بان لا يشتغل بمكافأتهم بسوء[١٣] صنيعهم فإن الله[١٤] سينصره عليهم ويكافئه عنهم. وقوله عز وجل: **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**، قد لاَقَوْا ذلك اليوم وهو يوم بدر وسيلاقون[١٥] اليوم الثاني وهو يوم الآخرة.[١٦]

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **يوم يخرجون من الأجداث سراعا**، يخبر أنهم يخرجون من الأجداث وهي القبور سراعا إلى الداعي، والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم[١٧] أبت إجابة الداعي في الدنيا،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[٢] ر ث م: المتخير.
[٣] ن ث: وتحيرهم؛ م: وتخيرهم.
[٤] ن: لا محطه؛ ث: لا يحتج.
[٥] ر: إلا كل.
[٦] ن ث: يحمد؛ م: نحمد.
[٧] ر ن: لاهي.
[٨] سورة محمد، ٣٦/٤٧؛ وسورة الحديد، ٢٠/٥٧.
[٩] ر ن م: لاهي.
[١٠] الآية ٣٦ من هذه السورة.
[١١] ر + كل أمر لا عاقبة له بحمد لهو ولعب.
[١٢] ر م: عن.
[١٣] ن: لسوء.
[١٤] ر ث م: وإن الله.
[١٥] ن م: وسيلاقوك.
[١٦] م: الآخر.
[١٧] ر ث م: نفسهم.

فنزل[١] بهم الهلاك[٢] بتركهم الإجابة، فتسارعوا في ذلك اليوم إلى إجابة الداعي رجاء أن يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الإجابة، وذلك لا ينفعهم وإن وُجدت منهم التوبة،[٣] لأن ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة. وإنما هو يوم تُجْزَى[٤] فيه كل نفس بما كسبت.[٥] وهذا كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.[٦] فأخبر أنهم يفزَعون إلى الإيمان بالله تعالى لما أيقنوا أنهم إنما حل بهم البأس بإعراضهم عن الإيمان، ففزعوا عند إيقانهم العذاب إلى الإيمان رَجاءَ أن يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم من عذاب الله[٧] شيء، / إذ ذلك الوقت ليس بوقت قبول التوبة. فيكون هذا تحريضا بالإسراع [٨٤٦ظ] إلى إجابة الداعي والإيمانِ بما يدعوا إليه قبل أن يؤمنوا إيمانا لا ينفعهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل **كأنهم إلى نصب يوفضون**، قرئ بنصب النون وجزم الصاد[٨] وهو اسم العلامة كالغَرَض[٩] وأشباهه. وقرئ بضم النون والصاد وهو اسم الصنم. فإن كان على العلامة فمعناه إنهم يسارعون في ذلك الوقت إلى إجابة الداعي مُسارعَةَ[١٠] من يسرع في هذه الدنيا إلى الغرض والعلامة المنصوبة. كذا قال بعض أهل التأويل. ذُكر عن الكلبي إلى **نصب يوفضون**، أي[١١] عَلَمٍ يسعون،[١٢] وقال قتادة: إلى علم يستبقون،[١٣] وعن مجاهد: إلى علم ينطلقون.[١٤]

---

[١] ن: فينزل.

[٢] ر م - وقوله عز وجل يوم يخرجون من الأجداث سراعا يخبر أنهم يخرجون من الأجداث وهي القبور سراعا إلى الداعي والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم أبت إجابة الداعي في الدنيا فنزل بهم الهلاك.

[٣] جميع النسخ + والرجوع عن تلك الإجابة.

[٤] ث: يجزى.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ (سورة المؤمن، ١٧/٤٠).

[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.

[٧] ن ث: عن عذاب الله.

[٨] قرأ يعقوب: ﴿نَصَبٍ﴾ بفتح النون والصاد، وقرأ الباقون: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتح النون وسكون الصاد (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٧؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩٢/٢).

[٩] ر ن: كالعرض.

[١٠] ر م: سارعة.

[١١] جميع النسخ: إلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.

[١٢] قال الكلبي: إلى شيء منصوب، عَلَم أو راية (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩٨/١٨).

[١٣] *النكت والعيون* للماوردي، ٩٧/٦.

[١٤] عن الضحاك قال: ﴿إلى نصب يوفضون﴾ إلى علم ينطلقون (*تفسير الضحاك*، ٨٩٧/٢؛ و*تفسير الطبري*، ١١١/٢٩).

فإن كان على الثاني فمعناه أنهم يُسرعون إلى إجابة الداعي في ذلك كسرعتهم إلى عبادة النُّصُب[١] عند خوفهم فوت عبادتها وعند اجتماع عُبّادِها عندها،[٢] أو يبتدرون[٣] نُصُبهم حتى يَسْتَلِمُوها.[٤] ومنهم من ذكر أن النُّصُب برفع النون والصاد هي الأغراض التي يسبقون[٥] إليها. ومن تأول هذا فهو يجعل النصب هاهنا جمعَ النَّصْب. وقوله: **يوفضون**،[٦] أي يُسرِعون. وقال الحسن: أي يَرمُلون،[٧] وهما واحد لأن الإسراع في الرَّمَل موجود.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **خاشعة أبصارهم**، فيحتمل أن يكون هذا على بصر[٨] الوجوه، وصفة خشوعها ما قال في آية أخرى: لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[٩] فيخشع خشوعا لا يملك صرف طرفه عن الداعي. ففيه أن الزلة قد أحاطت[١٠] بهم حتى أثّرت في الأعين والوجوه[١١] وفي كل عضوٍ. وجائز أن يكون هذا على بصر القلوب، وهو أن قلوبهم يشتغل بإجابة الداعي عن أن تُبصر[١٢] لنفسها حيلة تتخلص[١٣] من أهوال[١٤] ذلك اليوم وشدائدها. وقوله عز وجل: **ترهقهم ذلة**، أي تعلوهم، والذلة الحالة في النفس يبدو[١٥] ظهورها[١٦] من الأبصار.

١ ر: المنصب.
٢ ر م: عندهما.
٣ ر ن م: لو يبتدرون.
٤ ر: حتى يسلموها.
٥ ن: يسعون.
٦ ن – يوفضون، صح هـ.
٧ ث: يأملون.
٨ ر م: على نصر.
٩ سورة إبراهيم، ١٤/٤٣.
١٠ ر م: أخاطت.
١١ ن: والوجود.
١٢ ر: عن يبصر؛ ن ث م: عن أن يبصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
١٣ جميع النسخ: يتخلص. والتصحيح من المرجع السابق.
١٤ ن: عن أهوال.
١٥ ر ن ث: يبدوا.
١٦ جميع النسخ: ظهوره. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**، وحقه أن يقول: هذا اليوم الذي كانوا يوعدون، لأنه أضاف إلى اليوم الذي كانوا يوعدون به[١] في الدنيا، ولكن معناه كانوا يوعدون بذلك[٢] اليوم في الدنيا، وذلك اليومُ في الوقت الذي كانوا[٣] يوعدون غير موجود فيعبَّر به عما يعبر به الغائب.[٤] *والله أعلم بالصواب.*

---

[١] ر ث م – به.

[٢] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.

[٣] ن: كان.

[٤] ر م: يعبر الغالب؛ ث: يعبر الغائب.

سورة المعارج

اربعون واربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾

اعلم أن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ﴾ فيه قراءتان منهم من قرأه بالهمزة، ومنهم من قرأه بغير همزة، أما الأولون وهم الجمهور فهذه القراءة تحتمل وجوهًا من التفسير: الأول: أن النضر بن الحارث لما قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢] فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أي دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] قال ابن الأنباري: وعلى هذا القول تقدير الباء الإسقاط، وتأويل الآية: سأل سائل عذابًا واقعًا، فأكد بالباء كقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] وقال صاحب الكشاف لما كان ﴿سَأَلَ﴾ معناه هاهنا دعا لا جرم عدى تعديته كأنه قال دعا داع بعذاب من الله الثاني: قال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدًا ﷺ وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض: سلوا محمدًا لمن هذا العذاب وبمن يقع فأخبره الله عنه بقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ قال ابن الأنباري: والتأويل على هذا القول: سأل سائل عن عذاب والباء بمعنى عن، كقوله:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ(١)

وقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال صاحب (الكشاف): ﴿سَأَلَ﴾ على هذا الوجه في تقدير عنى واهتم كأنه قيل: اهتم مهتم بعذاب واقع، الثالث: قال بعضهم: هذا السائل هو رسول الله استعجل بعذاب الكافرين، فبيّن الله أن هذا العذاب واقع بهم، فلا دافع له قالوا: والذي يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] وهذا يدل على أن ذلك السائل هو الذي أمره بالصبر الجميل، أما القراءة الثانية وهي (سَالَ) بغير همز

(١) هذا البيت لعلقمة الفحل وهو: علقمة بن عَبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم؟ - ٢٠ق. هـ/ ؟ - ٦٠٣م. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرئ القيس وله معه مساجلات. وأسر الحارث ابن أبي شمر الغساني أخًا له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه.

فلها وجهان: أحدهما: أنه أراد ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزة فخفف وقلب قال:

سَالَتْ هُذَيلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيلُ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ (١)

والوجه الثاني: أن يكون ذلك من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس (سال سيل) والسيل مصدر في معنى السائل، كالغَوْر بمعنى الغائر، والمعنى اندفع عليهم واد بعذاب، وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد قالا: سال واد من أودية جهنم بعذاب واقع. أما ﴿سَآئِلٌ﴾، فقد اتفقوا على أنه لا يجوز فيه غير الهمز لأنه إن كان من سأل المهموز فهو بالهمز، وإن لم يكن من المهموز كان بالهمز أيضًا نحو قائل وخائف إلا أنك إن شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين، وقوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [المعارج: ١-٢] فيه وجهان، وذلك لأنا إن فسرنا قوله: ﴿سَأَلَ﴾ بما ذكرنا من أن النضر طلب العذاب، كان المعنى أنه طلب طالب عذابًا هو واقع لا محالة سواء طلب أو لم يطلب، وذلك لأن ذلك العذاب نازل للكافرين في الآخرة واقع بهم لا يدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر في الدنيا لأنه قتل يوم بدر، وهو المراد من قوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ وأما إذا فسرناه بالوجه الثاني وهو أنهم سألوا الرسول عليه السلام، أن هذا العذاب بمن ينزل فأجاب الله تعالى عنه بأنه واقع للكافرين، والقول الأول هو السديد، وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان الأول: أن يكون تقدير الآية بعذاب واقع من الله للكافرين، الثاني: أن يكون التقدير ليس له دافع من الله، أي ليس لذلك العذاب الصادر من الله دافع من جهته، فإنه إذا أوجبت الحكمة وقوعه امتنع أن لا يفعله الله وقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ المعارج جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] والمفسرون ذكروا فيه وجوهًا: أحدها: قال ابن عباس في رواية الكلبي: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، أي ذي السموات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها، وثانيها: قال قتادة: ذي الفواضل والنعم وذلك لأن لأياديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، وثالثها: أن المعارج هي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة، وعندي فيه وجه رابع: وهو أن هذه السموات كما أنها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر، فكذا الأرواح الملكية مختلفة في القوة والضعف والكمال والنقص وكثرة المعارف الإلهية وقوتها وشدة القوة على تدبير هذا العالم وضعف تلك القوة، ولعل نور إنعام الله وأثر فيض رحمته لا يصل إلى هذا العالم إلا بواسطة تلك الأرواح، إما على سبيل العادة أو لا كذلك على ما قال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. فالمراد بقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ الإشارة إلى تلك الأرواح المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم إليها وكالمنازل لنزول أثر الرحمة من ذلك العالم إلى ما هاهنا.

---

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت وتقدمت ترجمته.

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن عادة الله تعالى في القرآن أنه متى ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف أفرد الروح بعدهم بالذكر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨] وهذا يقتضي أن الروح أعظم مِنَ الملائكة قدرًا، ثم هاهنا دقيقة وهي أنه تعالى ذكر عند العروج الملائكة أولاً والروح ثانيًا، كما في هذه الآية، وذكر عند القيام الروح أولاً والملائكة ثانيًا، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ وهذا يقتضي كون الروح أولاً في درجة النزول وآخرًا في درجة الصعود، وعند هذا قال بعض المكاشفين: إن الروح نور عظيم هو أقرب الأنوار إلى جلال الله، ومنه تتشعب أرواح سائر الملائكة والبشر في آخر درجات منازل الأرواح، وبين الطرفين معارج مراتب الأرواح الملكية ومدارج منازل الأنوار القدسية، ولا يعلم كميتها إلا الله، وأما ظاهر قول المتكلمين وهو أن الروح هو جبريل عليه السلام فقد قررنا هذه المسألة في تفسير قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨].

المسألة الثانية: احتج القائلون بأن الله في مكان، إما في العرش أو فوقه بهذه الآية من وجهين: الأول: أن الآية دلت على أن الله تعالى موصوف بأنه ذو المعارج وهو إنما يكون كذلك لو كان في جهة فوق، والثاني: قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فبيَّن أن عروج الملائكة وصعودهم إليه، وذلك يقتضي كونه تعالى في جهة فوق، والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه في المكان والجهة ثبت أنه لا بد من التأويل، فأما وصف الله بأنه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه، وأما حرف (إِلَى) في قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فليس المراد منه المكان بل المراد انتهاء الأمور إلى مراده كقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]المراد الانتهاء إلى موضع العز والكرامة كقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]ويكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها.

المسألة الثالثة: الأكثرون على أن قوله: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ من صلة قوله ﴿تَعْرُجُ﴾، أي يحصل العروج في مثل هذا اليوم، وقال مقاتل: بل هذا من صلة قوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]وعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعلى التقدير الأول، فذلك اليوم، إما أن يكون في الآخرة أو في الدنيا، وعلى تقدير أن يكون في الآخرة، فذلك الطول إما أن يكون واقعًا، وإما أن يكون مقدرًا فهذه هي الوجوه التي تحملها هذه الآية، ونحن نذكر تفصيلها القول الأول: هو أن معنى الآية أن ذلك العروج يقع في يوم من أيام الآخرة طوله خمسون ألف سنة، وهو يوم القيامة، وهذا قول

الحسن: قال وليس يعني أن مقدار طوله هذا فقط، إذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جائز، بل المراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا.

ثم بعد ذلك يستقر أهل النار في دركات النيران نعوذ بالله منها. واعلم أن هذا الطول إنما يكون في حق الكافر، أما في حق المؤمن فلا، والدليل عليه الآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] واتفقوا على (أن) ذلك (المقيل والمستقر) هو الجنة وأما الخبر فما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ ما طول هذا اليوم؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَلَيْهِ أَخَفَّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا»(١) ومن الناس من قال: إن ذلك الموقف وإن طال فهو يكون سببًا لمزيد السرور والراحة لأهل الجنة، ويكون سببًا لمزيد الحزن والغم لأهل النار، الجواب عنه أن الآخرة دار جزاء فلا بد من أن يعجل للمثابين ثوابهم، ودار الثواب هي الجنة لا الموقف، فإذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار، القول الثاني: هو أن هذه المدة واقعة في الآخرة، لكن على سبيل التقدير لا على سبيل التحقق، والمعنى أنه لو اشتغل بذلك القضاء والحكومة أعقل الخلق وأذكاهم لبقي فيه خمسين ألف سنة ثم إنه تعالى يتمم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، وأيضًا الملائكة يعرجون إلى مواضع لو أراد واحد من أهل الدنيا أن يصعد إليها لبقي في ذلك الصعود خمسين ألف سنة ثم إنهم يصعدون إليها في ساعة قليلة، وهذا قول وهب وجماعة من المفسرين، القول الثالث: وهو قول أبي مسلم: إن هذا اليوم هو يوم الدنيا كلها من أول ما خلق الله إلى آخر الفناء، فبين تعالى أنه لا بد في يوم الدنيا من عروج الملائكة ونزولهم، وهذا اليوم مقدر بخمسين ألف سنة، ثم لا يلزم على هذا أن يصير وقت القيامة معلومًا، لأنا لا ندري كم مضى وكم بقي، القول الرابع: تقدير الآية: سأل سائل بعذاب واقع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يحتمل أن يكون المراد منه استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار، ويحتمل أن يكون المراد تقدير مدته، وعلى هذا فليس المراد تقدير العذاب بهذا المقدار، بل المراد التنبيه على طول مدة العذاب، ويحتمل أيضًا أن العذاب الذي سأله ذلك السائل يكون مقدرًا بهذه المدة، ثم إنه تعالى ينقله إلى نوع آخر من العذاب بعد ذلك، فإن قيل: روى ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن هذه الآية، وعن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيام سماها الله تعالى هو أعلم بها كيف تكون، وأكره أن أقول فيها مالا أعلم، فإن قيل: فما قولكم في التوفيق بين هاتين الآيتين؟ قلنا: قال وهب في الجواب عن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) رقم (١١٧٣٥)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٧) رقم (١٣٩٠) قال الهيثمي (١٠/ ٣٣٧): إسناده حسن على ضعف في روايته. وابن حبان (١٦/ ٣٢٩) رقم (٧٣٣٤) وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٤) من حديث أبي سعيد.

هذا ما بين أسفل العالم إلى أعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا إلى الأرض مسيرة ألف سنة، لأن عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وما بين أسفل السماء إلى قرار الأرض خمسمائة أخرى، فقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يريد من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه إلى سماء الدنيا، ومقدار ألف سنة لو صعدوا إلى أعالي العرش.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن هذا متعلق بسأل سائل، لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه، وكذلك من يسأل عن العذاب لمن هو فإنما يسأل على طريق التعنت من كفار مكة، ومن قرأ: (سَالَ سائلٌ) فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد جاء وقت الانتقام.

المسألة الثانية: قال الكلبي: هذه الآية نزلت قبل أن يؤمر الرسول بالقتال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾: الضمير في ﴿يَرَوْنَهُ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: الأول: أنه عائد إلى العذاب الواقع، والثاني: أنه عائد إلى: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] أي يستبعدونه على جهة الإحالة ونحن نراه قريبًا هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر. فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان، وبالقريب القريب منه

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ **فيه مسألتان:**

المسألة الأولى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ منصوب بماذا؟ فيه وجوه: أحدها: بقريبًا، والتقدير: ونراه قريبًا، يوم تكون السماء كالمهل، أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم، وثانيها: التقدير: سأل سائل بعذاب واقع يوم تكون السماء كالمهل، والثالث: التقدير يوم تكون السماء كالمهل كان كذا وكذا، والرابع: أن يكون بدلاً من ﴿يَوْمٍ﴾، والتقدير سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم تكون السماء كالمهل.

المسألة الثانية: أنه ذكر لذلك اليوم صفات:

الصفة الأولى: أن السماء تكون فيه كالمهل وذكرنا تفسير المهل عند قوله: ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] قال ابن عباس: كدردى الزيت، وروى عنه عطاء: كعكر القطران، وقال الحسن: مثل الفضة إذا أذيبت، وهو قول ابن مسعود.

الصفة الثانية: أن تكون الجبال فيه كالعهن، ومعنى العهن في اللغة: الصوف المصبوغ ألوانًا،

وإنما وقع التشبيه به، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

الصفة الثالثة: قوله : ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: قال ابن عباس : الحميم القريب الذي يعصب له، وعدم السؤال إنما كان لاشتغال كل أحد بنفسه، وهو كقوله : ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[الحج: ٢] وقوله : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ إلى قوله ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٧] ثم في الآية وجوه أحدها : أن يكون التقدير : لا يسأل حميم عن حميمه فحذف الجار وأوصل الفعل، الثاني : لا يسأل حميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه، لأن لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام، الثالث : لا يسأل حميم حميمًا شفاعة، ولا يسأل حميم حميمًا إحسانًا إليه ولا رفقًا به .

المسألة الثانية: قرأ ابن كثير : (ولا يُسْئل) بضم الياء، والمعنى لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته، كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه، وهذا أيضًا على حذف الجار قال الفراء : أي لا يقال لحميم أين حميمك ولست أحب هذه القراءة لأنها مخالفة لما أجمع عليه القراء .

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال : بصرت به أبصر، قال تعالى : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾[طه: ٩٦] ويقال : بصرت زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت : بصرني زيد كذا فإذا أثبت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت : بصرني زيدًا، فهذا هو معنى يبصرونهم، وإنما جمع فقيل : يبصرونهم لأن الحميم وإن كان مفردًا في اللفظ فالمراد به الكثرة والجميع والدليل عليه قوله تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[الشعراء: ١٠٠] ومعنى يبصرونهم : يعرفونهم، أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه، وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه، فإن قيل : ما موضع يبصرونهم؟ قلنا : فيه وجهان : الأول : أنه متعلق بما قبله كأنه لما قال : ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[المعارج: ١٠] قيل : لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لاشتغالهم بأنفسهم لا يتمكنون من تساؤلهم، الثاني : أنه متعلق بما بعده، والمعنى أن المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود أحدهم أن يفدي نفسه لكل ما يملكه، فإن الإنسان إذا كان في البلاء الشديد ثم رآه عدوه على تلك الحالة كان ذلك في نهاية الشدة عليه .

الصفة الرابعة: قوله : ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: المجرم هو الكافر، وقيل : يتناول كل مذنب .

المسألة الثانية: قرئ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بالجر والفتح على البناء لسبب الإضافة إلى غير متمكن،

وقرئ أيضًا: (من عَذَابٍ يَومَئذٍ) بتنوين (عَذَابٍ) ونصب (يَومَئذ) وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فصيلة الرجل، أقاربه الأقربون الذين فصل عنهم وينتهي إليهم، لأن المراد من الفصيلة المفصولة، لأن الولد يكون منفصلاً من الأبوين. قال عليه السلام: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي» فلما كان هو مفصولاً منهما، كانا أيضًا مفصولين منه، فسميا فصيلة لهذا السبب، وكان يقال للعباس: فصيلة النبي ﷺ، لأن العم قائم مقام الأب، وأما قوله: ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ فالمعنى تضمه انتماء إليها في النسب أو تمسكًا بها في النوائب.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ فيه وجهان: الأول: أنه معطوف على ﴿يَفْتَدِى﴾ والمعنى: يود المجرم لو يفتدي بهذه الأشياء ثم ينجيه، والثاني: أنه متعلق بقوله: ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والتقدير: يود لو يفتدي بمن في الأرض ثم ينجيه، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء ببنيه، وعلى أنه لا ينفعه ذلك الافتداء، ولا ينجيه من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا﴾ وفيه وجهان: الأول: أن هذا الضمير للنار، ولم يجر لها ذكر إلا أن ذكر العذاب دل عليها والثاني: يجوز أن يكون ضمير القصة، ولظى من أسماء النار. قال الليث: اللظى: اللهب الخالص، يقال: لظت النار تلظَّى لظى، وتلظت تلظيًا، ومنه قوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[الليل: ١٤] ولظى عَلَم للنار منقول من اللظى، وهو معرفة لا ينصرف، فلذلك لم ينون، وقوله: (نَزَّاعَةٌ) مرفوعة، وفي سبب هذا الارتفاع وجوه: **الأول:** أن تجعل الهاء في أنها عماد، أو تجعل لظى اسم إن، ونزاعة خبر إن، كأنه قيل: إن لظى نزاعة. **والثاني:** أن تجعل الهاء ضمير القصة، ولظى مبتدأ، ونزاعة خبرًا، وتجعل الجملة خبرًا عن ضمير القصة، والتقدير: إن القصة لظى نزاعة للشوى. **والثالث:** أن ترتفع على الذم، والتقدير: إنها لظى وهي نزاعة للشوى، وهذا قول الأخفش والفراء والزجاج. وأما قراءة النصب ففيها ثلاثة أوجه أحدها: قال الزجاج: إنها حال مؤكدة، كما قال: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[فاطر: ٣١] وكما يقول: أنا زيد معروفًا، اعترض أبو علي الفارسي على هذا وقال: حمله على الحال بعيد، لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال، فإن قلت في قوله: ﴿لَظَىٰ﴾ معنى التلظي والتلهب، فهذا لا يستقيم، لأن لظى اسم علم لماهية مخصوصة، والماهية لا يمكن تقييدها بالأحوال، إنما الذي يمكن تقييده بالأحوال هو الأفعال، فلا يمكن أن يقال: رجلاً حال كونه عالمًا، ويمكن أن يقال: رأيت رجلاً حال كونه عالمًا، وثانيها: أن تكون لظى اسمًا لنار تتلظى تلظيًا شديدًا، فيكون هذا الفعل ناصبًا لقوله: ﴿نَزَّاعَةً﴾ وثالثها: أن تكون منصوبة على الاختصاص، والتقدير: إنها لظى أعنيها نزاعة للشوى، ولم تمنع.

المسألة الثالثة: ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ الأطراف، وهي اليدان والرجلان، ويقال للرامي: إذا لم يصب المقتل أشوى، أي أصاب الشَّوى، والشوى أيضًا جلد الرأس، واحدتها شواة ومنه قول الأعشى:

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شَيبًا شَوَاتُهُ[1]

هذا قول أهل اللغة، قال مقاتل: تنزع النار الهامة والأطراف فلا تترك لحمًا ولا جلدًا إلا أحرقته، وقال سعيد بن جبير: العصب والعقب ولحم الساقين واليدين، وقال ثابت البناني: لمكارم وجه بني آدم. واعلم أن النار إذا أفنت هذه الأعضاء، فالله تعالى يعيدها مرة أخرى، كما قال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: اختلفوا في أن لظى كيف تدعو الكافر، فذكروا وجوهًا: أحدها: أنها تدعوهم بلسان الحال كما قيل: سل الأرض من أشق أنهارك، وغرس أشجارك؟ فإن لم تجبك حِوَارًا، أجابتك اعتبارًا فهاهنا لما كان مرجع كل واحد من الكفار إلى زاوية من زوايا جهنم، كأن تلك المواضع تدعوهم وتحضرهم، وثانيها: أن الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحًا: إلي يا كافر، إلي يا منافق، ثم تلتقطهم التقاط الحب، وثالثها: المراد أن زبانية النار يدعون فأضيف ذلك الدعاء إلى النار بحذف المضاف، ورابعها: تدعو: تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك.

وقوله: ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني من أدبر عن الطاعة وتولى عن الإيمان ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰ﴾ أي جعله في وعاء وكنزه، ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيها فقوله: ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله وطاعته.

وقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ إشارة إلى حب الدنيا، فجمع إشارة إلى الحرص، وأوعى إشارة إلى الأمل، ولا شك أن مجامع آفات الدين ليست إلا هذه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: فيه مسائل:

المسألة الأولى: قال بعضهم: المراد بالإنسان هاهنا الكافر، وقال آخرون: بل هو على عمومه، بدليل أنه استثنى منه ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢].

المسألة الثانية: يقال: هلع الرجل يَهْلَع هَلَعًا وهَلَاعًا فهو هالع وهلوع، وهو شدة الحرص وقلة الصبر، يقال: جاع فهلع، وقال الفراء: الهَلُوع الضجور، وقال المبرد: الهلع الضجر، يقال: نعوذ بالله من الهلع عند منازلة الأقران، وعن أحمد بن يحيى، قال لي محمد بن

(١) تقدمت ترجمة الأعشى.

عبدالله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا تفسير أبين من تفسيره، هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس.

المسألة الثالثة: قال القاضي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ نظير لقوله: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وليس المراد أنه مخلوق على هذا الوصف، والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه والله تعالى لا يذم فعله، ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة، ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها. واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين: أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع، والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية، أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى، لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه، ومن خلق شجاعًا بطلاً لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية، أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾

المراد من الشر والخير الفقر والغنى أو المرض والصحة، فالمعنى أنه إذا صار فقيرًا أو مريضًا أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنيًا أو صحيحًا أخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس، فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه؟ قلنا: إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانية العاجلة، وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولاً بأحوال الآخرة، فإذا وقع في مرض أو فقر وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضيًا به، لعلمه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية، واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفًا بثمانية أشياء:

أولها قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ فإن قيل: قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ ثم: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها، وتارة بأمور متراخية عنها، أما الأمور السابقة فهو أن يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول أوقاتها، ومتعلق بالوضوء، وستر العورة وطلب القبلة، ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة،

وفي المساجد المباركة، وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة، وأما الأمور المقارنة فهو أن لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة، فاهمًا للأذكار، مطلعًا على حكم الصلاة، وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب، وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بعدها بشيء من المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

وثانيها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ اختلفوا في الحق المعلوم: فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين: إنه الزكاة المفروضة، قال ابن عباس: من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق قالوا: والدليل على أن المراد به الزكاة المفروضة وجهان: الأول: أن الحق المعلوم المقدر هو الزكاة، أما الصدقة فهي غير مقدرة، الثاني: وهو أنه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثناء ممن ذمه، فدل على أن الذي لا يعطى هذا الحق يكون مذمومًا، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة، وقال آخرون: هذا الحق سوى الزكاة، وهو يكون على طريق الندب والاستحباب، وهذا قول مجاهد وعطاء والنخعي. وقوله: ﴿لِلسَّائِلِ﴾ يعني الذي يسأل ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم.

وثالثها قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يؤمنون بالبعث والحشر.

ورابعها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ والإشفاق يكون من أمرين، إما الخوف من ترك الواجبات أو الخوف من الإقدام على المحظورات، وهذا كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وكقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥] ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذرًا من التقصير حريصًا على القيام بما كلف به من علم وعمل، ثم إنه تعالى أكد ذلك الخوف فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي، واحترز عن المحظورات بالكلية، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم يكون خائفًا أبدًا. وقد مر تفسيره في سورة المؤمنين.

وخامسها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾

وسادسها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ وقد تقدم تفسيره أيضًا.

وسابعها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ قرئ بشهادتهم و﴿بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ﴾، قال الواحدي: والإفراد أولى لأنه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف لجمع كقوله ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات، وكثرت ضروبها فحسن الجمع من جهة الاختلاف، وأكثر المفسرين قالوا: يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق، ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الأمانات إلا أنه تعالى خصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها، وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له.

وثامنها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وقد تقدم تفسيره.

ثم وعد هؤلاء وقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

ثم ذكر بعده ما يتعلق بالكفار فقال: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ المهطع: المسرع وقيل: الماد عنقه، وأنشدوا فيه:

بِمَكَّةَ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ ... بِمَكَّةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ[(١)]

والوجهان متقاربان، روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون ويستهزئون بكلامه، ويقولون: إذا دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد: فلندخلنها قبلهم، فنزلت هذه الآية فقوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين نحوك مادين أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، وقال أبو مسلم: ظاهر الآية يدل على أنهم هم المنافقون، فهم الذين كانوا عنده وإسراعهم المذكور هو الإسراع في الكفر كقوله: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].

ثم قال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين، ومعنى: عزين: جماعات في تفرقة، واحدها عِزة، وهي العصبة من الناس، قال الأزهري: وأصلها من

---

(١) هذا البيت للشاعر يزيد بن مفرغ الحميري وهو: يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري؟ - ٦٩ هـ/ ؟ - ٦٨٩ م من أصل يمني من قبيلة يحصب، كانت أسرته في حلف مع قريش ولد في البصرة، ونشأ بها، كان يعرف العربية والفارسية، بدأ اتصاله بالبلاط نديمًا لسعيد بن عثمان بن عفان، وأصبح بعد ذلك من شعراء البلاط اشتهر بشعره الساخر من عبّاد وعبيد الله بن زياد بن أبيه. وله شعر في المدح والغزل.

قولهم: عزا فلان نفسه إلى بني فلان يعزوها عزوًا إذا انتهى إليهم، والاسم العزوة وكان العزة كل جماعة اعتزوها إلى أمر واحد، واعلم أن هذا من المنقوص الذي جاز جمعه بالواو والنون عوضًا من المحذوف وأصلها عزوة، والكلام في هذه كالكلام في ﴿عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وقد تقدم، وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهط.

قوله تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾

ثم قال: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: والنعيم ضد البؤس، والمعنى أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون.

ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ وهو ردع لهم عن ذلك الطمع الفاسد.

ثم قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: الغرض من هذا الاستدلال على صحة البعث، كأنه قال: لما قدرت على أن أخلقكم من النطفة، وجب أن أكون قادرًا على بعثكم.

المسألة الثانية: ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهًا: أحدها: أنه لما احتج على صحة البعث دل على أنهم كانوا منكرين للبعث، فكأنه قيل لهم كلا إنكم منكرون للبعث، فمن أين تطمعون في دخول الجنة، وثانيها: أن المستهزئين كانوا يستحقرون المؤمنين، فقال تعالى: هؤلاء المستهزئون مخلوقون مما خلقوا، فكيف يليق بهم هذا الاحتقار، وثالثها: أنهم مخلوقون من هذه الأشياء المستقذرة، فلو لم يتصفوا بالإيمان والمعرفة، فكيف يليق بالحكيم إدخالهم الجنة.

ثم قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾:

يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه أو مشرق كل كوكب ومغربه، أو المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته أو المراد أنواع الهدايات والخذلانات ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ وهو مفسر في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١] وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ مفسر في آخر سورة والطور، واختلفوا في أن ما وصف الله نفسه بالقدرة عليه من ذلك هل خرج إلى الفعل أم لا؟ فقال بعضهم: بدل الله بهم الأنصار والمهاجرين فإن حالتهم في نصرة الرسول مشهورة، وقال آخرون: بل بدل الله كفر بعضهم بالإيمان، وقال بعضهم: لم يقع هذا التبديل، فإنهم أو أكثرهم بقوا على جملة كفرهم إلى أن ماتوا، وإنما كان يصح وقوع التبديل بهم لو أهلكوا، لأن مراده تعالى بقوله: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾

بطريق الإهلاك، فإذا لم يحصل ذلك فكيف يحكم بأن ذلك قد وقع، وإنما هدد تعالى القوم بذلك لكي يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

ثم ذكر تعالى ذلك اليوم الذي تقدم ذكره فقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ وهو كقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

اعلم أن في ﴿نُصُبٍ﴾ ثلاث قراءات أحدها: وهي قراءة الجمهور (نَصْبٍ) بفتح النون والنَّصْب كل شيء نُصِب والمعنى كأنهم إلى علم لهم يستبقون، والقراءة الثانية: (نُصْب) بضم النون وسكون الصاد وفيه وجهان أحدهما: النَّصْب والنُّصْب لغتان مثل الضَّعْف والضُّعْف، وثانيهما: أن يكون جمع نَصْب كشقف جمع شقف والقراءة الثالثة: (نُصُب) بضم النون والصاد، وفيه وجهان أحدهما: أن يكون النصب والنصب كلاهما يكونان جمع نصب كأُسُد وأُسْد جمع أَسَد، وثانيهما: أن يكون المراد من النصب الأنصاب وهي الأشياء التي تنصب فتعبد من دون الله كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون، ومعنى الآية على هذا الوجه أنهم يوم يخرجون من الأجداث يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصارهم، وبقية السورة معلومة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة المعارج

وهي مَكِّيةٌ باتفاق[١]، وهي أربعٌ وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامر: «سال سائل» بغير همزة. الباقون بالهمز[٢]. فَمَن هَمَزَ فهو من السؤال. والباءُ يجوز أنْ تكونَ زائدة، ويجوز أنْ تكون بمعنى عن. والسؤال بمعنى الدعاء، أي: دعا داعٍ بعذاب؛ عن ابن عباس[٣] وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب. ويقال: دعوتُ زيدًا، أي: التمست إحضارَه. أي: التَمَسَ مُلتمِسٌ عذاباً للكافرين؛ وهو واقعٌ بهم لا محالةَ يوم القيامة. وعلى هذا فالباء زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] فهي تأكيد. أي: سأل سائلٌ عذابًا واقعًا[٤].

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: على الكافرين. وهو النضرُ بن الحارث حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فنزل سؤالُه، وقُتل يومَ بدرٍ صبرًا هو وعقبةُ بن أبي مُعَيط؛ لم يُقْتل صَبْرًا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٧.

(٢) السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤.

(٣) أخرج قول ابن عباس بنحوه الطبريُّ ٢٣/ ٢٤٨.

(٤) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ٣٥٠.

غيرُهما؛ قاله ابن عباس ومجاهد[١].

وقيل: إنَّ السائلَ هنا هو الحارثُ بن النعمان الفِهريّ. وذلك أنَّه لمَّا بلغَه قول النبيِّ ﷺ في عليٍّ ﷺ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» ركبَ ناقته، فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح[٢]، ثم قال: يا محمد، أَمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسولُ الله، فقبلناه منك، وأنْ نصلِّي خمساً، فقبلناه منك، ونُزكِّي أموالنا، فقبلناه منك، وأنْ نصومَ شهر رمضان في كلِّ عام، فقبلناه منك، وأنْ نَحُجَّ، فقبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى فَضَّلْتَ ابنَ عمِّك علينا! أفهذا شيءٌ منك أم من الله؟! فقال النبيُّ ﷺ: «والله الذي لا إله إلَّا هو، ما هو إلَّا من الله» فولَّى الحارثُ وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًّا، فأمطرْ علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم. فوالله ما وصلَ إلى ناقته حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتلَه؛ فنزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآية[٣].

وقيل: إنَّ السائلَ هنا أبو جهل، وهو القائلُ لذلك، قاله الربيع. وقيل: إنَّه قولُ جماعةٍ من كفار قريش[٤]. وقيل: هو نوحٌ عليه السلام سأل العذابَ على الكافرين. وقيل: هو رسولُ الله ﷺ أي: دعا عليه الصلاة والسلام بالعقاب، وطلب أنْ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢ دون نسبة، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٠٢ عن سعيد بن جبير. ونسبه لابن عباس ومجاهد الماورديُّ في النكت والعيون ٦/ ٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٥٧.

(٢) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منىً أقرب. وهو المحصب، وهو خيفُ بني كنانة. معجم البلدان ١/ ٧٤.

(٣) النكارة في الخبر ظاهرة، و أخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٥٣ - ٥٤، وفي إسناده انقطاع، ومن لم نعرفهم، وذكره المناوي في فيض القدير ٦/ ٣١٨ وعزاه للثعلبي؛ قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٧٦: الثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. اهـ. وقال الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٥٥: وأنت تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله وجهه كان في غدير خم وذلك في أواخر سني الهجرة فلا يكون ما نزل مكياً على المشهور في تفسيره، وقد سمعت ما قيل في مكية هذه السورة. اهـ.

وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» سلف ١/ ٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

يُوْقِعه اللهُ بالكفَّار[١]؛ وهو واقعٌ بهم لا محالة. وامتدَّ الكلامُ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ أي: لا تستعجل فإنَّه قريب.

وإذا كانت الباء بمعنى عن ـ وهو قول قتادة[٢] ـ فكأنَّ سائلًا سألَ عن العذاب بمن يقع، أو متى يقع. قال الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩] أي: سلْ عنه. وقال علقمة[٣]:

فإنْ تسألوني بالنِّساء فإنَّني بصيرٌ بأدواء النِّساء طبيبُ

أي: عن النساء. ويقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. فالمعنى: سألوا بمن يقع العذاب ولمن يكون، فقال الله: «لِلْكَافِرِينَ»[٤].

قال أبو علي وغيره: وإذا كان من السؤال، فأصلُه أنْ يتعدَّى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصارُ على أحدهما. وإذا اقتصر على أحدهما جاز أنْ يتعدَّى إليه بحرف جَرٍّ؛ فيكونُ التقديرُ: سأل سائلٌ النبيَّ ﷺ أو المسلمينَ بعذابٍ أو عن عذاب[٥].

ومن قرأ بغير همزٍ فله وجهان: أحدهما: أنَّه لغةٌ في السؤال، وهي لغةُ قريش؛ تقول العرب: سال يسال؛ مثل نال ينال وخاف يخاف. والثاني: أنْ يكون من السيلان؛ ويؤيده قراءةُ ابن عباس «سال سَيْل»[٦]. قال عبد الرحمن بن زيد: سال وادٍ من أودية جهنم يقال له: سائل[٧]؛ وهو قول زيد بن ثابت[٨]. قال الثعلبي: والأوَّل

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٥٦ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩.

(٣) في ديوانه ص٣٥، وسلف ٢/ ٢٦١.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦.

(٦) الكشاف ٤/ ١٥٦، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨. وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٢٠، وقال: وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨.

أحسن؛ كقول الأعشى في تخفيف الهمزة:

سَـالـتـانـي الـطـلاق إذ رأتـانـي قَـلَّ مـا لـي قـد جـئـتـمـانـي بـنُـكْـرِ[١]

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسألُ عن فلانٍ وبفلان. وقد تُخفَّفُ همزته فيقال: سال يَسالُ. وقال:

ومُـرْهَـقٍ سـالَ إمـتـاعًـا بـأُصْـدَتِـه لم يَسْتَعِنْ[٢] وحَوامي الموتِ تغشاهُ[٣]

المُرْهَق: الذي أُدرِكَ ليُقتل. والأُصْدَةُ بالضمِّ: قميصٌ صغيرٌ يَلبسُ تحت الثوب[٤].

المهدويُّ: من قرأ: «سال»؛ جاز أنْ يكون خفَّف الهمزة بإبدالها ألفًا، وهو البدل على غير قياس. وجاز أنْ تكونَ الألفُ منقلبةً عن واوٍ على لغة من قال: سِلتُ أسال؛ كخفت أخاف[٥]. النحاس[٦]: حكى سيبويه: سِلت أسال؛ مثل: خِفتُ أخاف؛ بمعنى سألت. وأنشد[٧]:

سـالَـتْ هُـذَيْـلٌ رسـولَ الـلـه فـاحـشـةً ضَلَّتْ هذيلٌ بما سالتْ ولم تُصِبِ[٨]

ويقال: هما يتساولان. المهدويُّ: وجاز أن تكونَ مبدلةً من ياء، من سال يسيل. ويكون سايل واديًا في جهنم[٩]؛ فهمزةُ سايل على القول الأوَّل أصليةٌ، وعلى الثاني

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل، وقد سلف ١٦/٣٢٦ .

(٢) أي: يحلق عانته. الصحاح (عون).

(٣) الصحاح (سال). وذكره في اللسان (رهق) وقال: قال ابن بري: أنشده أبو علي الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلاً شريفاً ارتُثَّ في بعض المعارك، فسألهم أن يمتعوه بأُصْدته.

(٤) الصحاح (رهق) (أصد).

(٥) وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/٧٥٦ .

(٦) في إعراب القرآن ٥/٢٧ بنحوه مختصراً.

(٧) في الكتاب ٣/٤٦٨ .

(٨) البيت لحسان بن ثابت ﷺ، وهو في ديوانه ص٣٤، وفيه وفي الكتاب: بماجاءت. بدل: بما سالت.

(٩) سلف قريباً أن هذا القول ضعيف.

بدلٌ من واو، وعلى الثالث بدلٌ من ياء.

القشيريُّ: وسائلٌ مهموز؛ لأنَّه إنْ كان من سأل بالهمز، فهو مهموز، وإنْ كان من غير الهمز، كان مهموزًا أيضاً؛ نحو قائلٌ وخائف؛ لأنَّ العينَ اعتلَّ في الفعل واعتلَّ في اسم الفاعل أيضًا. ولم يكن الاعتلالُ بالحذفِ لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيفُ الهمزة حتى تكون بين بين.

﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع بالكفَّار، بيَّن أنَّه من الله ذي المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فقال: لمن هو؟ فقال: للكافرين؛ فاللام في الكافرين متعلقةٌ بـ«واقع»[1].

وقال الفراء: التقدير بعذابٍ للكافرين واقع؛ فالواقع من نعتِ العذاب، واللَّام دخلت للعذاب لا للواقع[2]. أي: هذا العذابُ للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل: إنَّ اللامَ بمعنى على، والمعنى: واقعٌ على الكافرين. ورُوِي أنها في قراءة أُبَيٍّ كذلك[3]. وقيل: بمعنى عن، أي: ليس له دافعٌ عن الكافرين من الله، أي: ذلك العذابُ من الله.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي العلوِّ والدرجات الفواضل والنِّعم؛ قاله ابن عباس وقتادة[4]. فالمعارجُ مراتبُ إنعامه على الخلق. وقيل: ذي العظمة والعلاء. وقال مجاهد: هي معارجُ السماء. وقيل: هي معارجُ الملائكة؛ لأنَّ الملائكةَ تعرجُ إلى السماء، فوصفَ نفسه بذلك[5].

وقيل: المعارج الغرف، أي: إنَّه ذو الغُرَف، أي: جعل لأوليائه في الجنة غرفًا.

---

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٢٥٠.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

وقرأ عبدُ الله: «ذي المعاريج» بالياء[1]. يقال: مَعْرَج ومِعْراج، ومعارج ومعاريج؛ مثل: مفاتح[2] ومفاتيح[3]. والمعارج: الدرجات؛ ومنه: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: تَصْعَد في المعارج التي جعلها الله لهم. وقرأ ابنُ مسعود وأصحابه، والسُّلَمِيُّ، والكسائي: «يَعْرُجُ» بالياء على إرادة الجمع[4]؛ ولقوله: ذكِّروا الملائكة ولا تُؤنِّثوهم[5]. وقرأ الباقون بالتاء على إرادة الجماعة.

«وَالرُّوحُ»: جبريلُ عليه السلام؛ قاله ابن عباس[6]. دليله قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[7] [الشعراء: ١٩٣]. وقيل: هو مَلَكٌ آخرُ عظيمُ الخِلقة.

وقال أبو صالح: إنَّه خَلْقٌ من خَلْق الله، كهيئة النَّاس، وليس بالناس. وقال قَبِيصة بن ذُؤَيْب: إنَّه روحُ الميت حين يُقبض[8].

﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى المكان هو محلُّهم، وهو في السماء؛ لأنَّها محلُّ بِرِّه وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]. أي: إلى الموضع الذي أمرني به[9]. وقيل: «إِلَيْهِ» أي: إلى عرشه[10].

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: مفتاح.

(٣) الصحاح (عرج) وفيه: معارج ومعاريج جمع مِعْراج، وفيه أيضاً عن الأخفش قوله: إن شئت جعلت الواحد: مِعْرَج ومَعْرَج، مثل مِرْقاة ومَرْقاة.

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤، وأخرجها عن ابن مسعود الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٨٤. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٤.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢١ من قول ابن مسعود، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٦) قوله: قاله ابن عباس. ليس في (ظ).

(٧) النكت والعيون ٦/ ٩٠ دون نسبة.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

(٩) الوسيط ٤/ ٣٥١.

(١٠) الكشاف ٤/ ١٥٧.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال وَهْبٌ والكلبيُّ ومحمدُ بن إسحاق: أي: عروجُ الملائكة إلى المكان الذي هو محلُّهم، في وقتٍ كان مقداره على غيرهم لو صَعِد، خمسين ألف سنة[١]. وقال وهبٌ أيضاً: ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرةُ خمسين ألف سنة؛ وهو قول مجاهد[٢]. وجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في سورة السجدة [الآية: ٥]، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى مُنتهى أمره من فوق السماوات خمسونَ ألف سنة. وقوله تعالى في «الم تنزيل»: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني: بذلك نزول الأمر من سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدارُ ألف سنة؛ لأنَّ ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمس مئة عام[٣]. وعن مجاهد أيضاً والحَكَم وعِكْرمة: هو مدَّةُ عمر الدنيا من أوَّل ما خُلقت إلى آخر ما بقي، خمسونَ ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضى، ولا كم بقي، إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ[٤].

وقيل: المرادُ يوم القيامة، أي: مقدار الحُكْم فيه لو تولَّاه مخلوقٌ، خمسون ألف سنة، قاله عكرمة أيضاً والكلبيُّ ومحمد بن كعب[٥]. يقول سبحانه وتعالى: وأنا أفرغُ منه في ساعة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة، ولكنَّ يومَ القيامة لا نفاد له. فالمراد ذِكرُ موقفهم

---

(١) ذكره عن محمد بن إسحاق البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣، وذكره عن وهب الرازي ٣٠/ ١٢٤.

(٢) ذكره عن وهب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وذكره عن مجاهد ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٢.

(٤) قول الحكم وعكرمة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٣/ ٢٥٢، وذكره البغوي عن الكلبي ٤/ ٣٩٣، وعن محمد بن كعب ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩٠.

للحساب، فهو في خمسينَ ألف سنة من سِني الدنيا، ثم حينئذٍ يستقرُّ أهلُ الدارين في الدارين.

وقال يَمَان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطنًا كلُّ مَوطِن ألف سنة[١].

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسينَ ألف سنة، ثم يدخلون النَّار للاستقرار[٢].

قلت: وهذا القولُ أحسن ما قيل في الآية إنْ شاء الله، بدليل ما رواه قاسم بن أَصْبَغ من حديث أبي سعيد الخُدرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنة». فقلت: ما أطولَ هذا! فقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّفُ عن المؤمن، حتى يكونَ أخفَّ عليه من صلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا»[٣].

واستدلَّ النحاس على صحة هذا القول بما رواه سُهيلٌ عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال[٤]: «ما من رجلٍ لم يؤدِّ زكاةَ ماله، إلا جُعِلَ [يوم القيامة] شجاعًا من نار، تكوى به جبهته وظهره وجَنْباه، في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنة، حتى يقضيَ اللهُ بين الناس»[٥].

قال: فهذا يدلُّ على أنَّه يومُ القيامة.

---

(١) قولا الحسن ويمان في تفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣، وأخرجه أيضاً أحمد (١١٧١٧) وفي إسناده ابن لهيعة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه. اهـ. وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح ١١/ ٤٤٨.

(٤) كذا ذكر المصنف، والذي في مطبوع إعراب القرآن ٥/ ٢٨ للنحاس حديث أبي سعيد الخدري السالف ولعل النحاس استدل بحديث أبي هريرة المذكور أعلاه في كتاب آخَر له. أو أن ثمة سقطاً في كتاب الإعراب، والله أعلم.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٧) وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضًا أحمد (٧٧٢٠) وفيه: صفائح من نار. بدل: شجاعًا من نار.

وقال إبراهيم التيميّ: ما قَدْرُ ذلك اليوم على المؤمن، إلا قدرُ ما بين الظهر والعصر[١].

وروي هذا المعنى مرفوعًا من حديث معاذٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين، ولذلك سَمَّى نفسَه سريعَ الحساب، وأسرع الحاسبين». ذكره الماورديُّ[٢].

وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم[٣]. كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]. وهذا على قدر فَهم الخلائق، وإلّا فلا يشغلُه شأنٌ عن شأن. وكما يرزقهم في ساعةٍ، كذا يحاسبُهم في لحظة، قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وعن ابن عباس أيضاً أنَّه سُئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيامٌ سَمَّاها الله عزَّ وجلَّ، هو أعلمُ بها كيف تكون، وأكره أنْ أقولَ فيها ما لا أعلم[٤].

وقيل: معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيلٌ، وهو تعريفُ طول مدَّة القيامة في الموقف، وما يَلقى الناسُ فيه من الشدائد. والعربُ تَصِف أيَّامَ الشدَّة بالطول، وأيامَ الفرح بالقِصر؛ قال الشاعر:

ويـومٍ كـظِـلِّ الـرُّمْـح قَـصَّـرَ طـولَـه ... دَمُ الزِّق عنَّا واصطفاقُ المزاهرِ[٥]

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ والمعنى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له من الله دافع، في يومٍ كان مقداره خمسينَ ألف سنةٍ، تعرجُ الملائكة والروح

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٦.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٩١، وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٥١٥٠) بنحوه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥١، والبغوي ٤/ ٣٩٣ من قول عطاء.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٤.

(٥) سلف ١٧/ ١١.

إليه[١]. وهذا القول هو معنى ما اخترناه، والموفق الإله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: على أذى قومك. والصبرُ الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شَكْوَى لغير الله[٣]. وقيل: هو أنْ يكون صاحبُ المصيبة في القوم لا يُدْرَى من هو. والمعنى متقارب. وقال ابن زيد: هي منسوخةٌ بآية السيف[٤].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ يريد أهلَ مكة، يرون العذاب بالنار بعيدًا، أي: غير كائن.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ لأنَّ ما هو آتٍ فهو قريب[٥]. وقال الأعمش: يرون البعثَ بعيدًا[٦]؛ لأنَّهم لا يؤمنون به؛ كأنَّهم يستبعدونه على جهة الإحالة. كما تقول لمن تناظره: هذا بعيدٌ لا يكون[٧]! وقيل: أي: يرون هذا اليوم بعيدًا «وَنَرَاهُ» أي: نعلمه؛ لأنَّ الرؤيةَ إنما تتعلَّق بالموجود. وهو كقولك: الشافعيُّ يرى في هذه المسألة كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «واقع»؛ تقديره يقع بهم العذاب يوم[٨]. وقيل: «نَرَاهُ»، أو «يُبَصَّرونهم»، أو يكونُ بدلًا من قريب[٩]. والْمُهْلُ:

---

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٦٠ .

(٢) في (ظ) : والموافق له .

(٣) هو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٥ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٢٥ ، وردَّه هو والطبري .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ وعزاه لعبد بن حميد .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٠ .

(٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩ .

(٩) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧ .

دُرْديُّ الزيت وعَكَرُه[١]؛ في قول ابن عباس وغيره. وقال ابن مسعود: ما أُذيب من الرَّصاص والنُّحاس والفضَّة. وقال مجاهد: «كَالْمُهْلِ»: كقيحٍ من دمٍ وصديد[٢]. وقد مضى في سورة الدخان والكهف القولُ فيه[٣].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: كالصُّوف المصبوغ، ولا يقال للصوف عِهْنٌ إلَّا أنْ يكون مصبوغًا[٤]. وقال الحسن: «تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» وهو الصوفُ الأحمر. وهو أضعفُ الصُّوف[٥]. ومنه قولُ زهير:

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ[٦]

الفُتاتُ: القِطَع. والعِهْنُ: الصوفُ الأحمر؛ واحده عِهْنة. وقيل: العِهْنُ الصوف ذو الألوان؛ فشبَّه الجبال به في تَلَوُّنها ألوانًا[٧]. والمعنى: أنها تلين بعد الشدَّة، وتتفرَّق بعد الاجتماع. وقيل: أوَّلُ ما تتغيَّرُ الجبال تصير رَمْلًا مَهيلًا، ثم عِهْنًا منفوشًا، ثم هَباءً مُنْبثًّا[٨].

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: عن شأنه لشغل كلِّ إنسانٍ بنفسه، قاله قتادة[٩]. كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧]. وقيل: لا يَسألُ حميمٌ عن حميم، فَحذفَ الجارَّ ووصل الفعل[١٠]. وقراءةُ العامة: «يَسأل» بفتح الياء. وقرأ شيبةُ

(١) دردي الزيت: هو ما يبقى في أسفله. الصحاح (درد).
(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٢.
(٣) ١٩/ ١٣٣، ١٣/ ٢٦٢.
(٤) ياقوتة الصراط ص٣٥٠، وينظر ما سلف ١٤/ ١٣٧.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.
(٦) ديوان زهير ص١٢. قال شارحه ثعلب: أراد أن حَبَّ الفنا صحيح؛ لأنه إذا كسر، ظهر له لون غير الحمرة. وقال أبو عبيدة: وحَبُّ الفنا: شجر له حب تتخذ منه القراريط يوزن بها، وهو شديد الحمرة.
(٧) القول بنحوه في الكشاف ٤/ ١٥٧. وتفسير الرازي ٣٠/ ١٢٥.
(٨) ينظر مجمع البيان ٢٩/ ٥٥.
(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٧.
(١٠) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢٦.

والبَزِّيُّ عن عاصم: «ولا يُسأل» بالضم على ما لم يُسمَّ فاعله[١]، أي: لا يُسأل حميمٌ عن حميمه، ولا ذو قرابةٍ عن قرابته، بل كلُّ إنسانٍ يُسأل عن عمله. نظيره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم. وليس في القيامة مخلوقٌ إلَّا وهو نُصْبَ[٢] عينِ صاحبِه من الجنِّ والإنس. فيُبصِرُ الرجلُ أباه وأخاه وقرابته وعشيرته، ولا يَسأله ولا يكلِّمه، لاشتغالهم بأنفسهم. وقال ابن عباس: يتعارفون ساعةً ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة[٣]. وفي بعض الأخبار: إنَّ أهلَ القيامة يَفِرُّون من المعارفِ مخافةَ المظالم.

وقال ابن عباس أيضًا: «يُبَصَّرُونَهُمْ»: يبصر بعضهم بعضًا، فيتعارفون، ثم يفرُّ بعضُهم من بعض. فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» على هذا للكفار، والهاء[٤] والميم للأقرباء.

وقال مجاهد: المعنى يُبصِّر اللهُ المؤمنينَ الكفارَ في يوم القيامة؛ فالضمير في «يبصَّرونَهم» للمؤمنين، والهاء والميم للكفار.

ابن زيد: المعنى يُبصِّر الله الكفارَ في النار الذين أضلُّوهم في الدنيا؛ فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» للتابعين، والهاء والميم للمتبوعين.[٥] وقيل: إنَّه يبصِّرالمظلومَ ظالمَه

---

(١) كذا ذكر المصنف رواية البزي عن عاصم، والذي ذكره أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٥٤ هو رواية البرجمي عن أبي بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير باختلاف فيه.

وأما القراءة عن شيبة فقد ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٦٥٠ وقال: وهو غلط.

(٢) في (ظ): يبصر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٣.

(٤) لفظة: والهاء. ليست في (م).

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبريُّ ٢٣/ ٢٥٧-٢٥٨، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧.

والمقتولَ قاتلَه[١]. وقيل: «يُبَصَّرُونَهُمْ» يرجع إلى الملائكة، أي: يعرفون أحوالَ الناسِ، فيسوقون كلَّ فريقٍ إلى ما يليق بهم[٢]. وتم الكلام عند قوله: «يُبَصَّرُونَهُمْ».

ثم قال: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنَّى الكافر. ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ يعني: من عذاب جهنمَ بأعزِّ من كان عليه في الدنيا من أقاربه فلا يقدر.

ثم ذَكَرَهم فقال: ﴿بِبَنِيهِ . وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته. ﴿وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته. ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تنصره؛ قاله مجاهد وابن زيد. وقال مالك: أمُّه التي تُربِّيه. حكاه الماورديُّ[٣] ورواه عنه أشهب[٤]. وقال أبو عبيدة[٥]: الفصيلة دون القبيلة. وقال ثعلب: هم آباؤه الأدْنَوْن. وقال المبرِّد: الفصيلةُ: القطعة من أعضاء الجسد، وهي دون القبيلة. وسُمِّيت عِتْرة الرجل فصيلَته تشبيهاً بالبعض منه. وقد مضى في سورة الحجرات القولُ في القبيلة وغيرها[٦].

وهنا مسألة، وهي: إذا حَبَسَ على فصيلته، أو أوصى لها؛ فمن ادَّعى العمومَ حملَهُ على العشيرة، ومن ادَّعى الخصوصَ حملَهُ على الآباء؛ الأدنى فالأدنى. والأوَّل أكثر في النطق. والله أعلم[٧].

ومعنى: «تُؤْوِيه»: تضمُّه وتؤمِّنه من خوف إن كان به.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: ويَودُّ لو فُدِيَ بهم لافتدى ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ أي: يخلِّصه ذلك الفداء. فلا بدَّ من هذا الإضمار، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٩٢.

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٥٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٢. والأقوال السالفة منه عدا قول مجاهد، وقد أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٠.

(٤) أي عن مالك. أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦.

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٩٢.

(٦) ١٩/ ٤١٤ - ٤١٦.

(٧) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦.

أي: وإنَّ أَكْلَهُ لَفِسق. وقيل: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يقتضي جوابًا بالفاء؛ كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. والجواب في هذه الآية: «ثُمَّ يُنْجِيهِ» لأنَّها من حروف العطف؛ أي: يَوَدُّ المجرمُ لو يفتدي فينجيَه الافتداء.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ تقدَّم القول في «كَلَّا» وأنها تكون بمعنى حَقًّا، وبمعنى لا[١]. وهي هنا تحتمل الأمرين؛ فإذا كانت بمعنى حقًّا، كان تمامُ الكلام «يُنْجِيهِ». وإذا كانت بمعنى لا، كان تمامُ الكلام عليها، أي: ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء. ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: هي جهنم، أي: تتلظَّى نيرانها؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] واشتقاقُ لظى من التلظِّي. والتِظَاءُ النَّارِ: التهابُها، وتلظِّيها: تلهُّبُها[٢]. وقيل: كان أصلها: «لظظ»، أي: دامت[٣] لدوام عذابها؛ فقُلبتْ إحدى الظائين ألفًا، فبقيت لظى.

وقيل: هي الدَّرَكَةُ الثانية من طبقات جهنم[٤]. وهي اسمٌ مؤنثٌ معرفةٌ، فلا ينصرف.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه، والأعمش وأبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ «نَزَّاعَةٌ» بالرفع[٥]. وروى أبو عمر عن عاصم[٦] «نزاعةً» بالنصب.

---

(١) ١١/ ١٤٧ .

(٢) الصحاح (لظى)، وقال الزمخشري ٤/ ١٥٨ : لظى عَلَم للنار، منقول من اللظى، بمعنى اللهب .

(٣) في (م) : ما دامت .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ .

(٥) النشر ٢/ ٣٩٠ ، والسبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص٢١٤ .

(٦) في (د) و(خ) و(م) : أبو عمرو عن عاصم ، وفي (ظ) أبو عمرو وعاصم . والمثبت من (ق) . وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨ . والكلام منه . وأبو عمر هو حفص بن سليمان راوية عاصم .

فمن رفع فله خمسةُ أوجه: أحدها: أنْ تجعلَ «لظى» خبرَ «إنَّ»، وترفعَ «نزاعةٌ» بإضمار هي؛ فمن هذا الوجه يحسنُ الوقف على «لظى»[(١)].

والوجه الثاني: أنْ تكون «لظى» و«نزاعةٌ» خبران لإنَّ؛ كما تقول: إنَّه حلوٌ حامض[(٢)].

والوجه الثالث: أنْ تكونَ «نزاعةٌ» بدلاً من «لظى»، و«لظى» خبر «إنَّ».

والوجه الرابع: أنْ تكون «لظى» بدلاً من اسم «إنَّ»، و«نزاعةٌ» خبرُ «إنَّ».

والوجه الخامس: أنْ يكون الضمير في «إنَّها» للقصَّة، و«لظى» مبتدأ، و«نزاعة» خبرُ الابتداء، والجملة خبر «إنَّ»[(٣)]. والمعنى: أنَّ القصةَ والخبرَ لظى نزاعةٌ للشَّوَى.

ومن نصب «نزاعة» حَسُنَ له أن يقف على «لظى» وينصب «نزاعة» على القطع من «لظى» إذ كانت نكرةً متصلةً بمعرفة[(٤)].

ويجوز نصبُها على الحال المؤكِّدة؛ كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]. ويجوز أنْ تُنصبَ على معنى: إنَّها تتلظى نزاعةً[(٥)]، أي: في حال نزعها للشَّوَى. والعاملُ فيها ما دلَّ عليه الكلام من معنى التلظِّي[(٦)].

ويجوز أنْ يكونَ حالًا؛ على أنه حالٌ للمكذِّبين بخبرها.

ويجوز نصبها على المدح[(٧)]؛ كما تقول: مررتُ بزيدٍ العاقلَ الفاضلَ. فهذه

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٢) في النسخ: خلق مخاصم. وهو خطأ. والمثبت من الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦ والكلام منه.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢١.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥.

(٧) في (ق) و(خ): المنع. وفي (ظ) و(م): القطع. والمثبت من (د) وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨. والكلام منه.

خمسةُ أوجهٍ للنصب أيضًا .

والشَّوَى: جمعُ شواةٍ، وهي جلدةُ الرأس. قال الأعشى:

قـالـت قُـتَـيـلَـةُ مـالَـهُ   قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيـبًـا شَـوَاتُـهْ[١]

وقال آخر:

لأصـبـحـتَ هـدَّتـك الـحـوادثُ هَـدَّةً   لـهـا فَـشَـواةُ الـرأس بـادٍ قَـتِـيـرُهـا[٢]

القتير: الشَّيب[٣]. وفي الصحاح: والشَّوى: جمع شَواة، وهي جلدةُ الرأس. والشَّوَى: اليدان والرِّجلان والرأس من الآدميِّين، وكلُّ ما ليس مَقْتَلًا. يقال: رماه فأشواه، إذا لم يُصِبِ المقتل. قال الهُذَلِيّ[٤]:

فـإنَّ مـن الـقـول الـتـي لا شَـوَى لـهـا   إذا زَلَّ عـن ظـهـرِ الـلِّـسـان انـفـلاتُـهـا

يقول: إنَّ من القول كلمةً لا تُشْوِي، ولكنْ تقتل. قال الأعشى:

قـالـت قُـتَـيْـلَـةُ مَـالَـهُ   قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيْـبًـا شَـوَاتُـهْ[٥]

قال أبو عبيدة[٦]: أنشدها أبو الخطاب الأخفشُ أبا عمرو بنَ العلاء، فقال له: صَحَّفت، إنَّما هو سَرَاتُه[٧]؛ فسكت أبو الخطَّاب، ثمَّ قال لنا: بل هو صَحَّف، إنَّما هو شَواته. وشَوَى الفرسِ: قوائمُهُ؛ لأنَّه يقال: عَبْلُ الشَّوى[٨]، ولا يكونُ هذا

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٢١ . ولم نقف على البيت في ديوان الأعشى ، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٦١ .

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص١٦١ . وفيه : نعم . بدل : لها .

(٣) الصحاح (قتر) .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي؛ كما في ديوان الهذليين ١/ ١٦٣ .

(٥) سلف قريباً .

(٦) في (ظ) و(م) : أبو عبيد . والمثبت من (د) و(خ) و(ق)، وهو الموافق للصحاح والكلام منه. وكلامُ أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ .

(٧) بعدها في الصحاح (شوى) والكلام منه: سراته : أي : نواحيه .

(٨) أي : ضخم القوائم .

للرأس؛ لأنَّهم وصفوا الخيلَ بأسالة الخدَّين، وعِتْقِ الوجه؛ وهو رِقَّته. والشَّوَى: رُذال المال. والشَّوى: هو الشيء الهيِّن اليسير.

وقال ثابت البُنَانِيُّ والحسن: «نَزَّاعَةً لِلشَّوَى» أي: لمكارم وجهه[١]. أبو العالية: لمحاسن وجهه[٢]. قتادة: لمكارم خلقته وأطرافه. وقال الضَّحَّاك: تَبْرِي[٣] اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً. وقال الكسائيُّ: هي المفاصل. وقال بعضُ الأئمة: هي القوائم والجلود. قال امرؤ القيس:

سَلِيمِ الشَّظى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسا ... له حَجَباتٌ مُشْرِفاتٌ على الفالِ[٤]

وقال أبو صالح: أطراف اليدين والرِّجلين. قال الشاعر:

إذا نظرتْ عَرَفْتَ الفخرَ منها ... وعينيها ولم تعرف شَواها[٥]

يعني: أطرافها. وقال الحسن أيضاً: الشَّوَى: الهام[٦].

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: تدعو لَظَى من أدبرَ في الدنيا عن طاعة الله، وتولَّى عن الإيمان. ودعاؤها أنْ تقول: إليَّ يا مشرك، إليَّ يا كافر.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٣ عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ عن ثابت وعزاه لابن المنذر.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٣) في (د) و(م): تفري، وفي (ظ): تجري. والمثبت من (خ) و(ق) وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٣ وقد أخرجه عنه.

(٤) ديوان امرئ القيس ص٣٦. قال شارحه: قوله: سليم الشظى: هو عظم صغير في يد الفرس، فإذا تحرك قيل: شِظَي الفرس. والشوى: القوائم. والنَّسَا: عرق، ووصفه بالشَّنِج لأنه أصلب له. والحجبات: رؤوس الأوراك. وقوله: على الفال: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عَجْب الذنب ويساره.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣. والبيت في ديوان مجنون ليلى ص٣٠٠ وفيه: الجيد. بدل: الفخر. وهو أيضاً في ديوان ابن الدمينة ص١٩١. وفيه: النحر، بدل: الفخر. وجاء في الديوانين بلفظ: سواها؛ بالمهملة. بدل: شَوَاها.

(٦) لفظ قول الحسن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧: الشوى: جلد الرأس والهامة.

وقال ابن عباس: تدعو الكافرينَ والمنافقين بأسمائهم، بلسانٍ فصيح: إليَّ يا كافر، إليَّ يا منافق؛ ثم تلتقطهُم كما يلتقط الطيرُ الحبَّ[١].

وقال ثعلب: «تَدْعُو» أي: تُهلك. تقول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك الله[٢].

وقال الخليل[٣]: إنَّه ليس كالدُّعاء: تعالوا، ولكن دَعْوَتُها إياهم، تَمَكُّنها من تعذيبهم.

وقيل: الداعي خَزَنةُ جهنم؛ أُضيف دعاؤهم إليها. وقيل: هو ضربُ مَثَل، أي: إنَّ مصيرَ من أدبر وتولَّى إليها، فكأنَّها الداعية لهم. ومثله قول الشاعر[٤]:

ولقد هبطنا الوادِيَيْن فواديًا ... يدعو الأنيسَ به العضيضُ الأبكمُ

العضيض الأبكم: الذباب. وهو لا يدعو، وإنما طنينه نبَّه عليه، فدعا إليه[٥].

قلت: القولُ الأوَّل هو الحقيقة؛ حَسَب ما تقدَّم بيانه بآي القرآن والأخبار الصحيحة.

القشيريُّ: ودعاءُ لَظى بخلق الحياة فيها حين تدعو، وخوارق العادة غدًا كثيرة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي: جمع المالَ فجعله في وعائه، ومنعَ منه حقَّ الله تعالى؛ فكان جَموعًا مَنوعًا[٦]. قال الحَكَم: كان عبد الله بن عُكَيم لا يربط كيسه، ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

(٣) في العين ٢/ ٢٢١.

(٤) ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣ - ٩٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٩٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٥.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يعني: الكافر؛ عن الضحاك[١]. والهَلَع في اللغة: أشدُّ الحرص وأسوأُ الجزع وأفحشُه. وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما. وقد هَلِع ـ بالكسر ـ يَهْلَع، فهو هَلِعٌ وهَلُوع[٢]؛ على التكثير. والمعنى: إنَّه لا يصبر على خيرٍ ولا شرٍّ حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. عِكرمة: هو الضَّجور[٣]. الضَّحَّاك: هو الذي لا يشبع[٤]. والمَنُوع: هو الذي إذا أصابَ المالَ منعَ منه حقَّ الله تعالى[٥]. وقال ابنُ كَيسان: خلق اللَّهُ الإنسانَ يحبُّ ما يَسرُّه ويُرضيه، ويهربُ مما يَكرهه ويسخطُ، ثم تَعَبَّده الله بإنفاق ما يحبُّ، والصبرِ على ما يكره[٦].

وقال أبو عبيدة: الهَلُوعُ: هو الذي إذا مسَّه الخيرُ لم يَشكر، وإذا مسَّه الضُّرُّ لم يَصبر؛ قاله ثعلب.

وقال ثعلب أيضاً: قد فسَّر الله الهَلُوع، وهو الذي إذا ناله الشرُّ أظهرَ شدَّة الجَزَع، وإذا ناله الخيرُ بَخِل به ومنعه الناس[٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «شَرُّ ما أُعطي العبدُ: شُحٌّ هالع، وجُبْنٌ خالع»[٨]. والعربُ تقول: ناقةٌ هِلْواعة وهِلْواع؛ إذا كانت سريعةَ السَّير خفيفة[٩]. قال:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٦ .

(٢) الصحاح (هلع) .

(٣) زاد المسير ٨/ ٣٦٣ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦ وعزاه لابن المنذر .

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠٤ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ .

(٧) ينظر الدر المصون ١٠/٤٥٩ .

(٨) أخرجه أحمد (٨٠١٠)، وأبو داود (٢٥١١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٩) ينظر الصحاح (هلع) .

صَكَّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استدبرتَها حَرَجٍ إذا استقبلتَها هِلْواعِ[(١)]

الذِّعْلِب والذِّعْلِبة: الناقة السريعة[(٢)].

و«جَزُوعًا» و«مَنُوعًا» نعتان لِهَلُوع. على أنْ ينويَ بهما التقديمَ قبل «إذا». وقيل: هو خبر «كان» مضمرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ دلَّ على أنَّ ما قَبْلَه في الكفار؛ فالإنسانُ اسمُ جنس؛ بدليل الاستثناء الذي يعقبه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢-٣].

قال النَّخَعيُّ: المراد بالمصلِّين الذين يؤدُّون الصلاةَ المكتوبة[(٣)]. ابن مسعود: الذين يصلُّونها لوقتها، فأمَّا تركُها فكفر[(٤)]. وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون عامَّة، فإنَّهم يَغْلبون فَرْطَ الجزع بثقتهم بربِّهم ويقينهم.

---

(١) البيت للمسيَّبِ بن عَلَس، وهو في المفضليات ص٦١، وكتاب الحيوان للجاحظ ٤/٣٩٩، وتهذيب اللغة ١/١٤٤. قوله: صكاء؛ من الصكك، وهو تقارب العُرقوبين، يقول: كأنها نعامة في تقارب عُرْقُوبَيْها، ويُحمد من النجائب تقاربُ العُرْقُوبَيْن. (والعُرْقُوب من الدابة: ما يكون في رِجلها بمنزلة الركبة في يدها). وقوله: الحَرَج هو سرير عمل عليه الموتى؛ شبهها به لطولها. والهِلْواع: الحديدة السريعة. شرح اختيارات المفضل ١/٣٠٩-٣١٠.

(٢) الصحاح (ذعلب).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٣٦٨.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ أي: على مواقيتها. وقال عقبةُ بن عامر: هم الذين إذا صلَّوْا لم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا[١]. والدائم الساكن، ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم[٢]، أي: الساكن. وقال ابن جُريج والحسن: هم الذين يُكثرون فعلَ التطوّع منها[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ يريد الزكاة المفروضة؛ قاله قتادة وابن سيرين[٤]. وقال مجاهد: سِوى الزكاة. وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة رَحِم وحَمْلُ كَلٍّ[٥]. والأوّلُ أصحُّ؛ لأنَّه وَصَفَ الحقَّ بأنَّه معلوم، وسِوى الزكاة ليس بمعلوم، إنَّما هو على قدر الحاجة، وذلك يَقِلُّ ويكثر[٦].

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ تقدَّم في «الذاريات»[٧].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة. وقد مضى في سورة الفاتحة القولُ فيه[٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ قال ابن عباس: لمن أشرك أو كَذَّب أنبياءه.

وقيل: لا يأمنُه أحدٌ، بل الواجب على كلِّ أحدٍ أنْ يخافه ويُشفقَ منه.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٩ .

(٢) في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «لا يَبُلْ أحدكم في الماء الدائم ، ولا يغتسل فيه من الجنابة». أخرجه أحمد (٩٥٩٦) .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٦٤ عن ابن جريج .

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣٢ عن قتادة .

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٦) غير أن ابن عطية صحح قول مجاهد في المحرر الوجيز ٥/٣٦٨ . قال : وهذا هو الأصح في هذه الآية لأنَّ السورة مكية ، وفرض الزكاة وبيانها إنما كان بالمدينة .

(٧) ١٩/ ٤٨٢ .

(٨) ١/ ٢٢١ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تقدَّم القولُ فيه في سورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ[١].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ تقدَّم أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ على من كانت [عليه][٢] من قريبٍ أو بعيد، يقومون بها عند الحكام[٣] ولا يكتمونها ولا يغيِّرونها. وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في سورة البقرة[٤]. وقال ابن عباس: «بِشَهَادَاتِهِمْ» أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله[٥]. وقُرئ «لِأَمَانَتِهِمْ» على التوحيد. وهي قراءة ابن كثير وابن مُحَيْصن[٦]. فالأمانة: اسمُ جنس، فيدخل فيها أمانات الدِّين، فإنَّ الشرائع أماناتٌ ائتمنَ الله عليها عبادَه. ويدخل فيها أماناتُ الناس من الودائع. وقد مضى هذا كلُّه مستوفًى في سورة النساء[٧].

وقرأ عباس الدُّورِي[٨] عن أبي عمرو ويعقوب: «بِشَهَادَاتِهِمْ» جمعًا[٩]. الباقون:

(١) ١١/١٥ - ١٥ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. ينظر اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ٣٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٢٩٣ .

(٣) في (د) و(م) : الحاكم .

(٤) ٤/ ٤٧٧ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣١ .

(٦) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص١٥٨ . وقراءة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر ص٥٥٦ .

(٧) ٦/ ٤٢٣ .

(٨) كذا قال المصنف، وهو وهم منه رحمه الله، إنما هو عباس بن الفضل بن عمرو، أبو الفضل الأنصاري الواقفي. معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٧ . أما عباس الدوري، فهو ابن محمد أبو الفضل البغدادي، روى عنه أصحاب السنن.

(٩) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية حفص. السبعة ص ٦٥١، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٩١، ولم يذكر أبو عمرو الداني رواية عباس بن الفضل عن أبي عمرو في التيسير، وذكرها في جامع البيان ٢/ ٤٥٥ .

«بِشَهَادَتِهِمْ» على التوحيد؛ لأنَّها تؤدِّي عن الجمع. والمصدر قد يُفرد وإن أُضيف إلى جمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]. وقال الفراء: ويدلُّ على أنَّها «بِشَهَادَتِهِمْ» توحيدًا قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:٢].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها. وقال ابن جُرَيج[١]: التطوع. وقد مضى في سورة المؤمنين[٢]. فالدوام خلاف المحافظة. فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخِلُّون بها ولا يشتغلون عنها بشيءٍ من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغَ الوضوء لها ومواقيتَها، ويقيموا أركانها، ويكمِّلوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف[٣] المآثم. فالدوامُ يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظةُ إلى أحوالها[٤].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال الأخفش: مسرعين. قال:

بمكَّةَ أهلُها ولقد أراهم ... إليه مهطعين إلى السماع[٥]

والمعنى: ما بالهم يُسرعون إليك، ويجلسون حواليك، ولا يعملون بما تأمرُهم؟ وقيل: أي: ما بالُهم مسرعين في التكذيب لك؟ وقيل: أي: ما بالُ الذين كفروا

(١) ذكر قوله ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠.

(٢) ١٥/ ١٥.

(٣) في (م) باقتراب.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٩.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٦. والبيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري وهو في ديوانه ص١١٠، وروايته فيه:

بدجلة أهلها ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

يُسْرِعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك[١]؟ وقال عطيَّة: مهطعين: معرضين. الكلبيُّ: ناظرين إليك تعجُّبًا[٢]. وقال قتادة: عامدين[٣]. والمعنى متقارب، أي: ما بالهم مسرعين عليك، مادِّين أعناقَهم، مدمني النظر إليك[٤]؟ وذلك من نظر العدوِّ. وهو منصوبٌ على الحال. نزلت في جمعٍ من المنافقين المستهزئين، كانوا يَحضرونه عليه الصلاة والسلام ولا يؤمنون به[٥]. و«قِبَلَكَ» أي: نحوك.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمين النبيِّ ﷺ وشماله، حِلَقاً حِلَقاً وجماعات. والعِزِين: جماعاتٍ في تَفرِقة، قاله أبو عبيدة[٦]. ومنه حديثُ النبيِّ ﷺ، أنَّه خرج على أصحابه فرآهم حِلقًا، فقال: «ما لي أراكم عِزِين، ألَا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟»، قالوا: وكيف تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَلَ، ويَتراصُّونَ في الصَّفِّ» خرَّجه مسلمٌ وغيره[٧]. وقال الشاعر:

تَرانا عنده واللَّيلُ داجٍ ... على أبوابه حِلَقاً عِزينا[٨]

وقال الراعي:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّ عشيرتي ... أمسى سَرَاتُهُمُ إليك عِزِينا[٩]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٣ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٧٨ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١ .

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠ .

(٧) صحيح مسلم (٤٣٠)، ومسند أحمد (٢٠٩٦٤)، عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٧ . وجاء بعد البيت في (د) و(م): أي متفرقين.

(٩) ديوان الراعي النميري ص٢٢٨ وروايته فيه:

أوليَّ أمرِ الله إنَّ عشيرتي ... أمسى سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولا

وسَراة الشيء أي: خياره. لسان العرب (سرا).

أي: متفرقين. وقال آخر:

كأنَّ الجماجمَ من وقعها ... خناطيل[(١)] يهوينَ شَتَّى عِزِينا[(٢)]

وقال آخر:

فلمَّا أنْ أتَيْنَ على أُضاخٍ ... ضَرَحْنَ حَصَاهُ أَشْتَاتًا عِزِينا[(٣)]

وقال الكُمَيْت[(٤)]:

ونحنُ وجَنْدَلٌ باغٍ تَرَكْنَا ... كَتَائبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينا

وقال عنترة[(٥)]:

وقِرْنٍ قد تركتُ لِذِي وَلِيٍّ ... عليه الطير كالعُصَبِ العِزِين

وواحدُ عِزِينَ: عِزَة، جُمع بالواو والنون؛ ليكون ذلك عِوَضاً مما حُذِف منها. وأصلها: عِزْهة، فاعتلَّت كما اعتلَّت سَنَة، فيمن جعل أصلها سَنْهة[(٦)]. وقيل: أصلها: عِزْوة، من عزاه يعزوه: إذا أضافه إلى غيره. فكلُّ واحدٍ[(٧)] من الجماعات مضافةٌ إلى الأخرى، والمحذوف منها الواو.

وفي الصحاح: والعِزَة: الفِرْقةُ من الناس، والهاء عوضٌ من الياء، والجمع عِزًى ـ على فِعَل ـ وعِزُون وعُزُون أيضاً بالضم، ولم يقولوا عِزات، كما قالوا ثُبات. قال

---

(١) الخناطيل: جماعاتٌ من الوحش والطير في تفرقةٍ، ولا واحد لها من جنسها. اللسان (خنطل).

(٢) لم نقف عليه. وجاء بعده في (د) و(م): أي متفرقين.

(٣) لم نقف على قائله. وهو في الصحاح (عزا). قوله: أُضاخ: اسم جبل أو موضع. اللسان (أضخ)، وضرحه: دفعه ونحَّاه. القاموس (ضرح).

(٤) في ديوانه ص٤٤٨.

(٥) في (د) و(ظ): وقال غيره. والبيت في ديوان عنترة (مصورة دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي) ص١٧٩ برواية:

وقِرنٍ قد تركت لدى مَكَرٍّ ... عليه سبائباً كالأرجوان

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٩.

(٧) في (د) أحد، وفي مجمع البيان ٢٩/ ٦١ ـ والكلام منه ـ: جماعة.

الأصمعيُّ: يقال في الدار: عِزونَ، أي: أصنافٌ من الناس[١].

و﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ متعلِّقٌ بـ«مُهْطِعِينَ» ويجوز أنْ يتعلَّق بـ«عِزِين» على حدِّ قولك: أخذته عن زيد[٢].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبيِّ ﷺ، ويستمعون كلامه، فيكذِّبونه، ويَكْذِبون عليه، ويستهزئون بأصحابه، ويقولون: لئنْ دخلَ هؤلاء الجنَّةَ لندخلنَّها قبلَهم، ولئن أُعطوا منها شيئاً لَنُعطَيَنَّ أكثرَ منه، فنزلت: «أَيَطْمَعُ» الآية[٣].

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهُط[٤]. وقرأ الحسنُ وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ والأعرجُ: «أنْ يَدْخُلَ» بفتح الياء وضم الخاء؛ مُسمَّى الفاعل. ورواه المفضَّل عن عاصم[٥]. الباقون: «أنْ يُدْخَلَ» على الفعل المجهول.

﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنَّهم يعلمون أنَّهم مخلوقون من نطفة، ثم من علقةٍ، ثم من مضغةٍ؛ كما خُلِقَ سائرُ جنسهم، فليس لهم فضلٌ يستوجبون به الجنة، وإنما تُستوجَب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى[٦]. وقيل: كانوا يستهزؤون بفقراء المسلمين، ويتكبَّرون[٧] عليهم. فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من القَذَر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وقال قتادة في هذه الآية: إنما خُلِقْتَ يا ابن آدم من قذرٍ، فاتَّق الله[٨].

---

(١) الصحاح (عزا).

(٢) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٦٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤.

(٤) الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٥) قراءة الحسن وطلحة والمفضل عن عاصم في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٦٤.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥.

(٧) في (د): وينكرون.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٢.

وروي أنَّ مُطَرِّفَ بنَ عبد الله بن الشِّخِّير رأى المُهَلَّب بنَ أبي صُفْرة يتبختر في مُطْرَف[١] خَزٍّ وجُبَّة خزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المِشْية التي يُبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أوَّلُكَ نطفةٌ مَذِرة، وآخِرُكَ جيفةٌ قَذِرة، وأنت تحمل العَذِرة. فمضى المهلَّب وترك مشيته[٢].

ونظم الكلامَ محمود الورَّاق فقال:

عَجِبتُ من مُعْجَبٍ بصورتهِ ... وكان في الأصل نُطفةً مَذِرهْ
وهو غدًا بعد حُسْن صورتهِ ... يصيرُ في اللَّحد جيفةً قَذِرهْ
وهو على تِيهه ونَخْوتهِ ... ما بين ثوبيه يحمل العذِرهْ[٣]

وقال آخر:

هل في ابن آدم غيرُ الرأس مَكْرُمةٌ ... وهو بخمسٍ من الأوساخ مضروبُ
أنفٌ يسيل وأذْنٌ ريحُها سَهِكٌ[٤] ... والعين مُرْمَصَةٌ[٥] والثغْر ملعوبُ[٦]
يا ابن التراب ومأكولَ التراب غدًا ... قصِّرْ فإنَّك مأكولٌ ومشروبُ[٧]

وقيل: معناه من أجل ما يعلمون، وهو الأمر والنهي، والثواب والعقاب. كقول

---

(١) المطرف: بضم الميم وكسرها واحد المطارف، وهي أرديةٌ من خزٍّ مربعةٌ لها أعلام. مختار الصحاح (طرف).

(٢) ذكر هذه القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٥.

(٣) الأبيات ذكرها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨ دون نسبة. ونسبها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٨ لأبي محمد البافي.

(٤) السهك: هي ريحٌ كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق. اللسان (سهك).

(٥) الرَّمص: وسخ أبيض يجتمع في الموق. القاموس (رمص).

(٦) في (د) و(ق) و(م): ملهوب. والمثبت من (خ) و(ظ)، وغرر الخصائص الواضحة. وثغر ملعوب، أي: ذو لعاب، الصحاح (لعب).

(٧) الأبيات في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨. دون نسبة.

الشاعر وهو الأعشى[١]:

أأزْمَعْتَ من آل لَيْلى ابْتِكَارَا وشَطَّتْ عَلى ذِي هَوًى أن تُزَارَا

أي: من أجل ليلى[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أقسم. و«لا» صلة. ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ هي مشارقُ الشمس ومغاربُها. وقد مضى الكلام فيها[٣]. وقرأ أبو حَيْوَة وابن مُحَيْصِن وحُميد: «بِربّ المشرقِ والمغرب» على التوحيد[٤].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يقول: نقدرُ على إهلاكهم والذهاب بهم، والمجيء بخيرٍ منهم في الفضل والطوع والمال[٥].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتنا شيءٌ ولا يعجزنا أمرٌ نريده.

قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم؛ على جهة الوعيد. واشتغِلْ أنت بما أُمِرت به، ولا يَعظُمنَّ عليك شِركُهم؛ فإنَّ لهم يوماً يَلقَون فيه ما وُعِدوا. وقرأ ابنُ مُحَيْصِن ومجاهد وحُميد: «حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمْ الَّذِي يُوْعَدُونَ»[٦]. وهذه الآية

---

(١) في ديوانه ص٩٥ .

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٦٣ .

(٣) ٢/ ٣٢٤ .

(٤) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ عن ابن محيصن .

(٥) في (د): المثال .

(٦) وهي قراءة أبي جعفر - من العشرة - كما في النشر ٢/ ٣٩١ . وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦ .

منسوخة بآية السيف[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾

«يَوْمَ» بدل من «يَوْمَهُمُ» الذي قبله، وقراءةُ العامة: «يَخْرُجُونَ» بفتح الياء، وضمِّ الراء على أنَّه مسمَّى الفاعل. وقرأ السُّلَمِيُّ والمغيرةُ والأعشى عن عاصم: «يُخْرَجون» بضمِّ الياء، وفتح الراء على الفعل المجهول[٢].

والأجداث: القبور، واحدها جَدَث[٣]. وقد مضى في سورة يس[٤].

﴿سِرَاعًا﴾ حين يسمعون الصيحةَ الآخرة إلى إجابة الداعي، وهو نصبٌ على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد. وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد[٥]. وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد[٦]. والنَّصْب والنُّصْب لغتان، مثل الضَّعْف والضُّعْف[٧]. الجوهريُّ[٨]: والنَّصْب ما نُصِب فعُبِد من دون الله، وكذلك النُّصْب بالضمِّ؛ وقد يُحرَّك. قال الأعشى:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦، وقال ابن الجوزي: وإذا قلنا إنه وعيدٌ بلقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١، ونسبها لعلي ﷺ. وهي برواية الأعشى عن عاصم في جامع البيان لأبي عمرو الداني ٢/ ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٤.

(٤) ١٧/ ٤٦٢.

(٥) السبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤.

(٦) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ لأبي العالية، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ للحسن وقتادة.

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣٣.

(٨) في الصحاح (نصب).

وذَا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه   لعافيةٍ[١] واللهَ ربَّك فاعْبُدا[٢]

أراد «فَاعْبُدَنْ» فوقف بالألف؛ كما تقول: رأيتُ زيداً. والجمع الأنصاب. وقوله: «وذا النُّصُبَ» بمعنى إيَّاك وذا النُّصُبَ. والنُّصْب: الشرُّ والبلاء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقال الأخفش والفرَّاء: النُّصُب جمع النَّصْب مثل رَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع نُصُب؛ فهو جمع الجمع[٣]. وقيل: النُّصُب والأنصاب واحد. وقيل: النُّصُب جمع نِصاب، وهو حجرٌ أو صنمٌ يُذبَح عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. وقد قيل: نَصْب ونُصْب ونُصُب؛ بمعنًى واحد؛ كما قيل: عَمْر وعُمْر وعُمُر؛ ذكره النحاس[٤].

قال ابن عباس: «إلى نصب» إلى غاية، وهي التي تَنْصِب إليها بصرك.

وقال الكلبيُّ: إلى شيءٍ منصوبٍ؛ عَلَمٍ أو رَايةٍ[٥]. وقال الحسن: كانوا يَبْتَدرون إذا طَلعت الشمس إلى نُصُبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، لا يلوي أوَّلهم على آخرهم[٦].

﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرعون. والإيفاض: الإسراع. قال الشاعر:

فوارسُ ذُبْيانَ تحت الحديـ   ـدِ كالجنِّ يُوفِضْنَ من عَبْقَرِ[٧]

---

(١) قوله: لعافية، من (م)، ووقع في مطبوع الصحاح: لعاقبة، وفي اللسان (نصب): لعافية، وأشار محقق اللسان إلى أنها وردت في نسخة خطية للصحاح: لعافية.

(٢) ديوان الأعشى ص١٨٧، ورواية الشطر الثاني فيه: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا.

(٣) قول الأخفش ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٣٦، وقول الفراء ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات ص٧٢٥.

(٤) وهو معنى قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٦٨، وينظر الصحاح واللسان (نصب).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٧، وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥٥، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٩٦ بنحوه.

(٧) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٤٦٥، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٩٥.

عبْقَرٌ: موضعٌ تزعُم العرب أنَّه من أرض الجنّ . قال لبِيد:

كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ كـجِـنَّـةِ عـبـقـرِ[١]

وقال الليث: وَفَضتِ الإبلُ تَفِض وَفْضًا؛ وأَوفضَها صاحبُها[٢]. فالإيفاض متعدٍّ، والذي في الآية لازم. يقال: وَفَضَ وأَوفَضَ واستوفض، بمعنى أسرع[٣].

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلةً خاضعة، لا يرفعونها لِمَا يتوقعونه من عذاب الله.

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سوادُ الوجوه. والرَّهَق: الغشيان، ومنه غلامٌ مراهقٌ: إذا غشي الاحتلام. رَهِقَه - بالكسر - يَرْهَقُه رَهَقًا، أي: غَشِيَه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦][٤].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ أي: يوعدونَه في الدنيا أنَّ لهم فيه العذاب. وأخرجَ الخبرَ بلفظ الماضي؛ لأنَّ ما وعدَ اللهُ به يكونُ ولا محالة.

والحمد لله.

---

(١) ديوانه ص٥٤ . وصدره: ومن قَادَ من إخوانهم وبنيهمِ، والكلام في الصحاح (عبقر).

(٢) تهذيب اللغة ١٢/ ٨٢ .

(٣) الصحاح (وفض) .

(٤) الصحاح (رهق) .

سُورَةُ المَعَارِج

مَكِّيَّةٌ، وآيُها أربعٌ وأربعونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾؛ أي: دَعا داعٍ به بمَعنى: استدعاهُ، ولذلك عُدِّيَ الفعلُ بالباءِ، والسَّائلُ: نضرُ بنُ الحارثِ، فإنَّه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٢] [١].

أو: أبـو جهلٍ فإنَّـه قال: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] سـألَهُ استهزاءً [٢].

أو: الرَّسولُ عليه السَّلامُ استعجلَ بعَذابِهم [٣].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿سالَ﴾ [٤]، وهو إمَّا مِن السُّوالِ على لغةِ قُريشٍ [٥]، قال:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار في «مسنده» (٥٠٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر ما قاله النضر.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٠)، لكنه ذكر أنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾.

(٣) ذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩) وعده من الغرائب.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٥) قولُه: «منَ السّوالِ» بالواوِ الصَّريحةِ بكسرِ السِّينِ وضمِّها. قاله الشهاب، وزاد: وكونُ الواوِ فيه =

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ[١]

أو مِن السَّيَلانِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (سالَ سيلٌ)[٢] على أنَّ السَّيلَ مصدرٌ بمعنى السَّائلِ كالغورِ، والمَعنى: سالَ وادٍ بعذابٍ. ومضيُّ الفعلِ لتحقُّقِ وُقوعِه[٣]: إمَّا في الدُّنيا وهو قتل بدر، أو في الآخرةِ وهو عذابُ النَّارِ.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صفةٌ أخرى لـ(عذابٍ) أو صلةٌ لـ﴿وَاقِعٍ﴾ وإن صحَّ أن السُّؤالَ كان عمَّنْ يقعُ به العذابُ كان جوابًا، والباءُ على هذا لتضمُّنِ ﴿سَأَلَ﴾ مَعنى: اهتمَّ.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ يردُّه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مِن جِهتِه لتَعلُّقِ إرادتِه به ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي المصاعدِ وهي الدَّرجاتُ التي يَصعدُ فيها الكلمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالحُ، أو يترقَّى فيها المؤمنونَ في سُلوكِهم أو في دارِ ثَوابِهم، أو مراتبُ الملائكةِ، أو السَّماواتُ فإنَّ الملائكةَ يَعرجونَ فيها.

(٤) ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ استئنافٌ

= أصليّةً وهو لغةُ قُريشٍ فيه نظرٌ؛ لأنَّ المُصرَّحَ به في كتب اللُّغةِ والعربيّةِ خلافُه، وفي «كتابِ سيبويهِ»: أنَّ لغةَ أهلِ الحجازِ همزُه وتحقيقُ الهمزةِ فيه، حتَّى قالَ: إنَّ الألفَ مُبدلةٌ منَ الهمزةِ، وإنَّه على خلافِ القياسِ المقصورِ على السَّماعِ، وكيفَ لا والقرآنُ ورَدَ بخلافِهِ، وهو قد نزَلَ على لغةِ قُريشٍ إلّا ما ندَرَ؟ وانظر: «الكتاب» (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤).

(١) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «ديوانه» (١/ ٤٤٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٨٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٥٤).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قولُه: «ومُضِيُّ الفعلِ...» هو على الأوَّلِ حقيقةٌ، والتَّجوُّزُ في قولِه: ﴿وَاقِعٍ﴾، وعلى الأخيرِ مجازٌ لأنَّ العذابَ لم يحلَّ بهم. قاله الشهاب.

لبيانِ ارتفاعِ تلك المعارجِ وبُعدِ مَداها وقَدْرِها على التَّمثيلِ والتَّخييلِ، والمعنى: أنَّها بحيثُ لو قُدِّرَ قَطعُها في زمانٍ لكانَ في زمانٍ يقدَّرُ بخمسينَ ألفَ سنةٍ مِن سِنِي الدُّنيا.

وقيل: مَعناه: تعرجُ الملائكةُ والرُّوحُ إلى عرشِه في يوم كانَ مِقدارُهُ كمقدارِ خمسينَ ألفَ سنةٍ مِن حيثُ إنَّهم يقطعونَ فيه ما يَقطعُه الإنسانُ فيها لو فُرِضَ، لا أنَّ ما بين أسفَلِ العالمِ وأعلى شرفاتِ العرشِ مسيرةُ خمسينَ ألفَ سنةٍ؛ لأنَّ ما بينَ مركزِ الأرضِ ومقعَّرِ السَّماءِ الدُّنيا ـ على ما قيل ـ مَسيرةُ خمسِ مئةِ عام، وثخنُ كلِّ واحدٍ مِن السَّماواتِ السَّبعِ والكرسيِّ والعرشِ كذلك، وحيثُ قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يريدُ به زمانَ عُروجِهم مِن الأرضِ إلى محدَّبِ السَّماءِ الدُّنيا.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾، أو ﴿سال﴾ إذا جُعِلَ من السَّيلانِ، والمرادُ به يومُ القيامةِ[1]، واستطالَتُه إمَّا لشِدَّتِه على الكفَّارِ، أو لكثرةِ ما فيه مِن الحالاتِ والمحاسباتِ، أو لأنَّه على الحقيقةِ كذلك.

والرُّوحُ جبرئيلُ، وإفرادُه لفَضلِه، أو خلقٌ أعظَمُ مِن الملائكةِ.

وقرأ الكسائي: ﴿يَعْرُجُ﴾ بالياء[2].

(٥) ـ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا يَشوبُه استعجالٌ واضطرابُ قلبٍ، وهو متعلِّقٌ بـ﴿سَأَلَ﴾ لأنَّ السُّؤالَ كان عن استهزاءٍ وتعنُّتٍ وذلك مما يُضجرُه، أو عن تضجُّرٍ واستبطاءٍ للنَّصرِ، أو بـ﴿سال﴾[3] لأنَّ المعنى: قَرُبَ وقوعُ العذابِ فاصبِرْ فقد شارفْتَ الانتقامَ.

---

(١) قولُه: «والمُرادُ به يومُ القيامةِ» يعني: على هذا التَّفسيرِ. قاله الشهاب.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) أي: بالألف على قراءة نافع وابن عامر: ﴿سال سائل﴾، أو على قراءة: (سال سيل)، في الوجهَين؛ =

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ الضَّميرُ للعذابِ أو ليومِ القيامةِ ﴿بَعِيدًا﴾ مِن الإمكانِ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ منه، أو: من الوقوعِ.

(٨) ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ظرفٌ لـ﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: يمكنُ يومَ تكون، أو لِمُضمرٍ دلَّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾، أو بدلٌ عَن ﴿فِى يَوْمٍ﴾ إن عُلِّقَ به.

والمُهلُ: المذابُ في مَهَلٍ[١] كالفلزات، أو دُرْدِيُّ[٢] الزيت.

(٩) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ المصبوغِ ألوانًا؛ لأنَّ الجبالَ مُختلفَةُ الألوانِ فإذا بُسَّتْ وطيرَتْ في الجوِّ أشبهَتِ العهنَ المنفوشَ إذا طيَّرَتْهُ الرِّيحُ.

(١٠) ـ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: ولا يسألُ قريبٌ قريبًا عن حالِه[٣].

وعن ابنِ كثيرٍ: ﴿ولا يُسأَلُ﴾ على بناءِ المفعولِ[٤]؛ أي: لا يُطلَبُ مِن حميمٍ حميمٌ، أو: لا يُسأَلُ مِنه حالُه.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئنافٌ، أو حالٌ تدلُّ على أنَّ المانعَ عَن السُّؤالِ هو التَّشاغلُ دونَ الخفاءِ، أو ما يغني عنه مِن مُشاهدةِ الحالِ كبَياضِ الوَجهِ وسَوادِه، وجمعُ الضَّميرينِ لعُمومِ الحَميمِ.

= لأنَّ معناهُ حينَئذٍ: قرُبَ وقوعُ العذابِ، فيظهرُ تفريعُ الأمرِ بالصَّبرِ عليه، والحاصلُ أنَّه مُتعلِّقٌ به على القراءاتِ كلِّها. قاله الشهاب.

(١) قولُه: «المُذابُ في مَهَلٍ»؛ أي: ما تقعُ إذابتُه في زمانٍ مُـمتَدٍّ، لا ما يُذابُ بسرعةٍ كالسَّمنِ. قاله الشهاب.

(٢) قوله: «أو دُرديُّ الزيت» عطف على «المذابُ». قال الشهاب: والدُّرْدِيُّ: بضمِّ الدّالِ وتشديدِ الياءِ: ما يتجَمَّدُ في قَعرِه.

(٣) قوله: «ولا يسأل قريب قريبًا عن حاله» وقع بدلًا منه في نسخة التفتازاني: «استئناف أو حال».

(٤) وهي قراءة البزي عن ابن كثير بخلف عنه، وأبي جعفر، انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حالٌ مِن أحدِ الضَّميرينِ، أو استئنافٌ يدلُّ على أنَّ اشتغالَ كلِّ مجرمٍ بنفسِه بحيثُ يَتمنَّى أن يفتديَ بأقربِ النَّاسِ وأعلَقِهم بقلبِه فَضْلًا أن يهتمَّ بحالِه ويسألَ عنها.

وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم ﴿يومَئِذٍ﴾[1].

وقُرِئَ بتنوين (عذابٍ) ونصبِ (يومَئذ)[2] به لأنَّه بمَعنى تَعذيبٍ.

(١٣) ـ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: وعشيرَتِه الذين فُصِلَ عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تضمُّهُ في النَّسَبِ وعندَ الشَّدائدِ.

(١٤) ـ ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن الثَّقلينِ أو الخلائقِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطفٌ على ﴿يَفْتَدِى﴾؛ أي: ثمَّ لو يُنْجيهِ الافتداءُ و﴿ثُمَّ﴾ للاستبعادِ.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ للمُجرمِ عن الودادةِ ودلالةٌ على أنَّ الافتداءَ لا ينجيهِ.

﴿إِنَّهَا﴾ الضَّميرُ للنَّارِ، أو مبهمٌ يفسِّرُه ﴿لَظَىٰ﴾ وهو خبرٌ أو بدلٌ.

أو للقصَّةِ[3]، و﴿لَظَىٰ﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ﴾ وهو اللهبُ الخالصُ، وقيل: عَلَمٌ للنَّارِ منقولٌ عَن اللَّظى بمَعنى اللهبِ.

وقرأ حفصٌ عَن عاصمٍ: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنَّصبِ[4] على الاختِصاصِ، أو الحالِ المؤكِّدةِ أو المنتقلةِ على أنَّ ﴿لَظَىٰ﴾ بمعنى: مُتلظِّيَةٍ[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٦).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢) عن أبي حيوة.

(٣) في نسخة التفتازاني: «للشأن». وقال الشهاب: قولُه: (للقِصّةِ) معطوفٌ على قولِه: «للنّارِ».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٥) قولُه: «على الاختصاصِ»؛ يعني به تقديرَ «أعني» أو «أخُصُّ» لا مُصطلَحَ النُّحاةِ، والمُصنِّفُ كالزَّمخشريِّ يَستعمِلُه بهذا المعنَى كثيرًا، وقولُه: «المُؤكِّدةِ»؛ لأنَّه لا ينفكُّ عنها التَّلظِّي، وقولُه: «أو =

والشَّوَى الأطرافُ، أو جمعُ شواةٍ وهي جلدةُ الرَّأسِ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿تَدْعُواْ﴾: تجذبُ وتحضرُ كقولِ ذي الرُّمَّةِ:

تَدْعُـو أَنْفَـهُ الرِّبَـبُ[1]

مجازٌ مِن جَذبِها وإحضارِها لِمَن فرَّ عنها.

وقيل: تَدْعُو زَبانيتَها.

وقيل: ﴿تَدْعُواْ﴾: تُهلِكُ، مِن قولِهم: دعاهُ اللهُ: إذا أهلكَهُ.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطَّاعةِ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾: وجمعَ المالَ فجعلَهُ في وعاءٍ، وكنَزَهُ حِرصًا وتأميلًا.

= المُنتقِلةِ» لانفِكاكِه بالزَّمْهَريرِ ومُخالطةِ الدُّخانِ، وقولُه: «على أنَّ ﴿لَظَىٰ﴾ بمعنَى مُتلظِّيةٍ» فالحالُ مِنَ الضَّميرِ المُستترِ فيها لا من ﴿لَظَىٰ﴾؛ لأنَّها نكرةٌ أو خبرٌ. قاله الشهاب.

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٧٧)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٦٢)، و«الصحاح» (مادة: ربب). وتمامه:

أَمْسَىٰ بِوَهْبِينَ مجتـازاً لِمَرْتَـعِـهِ ... مِنْ ذي الفوارِسِ تَدْعُـو أَنْفَهُ الرِّبَبُ

قال الباهلي شارح الديوان: أي: أمسى الثور مجتازاً لمرتعه، أي: اجتاز ليطلب مرتعه. وقوله: «يدعو أنفه الربب» كأن الربب تدعو الثور إليها، والربب لا تدعوه، وإنما هذا مثلٌ، يقول: لما شم الثور الربب أتاها، وكأنها دعته إلى نفسها.

وقال الشهاب في «الحاشية»: وهبين وذو الفوارس علمان لموضعين، و«مجتازاً لمرتعه»؛ أي: مارًّا بمحلٍّ يرتع فيه، و«الربب» بالراء المهملة والباءين الموحدتين بزنة عنب: جمع رِبَّة بالكسر والتشديد، وهو النبت الذي يرعى بالصيف وليس نبتاً معيناً، و«تدعو» فيه بمعنى: تجذب وتحضر في الأصل، وتُجُوِّز به عن كونه نبتاً حسناً لا تفارقه البقر إذا رأته، فجعل ذلك كأنه يدعوها على أنه استعارة تمثيلية أو تبعية.

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: شديدَ الحرصِ قليلَ الصَّبرِ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الضرُّ ﴿جَزُوعًا﴾: يكثرُ الجزعَ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾: السَّعةُ ﴿مَنُوعًا﴾: يبالغُ في الإمساكِ، والأوصافُ الثَّلاثةُ أحوالٌ مقدَّرةٌ أو محقَّقةٌ؛ لأنَّها طبائعُ جُبِلَ الإنسانُ عليها[1]، و(إذا) الأولى ظرفٌ لـ﴿جَزُوعًا﴾ والأخرى لـ﴿مَنُوعًا﴾.

(٢٢) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناءٌ للمَوصوفينَ بالصِّفاتِ المذكورةِ بعدُ مِن المطبوعينَ على الأحوالِ المذكورةِ قبلُ؛ لِمُضادَّةِ تلك الصِّفاتِ لها مِن حيثُ إنَّها دالَّةٌ على الاستغراقِ في طاعةِ الحقِّ[2]، والإشفاقِ على الخلقِ، والإيمانِ بالجزاءِ، والخوفِ مِن العُقوبَةِ، وكسرِ الشَّهوةِ، وإيثارِ الآجلِ على العاجلِ، وتلك ناشئةٌ مِن الانهماكِ في حُبِّ العاجلِ وقُصورِ النَّظَرِ عليه.

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: لا يشغلُهُم عنها شاغِلٌ ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ كالزَّكواتِ والصَّدقاتِ الموظَّفَةِ ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾: للَّذي يسألُ ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾: والذي لا يسألُ فيُحسَبُ غنيًّا فيُحرَمُ.

(٢٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تصديقًا بأعمالِهم، وهو أن يُتعبَ نفسَهُ ويصرِفَ مالَهُ طمعًا في المثوبةِ الأُخرويَّةِ، ولذلك ذُكِرَ الدِّينُ.

---

(١) قولُه: «أحوالٌ مُقدَّرةٌ...»؛ لأنَّه في حالِ الخلقِ لم يكُنْ كذلكَ، وإنَّما حصلَ له ذلك بعد تمامِ عقلِه ودخولِه تحتَ التَّكليفِ، إنْ أُريدَ اتِّصافُه بذلكَ بالفعلِ، فإن أُريدَ مَبدأُ هذه الأمورِ منَ الأمورِ الجبلِّيَةِ والطَّبائعِ الكلِّيَةِ المُندَرجةِ فيها تلكَ الصِّفاتُ بالقوَّةِ كانَت الحالُ غيرَ مُقدَّرةٍ، بل مُحقَّقةٌ. قاله الشهاب في «الحاشية». وفي كلام المصنف ردٌّ لِكلام الزمخشري في «الكشّافِ» منَ الانتصارِ لمذهبِه لـمَّا رأى الآيَةَ مُخالفةً له، وقد بيَّنه الشهاب أحسن بيان فلينظر ثمة.

(٢) في نسخة الفاروقي: «الطاعة للحق».

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون على أنفسِهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراضٌ يدلُّ على أنَّه لا ينبَغِي لأحدٍ أَنْ يأمنَ عذابَ اللهِ وإن بالغَ في طاعَتِه.

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ سبقَ تفسيرُه في سُورةِ المُؤمنينَ.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾: حافظونَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿لأمانتهم﴾[1] يعني: لا ينكرونَ ولا يُخفونَ ما علِموهُ مِن حُقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ.

وقرأ يعقوبُ وحفصٌ: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾[2] لاختلافِ الأنواعِ.

(٣٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيراعونَ شَرائطَها ويكملونَ فرائضَها وسُنَنَها.

وتكريرُ ذكرِ الصَّلاةِ ووَصفُهُم بها أوَّلًا وآخِرًا باعتبارينِ للدَّلالةِ على فضلِها وإنافَتِها[3] على غيرِها، وفي نظمِ هذه الصَّلاةِ مُبالغاتٌ لا تَخفَى[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩١).

(٣) «وإنافَتِها» بمعنَى: شرفِها وعُلوِّ قَدرِها؛ وجاء في هامش نسخة التفتازاني: «أي: إعلاء قدرها، يقال: أناف على كذا، إذا أشرف عليه».

(٤) ومُبالغاتُ هذه الصَّلاةِ هي: من جهةِ ما يُفيدُه الموصولُ من أنَّ صلتَه أمرٌ مُحقَّقٌ معلومٌ، وتقديمِ «هم» المُقوِّي للحكمِ، وتقديمِ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ الدّالِّ على أنَّ مُحافظَتَهم لأمورِ الآخرةِ لا يتجاوَزُها لأمورِ الدُّنيا، وصيغةِ المُفاعلةِ مع ما يُعرَفُ من تعظيمِ الموصوفِ لمَن له ذوقٌ سليمٌ. قاله الشهاب.

(٣٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ بثوابِ اللهِ.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولَك ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مُسرعينَ ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فرقًا شتَّى: جمعُ عِزَةٍ، وأصلُها: عِزوَةٌ، مِن العَزْو، كأنَّ كلَّ فرقةٍ تعتَزِي إلى غيرِ مَن تعتَزِي إليه الأُخرى.

كان المشركونَ يحلِّقونَ حولَ رسولِ اللهِ حَلَقًا حَلَقًا ويَستهزئُونَ بكَلامِه[1].

(٣٨) ـ ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ بلا إيمانٍ، وهو إنكارٌ لقولهم: لو صحَّ ما يقولُه لَنكونُ فيها أفضلَ حظًّا منهم كما في الدُّنيا.

(٣٩) ـ ﴿كَلَّآۖ﴾ ردعٌ لهم عن هذا الطَّمعِ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ تعليلٌ له، والمعنى: إنَّكُم مَخلوقونَ مِن نُطفةٍ قَذِرةٍ لا تناسِبُ عالمَ[2] القُدسِ، فمَنْ لَمْ يَسْتكْمِلِ بالإيمانِ والطَّاعةِ ولم يتخلَّقْ بالأخلاقِ الملكيَّةِ لم يستعدَّ دُخولَها[3].

أو: إنَّكُم مَخلوقونَ مِن أجلِ ما تعلمونَ، وهو تكميلُ النَّفسِ بالعلمِ والعملِ[4]، فمَنْ لم يَستكْمِلْها لم يُبَوَّأْ في مَنازِلِ الكاملينَ.

أو استدلالٌ بالنَّشأةِ الأولى على إمكانِ النَّشأةِ الثَّانيةِ التي بنوا الطَّمعَ على فَرْضِها فَرْضًا مستحيلًا عندَهُم بعد رَدعِهِم عنه[5].

---

(١) دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٣٦٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٤٥).

(٢) في نسخة الفاروقي: «جوار».

(٣) قولُه: «لم يستَعِدَّ دُخولَها» ضمَّنَه معنى «يستَحِقُّ» فعدَّاهُ بنفسِه، ولولاه كان الظَّاهرُ أن يقولَ: «للدُخولِها»؛ فإنَّه يتعدَّى باللَّامِ، فالمُرادُ على هذا بـ«ما يعلَمونَ» النُّطفةُ، و«مِن» ابتدائيَّةٌ، وضميرُ «دُخولِها» للجنَّةِ. قاله الخفاجي.

(٤) قولُه: «أو إنَّكم مخلوقُونَ من أجلِ ما تعلَمُونَ» فـ«مِن» تعليليَّةٌ، و«ما» الموصولةُ عبارةٌ عن العلمِ والعملِ، فهو كقولِه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قاله الخفاجي.

(٥) قولُه: «أو استِدلالٌ» معطوفٌ على قولِه: «تعليلٌ»، وقولُه: (بعدَ رَدْعِهِم) يتعلَّقُ بقولِه: «استِدلالٌ»، =

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: أن نهلكَهُـم ونأتـيَ بخلـقٍ أمثَلَ مِنْهُـم، أو نُعطـيَ محمدًا بدلَهُـم مَن هو خيـرٌ مِنْهُم وهم الأنصـارُ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: بمغلوبيـنَ إن أرَدْنـا.

(٤٢) ـ ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ مرَّ في آخرِ الطُّورِ.

(٤٣) ـ ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾: مُسرعينَ إلى الداعي جمعُ سَريعٍ ﴿كأنهم إلى نُصْبٍ﴾ منصوبٍ للعبادةِ أو عَلَمٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرِعُونَ.

وقـرأ ابنُ عامرٍ وحَفصٌ: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمِّ النُّونِ والصَّادِ، والباقونَ مِن السَّبعةِ: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتحِ النُّونِ وسُكونِ الصَّادِ[1]، وقُرِئَ بالضمِّ[2] على أنَّه تخفيفُ ﴿نُصُبٍ﴾ أو جمع ﴿نَصْبٍ﴾.

(٤٤) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ مرَّ تَفسيرُه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا.

عن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأ سُورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أعطاهُ اللهُ ثوابَ الذينَ هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ»[3].

***

= وضميرُ «عنه» للطَّمعِ. قاله الخفاجي.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٢) أي: مع سكون الصاد، وهي رواية عن ابن عامر في غير المشهور عنه. انظر: «جامع البيان» للداني (٤/ ١٦٥٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سورة المعارج(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. قال الجمهور: نزلت(2) في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ۝٣٢﴾ الآية [الأنفال]. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [الحاقة] أخبر عمّا صدر عن بعض المكذبين بنعم الله تعالى، وإن كان السائل نوحاً أو الرسول فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ جملة اعتراض بين العامل والمعمول. وقيل: يتعلق

---

(1) مكية وهي أربع وأربعون آية.

(2) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

بـ«دافع» أي: [٥٥٦/أ] من جهته إذا جاء وقته.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [«المعارج»] لغةً: الدرج، وهنا استعارة. قال ابن عباس: في الرّتب والفواصل والصفات الحميدة. وقال ابن عباس أيضاً: «المعارج» السماوات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام، خُصّ بالذكر تشريفاً. والظاهر أن معنى ﴿تَعْرُجُ﴾ في يوم من أيامكم هذه، ومقدار المسافة لو[١] عرجها آدمي، خمسون ألف سنة. والجملة من قوله «تعرج» اعتراض.

ولمّا كانوا قد سألوا استعجال العذاب، وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب، وكانوا قد وُعدوا به - أمره تعالى بالصبر.

والضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ عائد على العذاب، أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة. وهذا الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: هيّناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذّر. وكلّ ما هو آتٍ قريب. والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ [«يوم» منصوب بإضمار فعل أي: يقع يوم تكون]، أو: يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو بـ«قريباً»[٢]، أو بدل من ضمير «نراه» إذا كان عائداً[٣] على يوم القيامة. و«المهل» دُرْديّ[٤] الزيت.

---

(١) ق: أن لو.

(٢) ق: تقريباً.

(٣) ق: عائد.

(٤) دُرديّ الزيت: ما يبقى في أسفله.

﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ الصوف المنفوش الذي طيّرته الرّيح.

﴿وَلَا[1] يَسۡـَٔلُ﴾ أي: [لا] يسأله نصرة[2] ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ استئناف كلام. قال ابن عباس: في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفرّ عنه لشغله بنفسه.

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ أي: الكافر. وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذّب.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أقرباته الأدنَيْن[3]. ﴿تُـٔۡوِيهِ﴾ تضمّه انتماءً[4] إليها.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على [«يفتدي» على] تقدير: ينجيه بالافتداء.

و﴿كَلَّآۖ﴾ ردع لودادتهم الافتداء، أو تنبيه على أنه لا ينفع. ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للقصة. و﴿لَظَىٰ نَزَّاعَةً﴾ تفسير لها. والشّوى: جلدة الرأس. والشّوى: القوائم.

﴿تَدۡعُواْ﴾ أي: جهنم. ﴿مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق وتولّى. ﴿وَجَمَعَ﴾ أي: جمع المال فأوعاه وكنزه ولم يؤدّ حق الله تعالى فيه. وهذه إشارة إلى كفار أغنياء.

﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ

(١) ق: لا.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) ق: الأدنون.

(٤) ق: ابتماء، وفوقها: كذا.

مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم
مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جنس، ولذلك استثنى منه «إلا المصلين». والإنسان إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. ولمّا كان شدّة الجزع والمنع متمكّنة في الإنسان جُعل كأنه خُلق مجبولاً عليهما، كقوله ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]. و«الخير» المال. ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ استثناء كما قلنا من «الإنسان».

ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي حازوها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ
ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ
ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ
وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ
يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ الآية، كان عليه السلام يصلي عند الكعبة، ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفّون به حلقا حلقا[1] يستمعون [٥٥٦/ب] ويستهزئون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد،

---

(١) ق: خلقاً خلقاً.

فلندخلنّها قبلهم، فنزلت[١]. ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾ أي: في الجهة التي تليك. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: عن يمينك وعن شمالك.

و﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَة. وجُمع جَمْع سلامة شذوذاً فقيل: عِزُون في الرفع وعِزِين في النصب والجر. وهو منصوب على الحال.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أنشأناهم من نطفة مَذِرة[٢]، فنحن قادرون على إعادتهم وبعثهم يوم القيامة، وعلى الاستبدال بهم خيراً منهم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته، على إيجاب قدرته، على أن يبدّل خيراً منهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف[٣].

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يومهم» والنُّصب: ما نُصب للإنسان فهو يقصده[٤] مسرعاً إليه من عَلَم أو بناء أو صنم. وغُلّب في الأصنام حتى قيل الأنصاب. ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

وقرأ الجمهور: ذلّة، منوّناً. ذلك اليومُ: برفع الميم مبتدأ وخبر.

(١) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

(٢) مذرة: فاسدة.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

(٤) ق: يقصد.

مفردات سورة المعارج

العِهْنُ: الصُّوف دون تقييد، أو الأحمر، أو المصبوغ ألواناً، أقوال.

الفَصيلة؛ قال ثعلب: الآباء الأَدْنَوْن، وقَال أبو عبيدة: الفَخِذ[1]، وقيل: عشيرتُه الأقربون.

«لَظَى» اسم لجهنَّم، أو للدَّرْكَة الثانية من دَرَكاتِها، وهو عَلَم منقول من اللَّظَى، وهو اللَّهَب، ومُنع الصرفَ للعلميَّة والتأنيث.

الشَّوَى جمع شَواة، وهي جلدةُ الرأس، وقال الأعشى:

قالَتْ قُتَيْلَةُ مَالَهُ   قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ[2]

والشَّوَى: جِلْدُ الإنسان، والشَّوَى: قوائمُ الحيوان، والشَّوَى: كلُّ عضوٍ ليس بمقتل، ومنه: رَمَى فأَشْوَى: إذا لم يُصب المقتل. والشَّوَى: رُذال[3] المال، والشَّوَى: الشيءُ الهيِّنُ اليسير.

الهَلَع: الفَزَعُ والاضطرابُ السريعُ عند مَسِّ المكروه، والمنعُ السريعُ عند مسِّ الخير، من قولهم: ناقةٌ هِلْواع[4]: سريعةُ السَّيْر.

---

(١) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، ونقل القرطبي ٢١/ ٢٣٠ عنه: الفصيلة دون القبيلة. اهـ. والفَخِذ ـ كما في القاموس ـ حيُّ الرَّجل إذا كان من أقرب عشيرته.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٣.

(٣) تحرَّفت اللفظة في المطبوع إلى: زوال. وينظر الكلام في الصحاح (شوى) والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) المثبت من (يه)، وتحرفت في النسخ الأخرى والمطبوع إلى: هلوع، والكلام في الكشاف ٤/ ١٥٨.

وقال أبو عبيدة: الهَلَع في اللغة: أشدُّ الحِرْص وأسوأُ الجَزَع[١].

الجَزَع: الخوف، قال الشاعر:

جَزِعْتُ ولم أجْزَعْ من البَيْنِ مَجْزَعا[٢]

عِزين جمع عِزَة، قال أبو عبيدة: جماعات في تفرقة[٣].

وقيل: الجمعُ اليسير، كثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة[٤].

وقال الأصمعي: في الدار عِزُون، أي: أصنافٌ من الناس[٥]. قال عنترة:

وقِرْنٍ قد تركتُ لِذِي وَلِيٍّ ... عليهِ الطيرُ كالعُصَبِ[٦] العِزِينِ[٧]

وقال الراعي:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّ عَشِيرتي ... أمسى سَوَامُهُمْ عِزِينَ فُلُولا[٨]

وقال الكُمَيْت[٩]:

---

(١) لفظ قول أبي عبيدة في مجاز القرآن: قد فسَّرها: لا يصبر، إذ مسَّه الشرُّ جَزُوعاً، وإذا مسَّه الخير منوعاً، والهلوع مصدره، وهو أسوأ الجَزَع.

(٢) هو صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: وعزَّيتُ قلباً بالكواعب مولعاً، وسلف في تفسير الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠، ونقله عنه أيضاً القرطبي ٢١/ ٢٤١.

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠.

(٥) الصحاح (عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.

(٦) في المطبوع: كالغصن. والبيت غير واضح في (أ).

(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢، وروايتُه في ديوان عنترة ص١٧٩:

وقِرْنٍ قد تركتُ لدى مَكَرٍّ ... عليه سبائباً كالأرجوانِ

القِرْنُ: الكُفْؤُ في الشجاعة، والعُصَبُ: جمع عُصْبَة، وهي هنا جماعة الطير.

(٨) ديوان الراعي ص٢٢٨، ورواية صدره منه: أوَلِيَّ أَمْرِ اللهِ إنَّ عشيرتي. ورواية عجزه في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤١: أمْسَى سَرَاتُهُمُ إليك عِزِينا. وفي تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١: سوائمهم، بدل: سوامهم.

(٩) ديوانه ص٤٤٨.

ونــحــنُ وجَــنْــدَلٌ بــاغٍ تَــرَكْــنَــا كــتــائــبَ جَــنْــدَلٍ شَــتَّــى عِــزِيــنَــا

وقال آخر:

تَــرَانــا عــنــدَهُ والــلــيــلُ داجٍ عــلــى أبــوابِــه حِــلَــقــاً عِــزِيــنَــا[1]

وقال آخر:

فــلــمَّــا أنْ أَتَــيْــنَ عــلــى أُضــاخٍ ضَــرَحْــنَ حَــصَــاهُ أشْــتَــاتــاً عِــزِيــنَــا[2]

«عِزَة» ممَّا حُذِفَ لامُه، فقيل: هي واو، وأصلُه عِزْوَة، كأنَّ كلَّ فِرْقَة تعتَزِي إلى غيرِ مَنْ تَعْتَزِي إليه الأخرى، فهم متفرِّقون[3]، ويقال: عَزَاه يَعْزُوه: إذا أضافَه إلى غيرِه.

وقيل: لامُها هاء، والأصل عِزْهَة، وجُمعت «عِزَة» بالواو والنون كما جُمعت «سنة» وأخواتُها بذلك، وتكسر العين في الجمع وتضمّ، وقالوا عِزًى على فِعَل، ولم يقولوا: عِزَات[4].

* * *

سورة المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا

(١) النكت والعيون ٦/ ٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤١.

(٢) الصحاح (ضرح - عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢. أُضاخ: اسم جبل كما في معجم البلدان، وضَرَح أي: دفعَ.

(٣) الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٤) ينظر الصحاح (عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢.

يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ
﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ
﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، قال الجمهور: نزلت في النَّضْر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾الآية[1] [الأنفال: ٣٢].

وقال الربيع بن أنس: في أبي جهل[2]، وقيل: في جماعة من قريش قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ الآية[3].

وقيل: السائلُ نوحٌ عليه السلام، سأل العذابَ على الكافرين[4].

وقيل: السائلُ رسولُ الله ﷺ، سألَ اللهَ أن يُشَدِّدَ وَطْأتَهُ على مُضَر، الحديث، فاستجابَ الله دعوتَه[5].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (١١٥٥٦)، والمستدرك ٢/ ٥٠٢، عن ابن عباس، وينظر النكت والعيون ٦/ ٨٩، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٨-٢١٩.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٩، وهو في النكت والعيون ٦/ ٩٠ عن ربيع بن أبي حمزة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٠، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٩.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٩.

(٥) بنحوه في المصدر السالف، ودعاؤه ﷺ على مُضَر قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري (٦٢٠٠) ومسلم (٦٧٥).

ومناسبةُ أوَّلِها لآخِرِ ما قبلَها أنه لمَّا ذكرَ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝﴾ أخبرَ عمَّا صدرَ عن بعض المكذِّبين بنِقَمِ الله. وإنْ كانَ السائلُ نوحاً عليه السلام أو الرسول ﷺ فناسبَ تكذيب المكذبين أنْ دعا عليهم رسولُهم حتى يُصابوا فيعرفوا صدقَ ما جاءهم به.

وقرأ الجمهور: «سأَلَ» بالهمز، أي: دَعَا داعٍ، من قولهم: دَعَا بكذا: إذا استدعاه وطلبَه، فالباء على أصلها.

وقيل المعنى: بحث باحث واستفهم، قيل: فالباء بمعنى «عن».

وقرأ نافع وابنُ عامر: «سالَ» بألف[1]، فيجوز أن يكونَ قد أُبدلت همزتُه ألفاً، وهو بَدلٌ على غير قياس، وإنما قياسُ هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة من قال: سِلْتُ أَسَالُ، وعينُ الفعل واو[2]، حكاها سيبويه[3].

وقال الزمخشريّ[4]: هي لغة قريش، يقولون: سِلْتَ تَسَالُ، وهما يَتَسَايلان. انتهى.

وينبغي أنْ يُتَثَبَّتَ في قوله: إنها لغة قريش، لأنَّ ما جاءَ في القرآن من باب السؤال هو مهموز، أو أصلُه الهمز، كقراءة من قرأ: «وسَلُوا اللهَ من فَضْله» إذْ لا يجوزُ أن يكون من «سَالَ» التي عينُها واو، إذ كان يكونُ ذلك: وسَالوا الله، مثل: خافُوا الأمر، فيبعُد أن يجيء ذلك كلُّه على لغة قريش[5]، وهم الذين نزلَ القرآن بلغتهم إلا يسيراً فيه لغةُ غيرهم.

(١) السبعة ص٦٥٠، والتيسر ص٢١٤.
(٢) قوله: وعين الفعل واو، من (يه).
(٣) مثل خِفْتُ أخافُ، وينظر الكتاب ٣/ ٤٦٨ و٥٥٥، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢١.
(٤) الكشاف ٤/ ١٥٦.
(٥) في مطبوع البحر ٨/ ٣٣٢، والدر المصون ١٠/ ٤٤٦ عن البحر: لغة غير قريش! وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٠.

ثم جاء في كلام الزمخشري: وهما يتسايلان، بالياء، وأظنُّه من الناسخ، وإنَّما هو: يتساولان، بالواو كما حكاه أبو زيد عن العرب: هما يتساولان[١]، فإن توافقت النُّسخ بالياء، فيكون التحريف من الزمخشري، وعلى تقدير أنه من السؤال فسائل اسم فاعل منه. وتقدَّم ذكر الخلاف في السائل من هو. وقيل: «سالَ» من السَّيَلان، ويؤيِّدُهُ قراءةُ ابنِ عباس: «سالَ سَيْلٌ»[٢]. وقال زيد بن ثابت: في جهنَّم وادٍ يُسَمَّى سايلاً، وأخبرَ هنا عنه.

قال ابن عطية[٣]: ويحتمل إن لم يصحَّ أمرُ الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القَدَر بذلك العذاب قد استُعير له السيلُ لِما عُهد من نفوذِ السَّيل وتصميمه.

وقال الزمخشريّ: والسَّيْلُ مصدر في معنى السائل، كالغَوْر بمعنى الغائر، والمعنى: اندفعَ عليهم وادي عذاب، فذهبَ بهم وأهلكَهم. انتهى.

وإذا كان السائل هم الكفار فسؤالُهم إنَّما كان على أنه كَذِبٌ عندهم، فأخبرَ تعالى أنه واقع وعيداً لهم.

وقرأ أُبيّ وعبدُ الله: سالَ سالٌ، مثل: مالَ[٤]، بإلقاء صورة الهمزة ـ وهي الياء ـ من الخطّ تخفيفاً، قيل: والمراد: سائلٌ. انتهى. ولم يحك هل قرأا بالهمز أو بإسقاطها البتة، فإنْ قَرأا بالهمز فظاهر، وإنْ قَرأا بحذفها فهو مثل «شاكٌ» في «شائك»[٥] حُذفت عينُه، واللامُ جَرَى فيها الإعراب.

والظاهر تعلُّق «بعذاب» بـ «سألَ»، وقال أبو عبد الله الرازيّ: يتعلَّق بمصدر دلَّ

(١) قوله: كما حكاه... الخ، من (به).

(٢) القراءات الشاذة ص١٦١، والمحتسب ٢/ ٣٣٠، والكشاف ٤/١٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وزاد المسير ٨/٣٥٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤ وقول زيد السالف فيه وفي تفسير كل من الثعلبي ٢٧٥، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨ والقرطبي ٢١/ ٢٢٠.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ (والكلام فيه): مثل: قال قالٌ.

(٥) توضِّحها عبارة الدر المصون ٨/ ٤٤٧: كما قيل: هذا شاكٌ، في: شائك السلاح.

عليه فعلُه، كأنه قيل: ما سؤالُه؟ فقيل: سؤاله بعذاب[١].

والظاهر اتصال «للكافرين» بـ «واقع» فيكون متعلِّقاً به، واللام للعلَّة، أي: نازلٍ بهم لأجلهم، أي: لأجلِ كفرِهم.

أو على أنَّ اللام بمعنى «على» قاله بعضُ النحاة، ويؤيِّدُه قراءة أُبيّ: «على الكافرين»[٢].

أو على أنه في موضع صفة أي: واقعٍ كائنٍ للكافرين، وقال قتادة والحسن: المعنى كأنَّ قائلاً قال: لمن هذا العذابُ الواقع؟ فقيل: للكافرين[٣]، وقال الزمخشريّ[٤]: أو بالفعل أي: دَعَا للكافرين. ثم قال: وعلى الثاني ـ وهو ثاني ما ذَكَرَ من توجيهِه في «الكافرين» قال ـ: هو كلام مبتدأ جوابٌ للسائل، أي: هو للكافرين. وكان قد قرَّرَ أنَّ «سأل» ضُمِّن معنى «دَعَا» فعُدِّيَ تعديتَه، كأنه قال: دَعَا داعٍ بعذاب، من قولك: دَعَا بكذا: إذا استدعاه وطلبَه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]. انتهى.

فعلى ما قرَّرَه أنه متعلِّق بـ «دَعَا» يعني بـ «سأل» فكيف يكونُ كلاماً مبتدأ جواباً للسائل، أي: هو للكافرين. هذا لا يصحّ، أخذَ قولَ قتادة والحسن وأفسدَه[٥].

---

(١) لم أقف عليه. وتعقَّب السمين في الدر ٨/ ٤٤٧ هذا الكلام بأن قوله أولاً: «متعلّق بمصدر دلَّ عليه فعل السؤال» ينافي تقديره بقوله: «سؤالُهم بعذاب» لأن الباء في هذا التركيب المقدَّر تتعلَّق بمحذوف لأنها خبر المبتدأ لا بالسؤال.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٣) المصدران السالفان.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٦.

(٥) وَهِمَ المصنِّف رحمه الله في نقله عن الزمخشري فنسبه إلى الغلط، فما ذكره عنه أنَّ «سأل» بمعنى «دعا» إنما هو القول الأول له، وأمَّا القول الثاني فهو أن «سأل» مضمَّن معنى: عُنِيَ واهتمَّ، أوردَه شارحاً فيه قول قتادة (السالف قريباً) وعليه يكون قوله «للكافرين» كلاماً مبتدأً جواباً للسائل، أي: هو للكافرين، نبَّه على هذا السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٤٤٩ ثم قال: والترتيب الذي رتَّبه الزمخشري في تعلُّق اللام من أحسن ما يكون صناعةً ومعنًى.

والأجودُ أن يكون «من الله» متعلِّقاً بقوله: «واقع» و«ليس له دافع» جملة اعتراض بين العامل والمعمول، وقيل: يتعلَّق بـ «دافع» أي: من جهته إذا جاء وقتُهُ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ «المعارج» لغةً الدَّرَجُ، وهنا استعارة، قال ابنُ عباس وقتادة: في الرُّتَبِ والفواضل والصفات الحميدة.

وقال ابن عباس أيضاً: المعارجُ السماواتُ، تعرجُ فيها الملائكةُ من سماء إلى سماء.

وقال الحسن: هي المراقي إلى السماء(١).

وقيل: المعارج الغُرف، أي: جعلَها لأوليائه في الجنة(٢).

«تعرجُ» قراءة الجمهور بالتاء على التأنيث، وعبدُ الله والكسائيّ وابنُ مِقْسَم وزائدة عن الأعمش بالياء(٣).

و«الرُّوح» قال الجمهور: هو جبريل؛ خُصَّ بالذِّكر تشريفاً، وأُخِّرَ هنا بعد «الملائكة»، وقُدِّم في قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

وقال مجاهد: ملائكةٌ حَفَظَةٌ للملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حَفَظَتَنا(٤).

وقيل: الرُّوحُ ملكٌ غيرُ جبريل عظيم الخِلْقَة.

وقال أبو صالح: خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس(٥).

---

(١) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وينظر أيضاً تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٠، والنكت والعيون ٦/ ٩٠، وزاد المسير ٨/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٣) السبعة ص٦٥٠ والتيسير ص٢١٤ عن الكسائي. وينظر معاني الفراء ٣/ ١٨٤، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥-٣٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٥) لفظهُ في النكت والعيون ٦/ ٩٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣: خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس.

وقال قَبِيصة بنُ ذُؤيب: روح الميت حين يُقْبَض[١].

«إليه» الضميرُ عائدٌ على الله تعالى، أي: إلى عرشه، وحيث يَهبِطُ منه أمرُه تعالى[٢].

وقيل: «إليه» أي: إلى المكان الذي هو محلُّهم، وهو في السماء لأنها محلُّ بِرِّهِ وكرامتِه[٣].

والظاهر أنَّ المعنى أنها تعرُجُ في يوم من أيامكم هذه، ومقدارُ المسافة أن لو عَرَجَها آدميٌّ خمسون ألف سنة. قاله ابنُ عباس[٤] وابنُ إسحاق وجماعة من الحُذَّاق منهم القاضي منذر بن سعيد، فإن كان العارجُ مَلَكاً فقال مجاهد: المسافةُ هي من قعرِ الأرضِ السابعة إلى العرش، ومن جعلَ الرُّوح جنس أنواع الحيوان قال وهب: المسافة من وجهِ الأرض إلى منتهى العرش.

وقال عكرمة والحَكَم: أرادَ مدةَ الدُّنيا، فإنها خمسون ألفَ سنة، لا يدري أحدٌ ما مَضَى منها وما بقي، أي: تعرجُ في مدَّة الدنيا وبقاء هذه البنية[٥].

وقال ابن عباس أيضاً: هو يوم القيامة.

وقيل: طولُه ذلك العدد، وهذا ظاهرُ ما جاء في الحديث في مانع الزكاة، فإنه قال: في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة[٦].

وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري: قدرُه في رَزَايَاه وهَوْلِهِ وشدَّتِه للكفار ذلك

(١) المصدران السالفان.
(٢) الكشاف ٤/ ١٥٧.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣.
(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ دون نسبة هذا القول لابن عباس، وقوله هو ما سيرد عنه لاحقاً.
(٥) قال الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٤٢١: هذا يحتاج إلى نقل صحيح. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وزاد المسير ٨/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٤.
(٦) هو في مسند أحمد (٧٧٢٠) وسنن النسائي الكبرى (١١٥٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٥.

العدد، وفي الحديث: يخفُّ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة[(١)].

وقال عكرمة: مقدارُ ما ينقضي فيه من الحساب قَدْرُ ما يقضى بالعدل في خمسين ألفَ سنة من أيام الدُّنيا[(٢)]، وقال الحسن نحوه.

وقيل: لا يُراد حقيقةُ العدد إنما أُريدَ به طُولُ الموقف يومَ القيامة وما فيه من الشدائد، والعربُ تصفُ أيام الشدَّة بالطُّول، وأيامَ الفَرَح بالقِصَر، قال الشاعر يصفُ أيامَ الفرح والسرور:

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عنَّا واصْطِفاقُ المَزَاهِرِ[(٣)]

والظاهرُ أنَّ قوله «في يوم» متعلِّق بـ «تَعْرُجُ» وقيل: بـ «دَافِع» والجملةُ من قوله: «تَعْرُجُ» اعتراض.

ولمَّا كانوا قد سألوا استعجالَ العذاب وكان السؤالُ على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وُعدوا به، أمرَه تعالى بالصبر، ومن جعلَه من السَّيَلان فالمعنى أنه أشرفَ على الوقوع.

والضمير في «يَرَوْنَه» عائد على العذاب، أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة، وهذا الاستبعادُ هو على سبيل الإحالة منهم.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: هيِّناً في قُدرتنا غيرَ بعيد علينا ولا متعذِّر، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، والبُعْدُ والقُرْبُ في الإمكان لا في المسافة.

---

(١) الحديث في مسند أحمد (١١٧١٧)، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٣ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ (ولفظُه منه).

(٣) نُسب البيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٨٤ لبعض الضَّبِّيين، ونُسب في الحيوان ٦/ ١٧٩، والصحاح (صفق)، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩ ليزيد بن الطَّثْرِيَّة، ونقل صاحب اللسان (صفق) عن ابن برِّي قوله: صوابُه لشُبرمة بن الطُّفيل.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ﴾ «يومَ» منصوب بإضمار فعل، أي: يقعُ يومَ تكون، أو: يومَ تكونُ السماءُ كالمُهْلِ كان كيت وكيت، أو بـ «قريباً»[١]، أو بدل من ضمير «نَرَاه» إذا كان عائداً على يوم القيامة.

وقال الزمخشريّ[٢]: أو هو بدل من «في يوم» فيمن علَّقه بـ «واقع» انتهى.

ولا يجوز هذا، لأنَّ «في يوم» وإن كان في موضع نصب لا يُبدلُ منه منصوب، لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تُراعى في التوابع، لأن حرف الجرّ فيها ليس بزائدٍ ولا محكوم له بحكم الزائد كـ «رُبَّ» وإنما يجوزُ مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله:

يا ابْنَيْ لُبَيْنَى لستُما بِيَدٍ إلا يَداً لَيْسَتْ لها عَضُدُ[٣]

ولذلك لا يجوز: مرَرْتُ بزيدٍ الخياطَ على مراعاة موضع «بزيد»، ولا: مَررْتُ بزيد وعمراً، ولا: غضبتُ على زيدٍ وجعفراً، ولا: مررتُ بعَمْرٍو أخاك، على مراعاة الموضع.

فإن قلت: الحركةُ في «يومَ تكونُ» حركةُ بناء لا حركةُ إعراب، فهو مجرورٌ مثل «في يوم».

قلت: لا يجوزُ بناؤه على مذهب البصريِّين لأنه أُضيفَ إلى مُعرب، لكنه يجوزُ على مذهب الكوفيِّين، فيتمشَّى كلامُ الزمخشريّ على مذهبهم إن كان استحضرَهُ وقصدَه[٤].

«كالمُهْل» تقدَّم الكلام عليه في سورة الدُّخان [٤٥].

---

(١) قال السمين: هذا ظاهر إذا كان الضمير في «نراه» للعذاب. الدر المصون ١٠/ ٤٥١.
(٢) الكشاف ٤/١٥٧، والقولان المذكوران قبله فيه أيضاً.
(٣) البيت لأوس بن حجر، وسلف في تفسير الآية (٣٥) من سورة القصص.
(٤) تعقَّب السمين الحلبي شيخه أبا حيَّان وقال: قولُه: إن كان استحضرَه، فيه تحاملٌ على الرَّجل، وأيُّ كبيرِ أمرٍ في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا؟! والتبجُّح بمثل هذا لا يليق ببعض الطلبة، فإنها من الخلافيات المشهورة شهرة: قِفا نَبْكِ. . . ينظر الدّرّ المصون ١٠/ ٤٥٣.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ يعني المنفوش، كما في القارعة، لمَّا نُسِفَتْ طارت في الجوّ كالصوف المنفوش إذا طيَّرتْه الرِّيح.

قال الحسن تُسَيَّرُ الجبالُ مع الرِّياح، ثم تَنْهَدُّ، ثم تصيرُ كالعِهْن، ثم تُنسَف فتصيرُ هَباءً[١].

وقرأ الجمهور: «ولا يَسْألُ» مبنياً للفاعل، أي: لا يسألهُ نَصْرَهُ ولا منفعتَه لعلمِه أنه لا يجدُ ذلك عندَه.

وقال قتادة: لا يسألُه عن حالِه لأنها ظاهرة[٢].

وقيل: لا يسألُه أن يحملَ عنه من أوزارِه شيئاً ليأسِه عن ذلك.

وقيل: شفاعة.

وقيل: «حميماً» منصوبٌ على إسقاط «عن» أي: عن حميم لِشُغله بما هو فيه.

وقرأ أبو حَيْوَة وشيبة وأبو جعفر والبزّيّ بخلاف عن ثلاثتهم مبنيًّا للمفعول، أي: لا يُسألُ إحضارَهُ، كلٌّ من المؤمن والكافر له سِيمَا يُعرفُ بها[٣].

وقيل: عن ذنوب حميمه ليُؤخَذَ بها.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئنافُ كلام؛ قال ابنُ عبَّاس: في المحشر يُبَصَّرُ الحميمُ حميمَه، ثم يَفِرُّ عنه لشُغلِه بنفسه[٤]، وقيل: يُبَصَّرُونَهم في النار، وقيل: يُبَصَّرُونَهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطَّلَب.

---

(١) بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦ (ولفظُه منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٨.

(٣) النشر ٢/ ٣٩٠ عن أبي جعفر، وذكرها ابنُ مجاهد في السبعة ص٦٥٠ عن شيبة وقال: هو غلط، وذكرها الداني في جامع البيان ٢/ ٤٥٤ من رواية البَزّيّ عن ابن كثير باختلاف فيه. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٧-٢٥٨.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكونَ «يُبَصَّرُونَهم» صفةً، أي: حميماً مبصَّرين معرَّفين إيَّاهم. انتهى.

و«حميمٌ حميماً» نكرتان في سياق النفي فيعمَّان، ولذلك جُمع الضمير.

وقرأ قتادة: «يُبْصِرُونَهم» مخفَّفاً مع كسر الصاد[(١)]، أي: يُبْصِرُ المؤمنُ الكافرَ في النار، قاله مجاهد[(٢)].

وقال ابنُ زيد: يُبْصِرُ الكافرُ مَنْ أَضَلَّه في النار عبرةً وانتقاماً وخِزْياً[(٣)].

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: الكافر وقد يندرجُ فيه المؤمنُ العاصي الذي يُعذَّب.

وقرأ الجمهور: «من عذابِ» مضافاً، وأبو حَيْوَة منوَّناً، والجمهورُ: [يومِئذٍ] بكسرها[(٤)]، والأعرج وأبو حَيْوَة[(٥)] بفتحها.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجتِه، ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: أقربائه الأَدْنَيْن[(٦)]﴿تُـْٔوِيهِ﴾: تضمُّه انتماءً إليها أو لِياذاً بها في النَّوائب. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على «يفتدي» أي: ينجيه الافتداء، أو من تقدَّم ذكرُهم.

وقرأ الزُّهريّ: «تُؤوِيهُ» و«تُنجيهُ» بضمِّ الهاءَيْن[(٧)].

«كلا» ردعٌ لِوِدادَتِهم الافتداءَ، وتنبيهٌ على أنه لا ينفع.

«إنها» الضمير للقصَّة، و«لَظَى نَزَّاعةٌ» تفسيرٌ لها أو للنار الدالِّ عليها «عذابِ يومِئذ»، و«لَظَى» بدلٌ من الضمير، و«نَزَّاعةٌ» خبر «إنَّ»، أو خبر مبتدأ، و«لَظَى» خبر

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وضبطت في القراءات الشاذة ص١٦١ بفتح الصاد (؟).
(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٩.
(٣) المصادر السالفة، ولفظُه من المحرر.
(٤) يعني بكسر الميم، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧ أوضحُ منه. وينظر القراءات الشاذة ص١٦١.
(٥) من قوله: منوَّناً... إلى هذا الموضع، سقط من مطبوع البحر، ولفظة «يومئذ» بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح.
(٦) في النسخ الخطية: الأَدْنَوْن، وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة، ووقع في مطبوع البحر: أقرباؤه الأدنون. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

«إنَّ» أي: هي نَزَّاعةٌ، أو بَدَلٌ من «لَظى»، أو خبر بعد خبر، كلٌّ هذا ذكروه، وذلك على قراءة الجمهور برفع «نَزَّاعة».

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكون ضميراً مبهماً[١] ترجمَ عنه الخبر. انتهى. ولا أدري ما هذا المضمَر الذي ترجمَ عنه الخبر، وليس هذا من المواضع التي يفسِّر فيها المفردُ الضميرَ، ولولا أنه ذكر بعد هذا: «أو ضمير القصَّة» لحملتُ كلامَه عليه.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة وأبو حَيْوَة والزعفراني وابنُ مِقْسَم وحفص واليزيديّ في اختيارِهِ: «نزَّاعةً» بالنصب[٢] فتَعيَّنَ أن يكون «لَظى» خبراً لـ «إنَّ»، والضميرُ في «إنها» عائد على النار الدالِّ عليها «عذاب» وانتصبَ «نزَّاعةً» على الحال المؤكِّدة أو المبيِّنة، والعاملُ فيها «لَظى» وإن كان عَلَماً لِما فيه من معنى التَّلَظِّي، كما عملَ العَلَم في الظرف في قوله:

أنا أبو المِنْهالِ بعضَ الأحْيانْ[٣]

أي: المشهورُ بعضَ الأحيان.

أو على الاختصاص للتهويل، قاله الزمخشريّ، وكأنَّه يعني القطع، فالنصبُ فيها كالرَّفع فيها إذا أضمرتَ «هو»، فتُضمِرُ هنا: «أعْني».

قال الحسن وثابت البُنَانيّ: «للشَّوَى»: لمكارم وجهه. وقال قتادة: لمكارم خِلْقَتِهِ. وقال أبو العالية: لمحاسنِ وجهه. وقال الضحَّاك: تَبْرِي اللحم والجلدَ عن العظم [حتى لا تتركَ] منه شيئاً. وقال الحسن أيضاً: الشَّوى: الهام[٤].

(١) يعني الضمير في «إنها». والكلام في الكشاف ٤/ ١٥٨.

(٢) رواية حفص في السبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٣) سلف في تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة، والآية (٣) من سورة الأنعام.

(٤) من قوله: قال الحسن وثابت... إلى هذا الموضع، من (يه) وما سلف بين حاصرتين من القرطبي ووقع مكانها بياض في (يه)، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٣، والنكت والعيون ٦/ ٩٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٤.

«تَدْعُو» أي: حقيقةً، يخلقُ اللهُ فيها الكلامَ كما يخلقُه في الأعضاء؛ قال[١] ابنُ عباس وغيرُه: تدعُوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم.

وقال الزمخشريّ: وكما خلقَه في الشجرة. انتهى. فلم يترك مذهب الاعتزال[٢].

وقال الخليل: مجازٌ عن استدنائها[٣] منهم وما تُوقِعُه بهم من عذابها. وقال ثعلب: تُهْلِكُ، تقولُ العرب: دعاك الله، أي: أهلَكَك، وحكاه الخليل عن العرب.

وقال الشاعر:

لَيالِيَ يدعوني الهوى فأُجيبُهُ   وأَعْيُنُ مَنْ أهْوَى إلَيَّ رَوَانِ[٤]

وقال آخر:

تَرفَّعَ للقَنَانِ وكلِّ فَجٍّ   طَبَاهُ الرِّعْيُ منهُ والخَلَاءُ[٥]

يصفُ ظَلِيماً[٦]، وطَبَاه، أي: دعاه، والهَوَى والرِّعْيُ لا يَدْعُوَان حقيقةً، ولكنَّه لمَّا كان فيهما ما يَجذِبُ صارَا داعِيَيْنِ مجازاً.

وقيل: «تَدْعُو» أي: خَزَنَةُ جهنم، أُضِيفَ دعاؤهم إليها.

(١) في (أ) و(ت) و(يه): قاله، وغير مظهَّر في (ع)، وأثبتُّ اللفظة على الصواب. ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٥.

(٢) يعني مذهبه في أن كلام الله مخلوق، وأشار إلى الآية (٣٠) من سورة القصص: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧: عبارة عن حرصها عليهم واستدنائها... الخ. وقولُ الخليل بنحوه في العين ٢/ ٢٢١، ونقله عنه الثعلبي ٦/ ٢٧٩، والقرطبي ٢١/ ٢٣٥.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٥. قوله: روان، جمع رانية، وهي المديمة النظر في سكون، يريد أنهنَّ كَلِفاتٌ به.

(٥) البيت لزهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص٦٦ برواية: تَرَبَّعَ بالقَنَان. والقَنَان: جَبَل والرِّعْي: الكلأ.

(٦) الظَّلِيم: ذَكَر النَّعام، وجاء قوله: «يصف ظليماً» في (ع) و(يه) بعد لفظة «دعاه» الآتية.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [عنه][1] ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱﴾ أي: وجمعَ المالَ فجعلَه في وعاء وكنزَهُ ولم يُؤَدِّ حقَّ اللهِ فيه.

وهذه إشارة إلى كفَّارٍ أغنياء[2]، وقال الحَكَم: كان عبدُ الله بنُ عُكَيْم لا يَرْبِطُ كيسَه ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱﴾[3].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جنس، ولذلك استثنى منه: «إلا المصلِّين»، وقيل: الإشارةُ إلى الكفار.

وقال ثعلب: قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهَلَع؟ فقلت: قد فسَّره الله تعالى، ولا يكونُ تفسيرٌ أبينَ من تفسيرِه، وهو الذي إذا نالَه شرٌّ أظهرَ شدَّةَ الجَزَع، وإذا نالَه خيرٌ بَخِلَ به ومنعَه الناسَ. انتهى[4].

ولمَّا كان شدَّةُ الجَزَع والمَنْع متمكِّنةً في الإنسان جُعل كأنه خُلِقَ مجبولاً[5] عليهما، كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. و«الخير» المال.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ㉒﴾ استثناء ـ كما قلنا ـ من «الإنسان» ولذلك وصفَهم بما وصفَهم به من الصبر على المكاره والصفاتِ الجميلة التي حازوها.

وقرأ الجمهور: «على صَلَاتهم» بالإفراد، والحسنُ جمعاً[6].

وديمومتُها؛ قال الجمهور: المواظبةُ عليها، وقال ابنُ مسعود: صلاتُها لوقتها، وقال عقبة بنُ عامر: يَقِرُّون فيها ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ومنه: الماء الدائم[7].

---

(١) لفظة «عنه» بين حاصرتين من الكشاف ٤/ ١٥٨ (والكلام منه).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٥، والمصدر السالف، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٥.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٨.

(٥) في (أ) و(ع) و(يه): محمولاً. والمثبت من (ت)، والكلام بنحوه في المصدر السالف.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.

(٧) الكلام في المصدر السالف، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٨-٢٦٩، والنكت والعيون ٦/ ٩٥، وزاد المسير ٨/ ٣٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٧-٢٣٨.

وقال الزمخشريّ: دوامُهم عليها أن يُواظِبُوا على أدائِها ولا يشتغلون[١] عنها بشيء، ومحافظتُهم عليها أن يُراعوا إسباغَ الوضوء لها ومواقيتها، ويُقيموا أركانَها، ويُكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدَّوام يرجعُ إلى أنفس الصلوات والمحافظةِ على أحوالها. انتهى. وهو جوابه لسؤاله: فإنْ قلتَ: كيف قال: «على صَلَاتهم دائمون» ثم قال: «على صَلَاتِهم يحافظون»؟

وأقول: إنَّ الدَّيمومةَ على الشيء والمحافظةَ عليه شيءٌ واحد، لكنَّه لما كانت الصلاة هي عمود الإسلام بُولِغَ في التوكيد فيها، فذُكرت أولَ خِصال الإسلام المذكورة في هذه السورة وآخِرَها ليُعلم مرتبتُها في الأركان التي بُني الإسلام عليها.

والصفاتُ التي بعد هذه تقدَّم تفسيرُها، ومعظمُها في سورة «قد أفلح المؤمنون».

وقرأ الجمهور: «بشهادتِهم» على الإفراد، والسُّلَميُّ وأبو عَمرو وحفص على الجمع[٢].

* * *

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي عند الكعبة ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفُّون به حِلَقاً

(١) كذا، بثبوت النون، والجادة حذفها، وعبارة الكشاف ٤/ ١٥٩: أن يواظبوا على أدائها، لا يُخِلُّون بها ولا يشتغلون... الخ.

(٢) السبعة ص٦٥١، وجامع البيان ٢/ ٤٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٩. وقراءة أبي عَمرو هي من رواية عباس بن الفضل بن عمرو عنه.

حِلَقاً يستمعون ويستهزؤون بكلامه ويقولون: إنْ دخلَ هؤلاء الجنةَ كما يقولُ محمد فلَنَدْخُلَنَّها قبلَهم. فنزلت(١).

وتقدَّم شرح «مُهْطِعِين» في سورة إبراهيم عليه السلام [٤٣].

ومعنى «قِبَلَكَ» أي: في الجهة التي تليك ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: عن يمينك وعن شِمالك.

وقيل: نزلت في المستهزئين الخمسة(٢).

وقرأ الجمهور: «أنْ يُدْخَلَ» مبنيًّا للمفعول، وابنُ يَعْمَر والحسن وأبو رجاء وزيد بنُ عليّ وطلحة والمفضَّل عن عاصم مبنيًّا للفاعل(٣).

«كلَّا» ردٌّ وردْعٌ لطَمَاعِيتِهم، إذْ أظهرُوا ذلك وإن كانوا لا يعتقدون صحَّةَ البعث ولا أنَّ ثَمَّ جنةً ولا ناراً.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنشأناهم من نطفةٍ مَذِرَة، فنحن قادرون على إعادتِهم وبعثِهم يومَ القيامة، وعلى الاستبدال بهم خيراً منهم، قيل: فليس بنفس الخلقِ ومِنَّتِهِ عليهم بذلك يُعطَى الجنة، بل بالإيمانِ والعملِ الصالح(٤).

وقال قتادة في تفسيرها: إنما خُلِقْتَ من قَذَرٍ يا ابْنَ آدم(٥).

وقال أنس: كان أبو بكر إذا خَطَبنا ذكرَ مَناتِنَ ابنِ آدمَ ومرورَهُ في مجرى البول مرَّتين، وكذلك(٦) نطفة في الرَّحِم، ثم علقةً، ثم مضغة، إلى أنْ يخرجَ فيتلوَّثَ في نجاسته طفلاً. فلا يُقلِعُ أبو بكر حتى يَقْذِرَ أحدُنا نفسَه.

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، والكشاف ٤/ ١٥٩.

(٢) عبارة الكشاف ٤/ ١٦٠ وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣: قيل: كان المستهزئون خمسة أرهط.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.

(٥) وتتمتُه كما في المصدرين السالفين وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٢: فاتَّقِ الله.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠ (والقول فيه): وكونه، بدل من: وكذلك، وهو الأشبه، والقول أيضاً بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٢.

فكأنه قيل: إذا كان خلقُكم من نطفة مَذِرَة، فمن أين تتشرَّفُون وتدَّعون دخولَ الجنة قبلَ المؤمنين[١]؟!

وأبهمَ في قوله: «ممَّا يعلمون» وإن كان قد صرَّحَ به في عدَّة مواضع إحالةً على تلك المواضع[٢].

ورأى مُطَرِّفُ بنُ عبد الله بنِ الشِّخِّير المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَة يتبخترُ في مِطْرَفِ خَزٍّ وجُبَّةِ خَزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المِشْيَةُ التي يُبْغِضُها الله؟! فقال له: أتعرفُني؟! قال: نعم، أوَّلُكَ نطفةٌ مَذِرَة، وآخِرُك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت تحملُ عَذِرَة. فمضَى المهلَّبُ وتركَ مِشْيَتَهُ[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ «لا» نفياً وجمعهما، وقومٌ بلامٍ دون ألف، وعبدُ الله بنُ مسلم وابنُ مُحَيْصِن والجَحْدَريّ: «المشرقِ والمغربِ» مفرَدَين[٤].

أقسمَ تعالى بمخلوقاته على إيجاب قدرته على أن يبدِّلَ خيراً منهم، وأنه لا يسبقُه شيء إلى ما يريد.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ وعيدٌ، وما فيه من معنى المهادنة منسوخٌ بآية السيف[٥].

وقرأ أبو جعفر وابنُ مُحيصن: «يَلْقَوْا» مضارع «لَقِيَ»، والجمهور: «يُلاقُوا» مضارع «لاقَى»[٦].

والجمهور: «يَخْرُجُون» مبنيًّا للفاعل، قال ابن عطية: ورَوَى أبو بكر عن عاصم مبنيًّا للمفعول[٧].

---

(١) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٢) وقال الزمخشري: أبهمَ وأخفَى إشعاراً بأنه منصبٌ يُستحيا من ذكره.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٤، والمِطْرَفُ: ثوبٌ مربَّع من خَزٍّ ذو رسوم.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص١٦١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١.

(٦) المصدر السالف، والنشر ٢/ ٣٩١، وقراءة أبي جعفر من العشرة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦١ لعليّ ﷺ، ونُسبت في

و«يومَ» بدل من «يَوْمَهُمْ».

وقرأ الجمهور: «نَصْبٍ» بفتح النون وسكون الصاد، وأبو عِمْران الجَوْنيّ ومجاهد بفتحهما، وابنُ عامر وحفصٌ بضمّهما، والحسنُ وقتادة بضمّ النون وسكون الصَّاد[1].

والنَّصْبُ ما نُصب للإنسان فهو يَقْصِدُهُ مُسْرِعاً إليه من عَلَمٍ أو بناءٍ أو صَنَم، وغلبَ في الأصنام حتى قيل: الأنصاب[2].

وقال أبو عَمرو: هو شبكة يقعُ فيها الصيد، فيُسارع إليها صاحبُها مخافةَ أن ينفلتَ الصيدُ منها[3].

وقال مجاهد: نَصْب: عَلَم[4].

ومن قرأ بضمهما؛ قال ابنُ زيد: أي أصنام منصوبة كانوا يعبدونها[5].

وقال الأخفش: هو جمع نَصْب كرَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع الجمع[6].

﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعون، وقال أبو العالية: يستَبِقُون إلى غايات[7]، قال الشاعر:

= جامع البيان ٢/ ٤٥٥-٤٥٦ وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٦ للأعشى عن عاصم، وزاد القرطبي نسبتها للسُّلَمي والمغيرة.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وينظر القراءات الشاذة ص١٦١، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦-٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٦. وقراءةُ ابن عامر وحفص من القراءات السبعة، ينظر السبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، ونُسب القول فيه لأبي العلاء، ولعلَّه محرَّف فيه عن ابن العلاء، وهو أبو عَمرو البصري.

(٤) نُسب في النكت والعيون ٦/ ٩٧ لقتادة، وجاء في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧ عن الكلبي: عَلَم أو راية.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٧.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٩٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣.

فـوارسُ ذُبْيـانَ تـحـتَ الـحَـدِيـ ـدِ كـالـجِـنِّ يُـوفِـضْـنَ مـن عَـبْـقَـرِ[١]

وقال آخر في معنى الإسراع:

لَأَنْـعَـتَـنْ نَـعـامَـةً مِـيـفَـاضَـا
خَـرْجَـاءَ ظَـلَّـتْ تَـطْـلُـبُ الإضَـاضَـا[٢]

وقال ابن عبَّاس وقتادة: يَسْعَوْن، وقال الضحَّاك: ينطلقون، وقال الحسن: يبتدرون[٣].

وقرأ الجمهور: «ذِلَّةٌ» منوَّناً، «ذلك اليومُ» برفع الميم مبتدأ وخبر، وقرأ عبد الرحمن بن خَلَّاد عن داود بن سالم عن يعقوب والحسنُ بنُ عبد الرحمن عن التَّمَّار: «ذِلَّةُ» بغير تنوين مضافاً إلى «ذلك»، و«اليومِ» بخفض الميم[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧. وعَبْقَر: موضع تزعم العرب أنه موطنٌ للجنّ، ثم نسبوا إليه كلَّ شيء تعجَّبُوا من حِذْقِه أو جَوْدَةِ صَنْعَتِه. (المعجم الوسيط).

(٢) الرَّجز في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، واللسان (أضض - وفض) وفيه وفي الطبري: تعدو، بدل: ظَلَّتْ. قوله: مِيفَاضَا، أي: مسرعة، وخَرْجَاء، أي: خالطَ بياضَها سوادٌ، والإضاض: الملجأ.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣.

(٤) نُسبت القراءة في زاد المسير ٨/ ٣٦٧ لأبي المتوكِّل وأبي الجوزاء وعَمرو بن دينار.

(٧٠) سورة المعارج مكية وآياتها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ أي استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾. قال النسائي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾، قال (النضر ابن الحارث) وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: ذلك سؤال الكفّار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال وهو قولهم: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ للكافرين ﴾ أي مرصد معد للكافرين، ﴿ ليس له دافع ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه، ولهذا قال تعالى: ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال ابن عباس: ذو الدرجات، وعنه: ذو العلو والفواضل، وقال مجاهد ﴿ ذي المعارج ﴾ معارج السماء، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، وقوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قال قتادة ﴿ تعرج ﴾: تصعد، وأما الروح فيحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء، كما دل عليه حديث البراء، في قبض الروح الطيبة وفيه: « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ».

وقوله تعالى: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فيه أربعة أقوال: **أحدها**: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين، إلى منتهى أمره

من فوق السماوات خمسين ألف سنة[١] . **القول الثاني** : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله عزَّ وجلَّ يوماً . وعن عكرمة: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عزَّ وجلَّ[٢] . **القول الثالث** : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً، روي عن محمد بن كعب قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة[٣] . **القول الرابع** : أن المراد بذلك يوم القيامة، وبه قال الضحّاك وابن زيد وعكرمة، وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال، قيل لرسول الله ﷺ: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا »[٤] . وقال الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمي عليها في نار جهنم، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله تعالى: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾، ولهذا قال: ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ ونراه قريباً ﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، ولكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي كدردي الزيت، ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ أي كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وتكون

(١) رواه ابن أبي حاتم .
(٢) أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة .
(٣) رواه ابن أبي حاتم .
(٤) أخرجه أحمد وابن جرير .
(٥) أخرجه الإمام أحمد .

الجبال كالعهن المنفوش﴾، وقوله تعالى: ﴿ولا يسأل حميم حميماً يبصّرونهم﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره. قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾، وكقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وقوله تعالى: ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلا﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، قال مجاهد والسدي: ﴿فصيلته﴾ قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم، وقوله: تعالى: ﴿إنها لظى﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نزاعة للشوى﴾، قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وعن ابن عباس: ﴿نزاعة للشوى﴾ الجلود والهام، وقال أبو صالح ﴿نزاعة للشوى﴾ يعني أطراف اليدين والرجلين، وقال الحسن البصري: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح، وقال الضحّاك: تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿تدعوا من أدبر وتولى * وجمع فأوعى﴾ أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وجمع فأوعى﴾ أي جمع المال بعضه على بعض، فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه، من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، وقد ورد في الحديث: «ولا توعي فيوعي الله عليك»، وكان عبدالله بن عكيم لا يربط له كيساً، يقول، سمعت الله يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا، وقال قتادة في قوله ﴿وجمع فأوعى﴾ قال: كان جموعاً قموماً للخبيث.

* إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ أي إذا مسه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصله

له بعد ذلك خير ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها. وفي الحديث: «شر ما في الرجُل: شح هالع وجُبن خالع»[1]. ثم قال تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ أي إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه وهم المصلون ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ **قيل**: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قاله ابن مسعود، **وقيل**: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قاله عقبة بن عامر، ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة؛ فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده لم يسكن فيها ولم يدم، بل ينقرها نقر الغراب، فلا يفلح في صلاته؛ **وقيل**: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه، وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه، وقوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم ❊ للسائل والمحروم﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، ولهذا قال تعالى: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون وجلون، ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لا يأمنه أحد إلا بأمان من الله تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي من الإماء، ﴿فإنهم غير ملومين ❊ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقد تقدم تفسير هذا بما أغنى عن إعادته ههنا[2]، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾، ثم قال تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة، واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى منكراً على الكفّار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وهم مشاهدون لما أيده الله به من المعجزات

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) تقدم تفسيره في أول سورة ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.

الباهرات، ثم هم شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً، ﴿ كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة﴾ ، قال تعالى: ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ أي فما لهؤلاء الكفّار الذين عندك يا محمد ﴿ مهطعين﴾ أي مسرعين نافرين منك، قال الحسن البصري ﴿ مهطعين﴾ أي منطلقين، ﴿ عن اليَمين وعن الشمال عزين﴾ واحدها عزة أي متفرقين، وقال ابن عباس: ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ قال: قبلك ينظرون ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به، وعن الحسن في قوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل؟ وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق فقال: «مالي أراكم عزين؟»[1]. وقوله تعالى: ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا﴾ أي أيطمع هؤلاء، والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ، ونفارهم عن الحق، أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلا، بل مأواهم جهنم، ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم مستدلاً عليهم بالبداءة: ﴿ إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين﴾، وقال: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ أي الذي خلق السماوات والأرض، وسخّر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، ﴿ إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك، ﴿ وما نحن بمسبوقين﴾ أي بعاجزين، كما قال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾، وقال تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾، واختار ابن جرير ﴿ على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم. ثم قال تعالى: ﴿ فذرهم﴾ أي يا محمد ﴿ يخوضوا ويلعبوا﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله، ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ أي يقومون من القبور، إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعاً ﴿ كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ قال ابن عباس: إلى علَم يسعون، وقال أبو العالية: إلى غاية يسعون إليها. ﴿ نُصُب﴾ بضم النون والصاد وهو الصنم، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، ﴿ يوفضون﴾ يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهذا مروي عن مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرهم، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم﴾ أي خاضعة ﴿ ترهقهم ذلة﴾ أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ .

[آخر تفسير سورة سأل سائل، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة، ورواه أحمد ومسلم والنسائي بنحوه.

تفسير سورة سأل سائل

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾ .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقَدر : يستعجل سائل بعذاب واقع . كقوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج:٤٧] ، أى : وعذابه واقع لا محالة .

قال النسائى : حدثنا بشر بن خالد ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المِنْهَال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع .

وقال ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة ، قال : وهو قولهم : ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أى : واد فى جنهم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد . والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أى : مُرصد مُعَدّ للكافرين .

وقال ابن عباس : ﴿ وَاقِعٍ ﴾ : جاء ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ أى : لا دافع له إذا أراد الله كونه ؛ ولهذا قال : ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ قال الثورى ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ قال : ذو الدرجات .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ يعنى : العلو والفواضل .

وقال مجاهد: ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذى الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾: قال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة: ﴿ تَعْرُجُ﴾ : تصعد .

وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشبهون الناس ، وليسوا ناسا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء . وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، من حديث المِنْهَال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعاً ــ الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة ــ قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء (١) السابعة » . والله أعلم بصحته ، فقد تُكلم فى بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد فى حديث أبى هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه ، من طريق ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد ابن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز فى وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبى حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حَكَّام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعنى بذلك : تَنَزُّلَ الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن حَكَّام بن سلم ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس (٢) .

قال ابن أبى حاتم : وحدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطُّنَافِسىّ ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا نوح المؤدب ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام . وغلظ كل سماء

---

(١) فى م : « السماء التى فيها الله » .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩ / ٤٤) .

خمسمائة عام ، وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ .

القول الثانى : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو زُرْعَة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ سَنَةٍ** ﴾ قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها الله تعالى يوم ، ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ** ﴾ قال: اليوم: الدنيا.

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ـ وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدرى أحدٌ كم مضى ، ولا كم بقى إلا الله، عز وجل [١] .

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جداً .قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق [٢] ، حدثنا موسى ابن عبيدة ، أخبرنى محمد بن كعب : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن سِنان الواسطى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . ورواه الثورى عن سِمَاك بن حرب ، عن عكرمة ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال :فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وقد وردت أحاديث فى معنى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ : ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا » .

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٣) .

(٢) فى أ :« بهلول بن المعروف » .

ورواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به [١] . إلا أن درّاجا وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبى عمر الغُدانى قال : كنت عند أبى هُرَيرة فمر رجل من بنى عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامرى مالا . فقال أبو هريرة : ردوه [٢] . فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامرى : إى والله ، إن لى لمائة حُمْراً ومائة أدماً ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق، ورباط الخيل فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلافَ النعم [٣] ـ يُرَدّد ذلك عليه ، حتى جعل لونُ العامرى يتغير ـ فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من كانت له إبلٌ لا يعطى حقها فى نجدتها ورسْلها ـ قلنا يا رسول الله : ما نجدتُها ورِسْلُها ؟ قال : « فى عُسرها ويسرها ـ » فإنها تأتى يوم القيامة كأغذّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولا عضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله » . فقال العامرى : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى الكريمة ، وتمنح الغَزيرَة ، وتفقر الظهر ، وتَسقىَ اللبن[٤]، وتُطرقَ الفحل .

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والنسائى من حديث سعيد بن أبى عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به [٥] .

طريق أخرى لهذا الحديث : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، عن سُهَيل [٦] بن أبى صالح، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كنز لا يودى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها بجهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . وذكر بقية الحديث فى الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخيل لثلاثة ؛ لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى

---

(١) المسند (٣/ ٧٥) وتفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) ودراج عن أبى الهيثم ضعيف .

(٢) فى أ :«ردوه إلىّ » . (٣) فى م : « الغنم » . (٤) فى م :« وتسقى الإبل » .

(٥) المسند (٢/ ٤٨٩) وسنن أبى داود برقم (١٦٦٠) وسنن النسائى (٥/ ١٢) .

(٦) فى أ :« عن سهل » .

رجل وزر » إلى آخره [١] .

ورواه مسلم فى صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخارى ، من حديث سُهَيل [٢] ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرة [٣] ، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه فى كتاب الزكاة فى « الأحكام » ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقد روى ابن جرير عن يعقوب [٤] عن ابن عُلَيَّة وعبد الوهاب ، عن أيوب ، عن ابن أبى مُلَيْكَة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : فاتهمه ، فقيل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثنى . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول فى كتاب الله بما لا أعلم [٥] .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ أى : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ، كقوله : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى:١٨] قال : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ أى : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنى مستحيل الوقوع ، ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ أى : المؤمنون يعتقدون كونه قريبا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله، عز وجل ،لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) ﴾ .

يقول تعالى : العذابُ واقع بالكافرين ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدى ، وغير واحد ، كدُرديّ الزيت ، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ أى : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدى . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة:٥] .

وقوله : ﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أى : لا يسأل القريب عن حاله ، وهو يراه فى أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفى عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض

(١) المسند (٢/ ٢٦٢) .
(٢) فى أ : « سهل » .
(٣) صحيح مسلم برقم (٩٨٧) .
(٤) فى أ : « عن منصور » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) .

بعد ذلك ، يقول : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [لقمان:٣٣] . وكقوله : ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر:١٨] . وكقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١] . وكقوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] .

وقوله : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ . كَلاَّ ﴾ أى : لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض ، وبأعز ما يجده من المال ، ولو بملء الأرض ذهباً ، أو من ولده الذى كان فى الدنيا حُشَاشة كبده ، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ، ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدى : ﴿ فَصِيلَتِهِ ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة: فَخذه الذى هو منهم . وقال أشهب ، عن مالك : ﴿ فَصِيلَتِهِ ﴾: أمه .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو صالح : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ يعنى : أطراف اليدين والرجلين . وقال أيضا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصرى ، وثابت البنانى : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضا : تحرق كل شىء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : نزاعة لهامته ومكارم وَجهه وخَلْقه وأطرافه . وقال الضحاك : تبرى اللحم والجلد عن العظم ، حتى لا تترك منه شيئاً . وقال ابن زيد : الشوى : الآراب العظام . فقوله : نزاعة ، قال : تقطع عظامهم ، ثم يُجَدد خلقهم وتبدل جلودهم .

وقوله : ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلق ذَلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم ـ كما قال الله ،عز وجل ـ كانوا ممن ﴿ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى : كذب بقلبه ،وترك العمل بجوارحه ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أى : أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث : « ولا تُوعى فَيُوعى الله عليك » (١) وكان عبد الله بن عُكيم لا يربط له كيسا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ .

وقال الحسن البصرى : يا بن آدم ، سمعتَ وعيدَ الله ثم أوعيتَ الدنيا .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ قال : كان جَمُوعاً قَمُوماً للخَبيث .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٤٣٤) ومسلم فى صحيحه برقم (١٠٢٩) من حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق ، رضى الله عنهما.

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ، ثم فسره بقوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ أى : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ أى : إذا حصلت له [(١)] نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عُلَىّ بنُ رَباح : سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « شر ما فى رجل شُحٌّ هالع ، وجبن خالع » .

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبى عبد الرحمن المقرى ، به [(٢)]. وليس لعبد العزيز عنده سواه .

ثم قال : ﴿ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴾ أى : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه ، وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ قيل: معناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم . قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعى .

وقيل : المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع ، كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ ، ٢] . قاله عتبة بن عامر . ومنه الماء الدائم ، أى: الساكن الراكد .

وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء فى الصحيح عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلّ » . وفى لفظ : « ما داوم عليه صاحبه » ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه. وفى لفظ : أثبته [(٣)] .

---

(١) فى م : « عنده » .
(٢) المسند (٢/ ٣٢٠) وسنن أبى داود برقم (٢٥١١) .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٣، ٦٤٦٥) وصحيح مسلم برقم (٧٨٥) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال ، عليه السلام ، نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خُلُق للمؤمنين حسن .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ أى : فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة الذاريات » .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أى : خائفون وجلون ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أى : لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ أى : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله [فيه] (١) . ولهذا قال : ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أى : من الإماء ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .وقد تقدم تفسير ذلك فى أول سورة (٢) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أى : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد فى (٣) الحديث الصحيح : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . وفى رواية : « إذا حَدَّث كذب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » (٤) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ أى : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ، ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ (٥) يُحَافِظُونَ ﴾ أى : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم فى أول سورة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، سواء ؛ ولهذا قال هناك : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ ، ١١] ، وقال هاهنا : ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أى : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ

(١) زيادة من م . (٢) فى م: « سورة المؤمنون » . (٣) فى م: « كما ورد به» .
(٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٨ من سورة المؤمنون .
(٥) فى أ :« على صلاتهم ».

الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا فى زمن (١) النبى ﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى وأيده الله به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه، شاردون يميناً وشمالاً ، فرَقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** ﴾ الآية [المدثر:٤٩ ـ ٥١] وهذه مثلها ؛ فإنه قال تعالى : ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**﴾ أى : فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى: مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصرى: ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى : منطلقين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ واحدها عزةٌ ، أى : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أى : فى حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب .

وقال العوفى ، عن ابن عباس: ﴿ **فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** ﴾ قال : قبلك ينظرون ، ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾ قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن الحسن (٢) فى قوله : ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾ متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالا يقولون : ما قال هذا الرجل ؟

وقال قتادة : ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ أى : فِرقَاً حول النبى ﷺ لا يرغبون فى كتاب الله ، ولا فى نبيه ﷺ .

وقال الثورى ، وشعبة ، وعيسى بن يونس وعَبْثَر بن القاسم (٣) ، ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ؛ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم (٤) وهم حلق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ »

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن جرير ، من حديث الأعمش ، به (٥) .

---

(١) فى أ :« فى زمان » . (٢) فى م : « عن الحسين » .

(٣) فى م : « وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس » . (٤) فى م : «خرج على أصحابه » .

(٥) المسند (٥/ ٩٣) وصحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبى داود برقم (٤٨٢٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٢٢) وتفسير الطبرى (٢٩/ ٥٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق حِلق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ » (١) .

وهذا إسناد جيد ، ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ أى : أيطمع هؤلاء ـ والحالة هذه ـ من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق ـ أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده ، مستدلا عليهم بالبداءة التى الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : من المني الضعيف ، كما قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠] . وقال : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٥ ـ ١٠] .

ثم قال : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أى : الذى خلق السموات والأرض ، وجعل مشرقا ومغربا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فى مغاربها . وتقرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة . ولهذا أتى بـ « لا » فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى ، وهومضمون الكلام ، وهو الرد على زعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة ، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ (٢) الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] . وقال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨١ ، ٨٢] . وقال هاهنا : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أى : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : بعاجزين . كما قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: ٣ ، ٤] . وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٠ ، ٦١] .

واختار ابن جرير ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أى : أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها ، كقوله : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] . والمعنى الأول أظهر لدلالة

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٥٤) .

(٢) فى أ : « أو ليس » .

الآيات الأخر عليه ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أي : يا محمد ﴿ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أي : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ أي : فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب ، تبارك وتعالى ، لموقف الحساب ، ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إلى عَلَم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلى غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : « نَصْب » بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى المنصوب . وقرأ الحسن البصري : ﴿ نُصُبٍ ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أي : كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون ، أيهم يستلمه أول . وهذا مروي عن مجاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البَطين [1] ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع ابن أنس ، وأبي صالح ، وعاصم بن بَهْدَلة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي : خاضعة ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، ﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

آخر تفسير سورة « سأل سائل » ولله الحمد والمنة

---

(١) في م : « وأبو مسلم البطين » .

تفسير سورة المعارج

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقدّر : استعجل سائل بعذاب واقع ، كقوله : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده** ﴾. أي : وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي(١) : حدثنا بشر بن خالد حدثنا[١] أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة ، وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **سأل سائل** ﴾ : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال[٢] : وهو قولهم : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ، أي : واد في جهنم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد ، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ **واقع * للكافرين** ﴾ أي : مرصد معد[٣] للكافرين .

---

(١) **رجاله ثقات ؛ إلا أن الأعمش مدلس** ، والأثر أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة المعارج ، حديث (١١٦٢٠) (٦/٤٩٨) . ورواه الحاكم من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير قوله . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورمز له الذهبي في التلخيص أنه على شرط البخاري . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن ابن عباس .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : معه .

وقال ابن عباس : ﴿ واقع ﴾ : جاء ﴿ ليس له دافع ﴾ ، أي : لادافع له إذا أراد الله كونه ، ولهذا قال : ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ ، قال الثوري : عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ذي المعارج ﴾ ، قال : ذو الدرجات .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ذي المعارج﴾ يعني: العلو والفواضل. وقال مجاهد : ﴿ ذي المعارج ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذي الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ ، قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة : ﴿ تعرج ﴾ : تصعد . وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله يشبهون الناس ، وليسوا ناسًا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعَد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء ، وفي[١] الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي، وابن ماجة ، من حديث المنهال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعًا(٢) الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة ، قال فيه : « **فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة** » . والله أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث أبي هريرة(٣) فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة ، من طريق ابن أبي ذئب [٢]، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾

وقوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ فيه أربعة أقوال . أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز[٣] الذي في وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر [إلى قطر][٤] مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب « **صفة العرش** » . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف**

(٢) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم آية : (٢٧) ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ...﴾ الآية .

[١] - في ز : كما في .
[٢] - في ز : الدنيا .
[٣] - في ز : الذكر .
[٤] - في ز : قطره .

سنة ﴾ ، قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلىٰ منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعني بذلك تنَزّل الأمر من السماء إلىٰ الأرض ، ومن الأرض إلىٰ السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن مابين السماء والأرض مقدار[١] مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير(٤) عن ابن حميد ، عن حكام بن سَلم ، عن عُمر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس .

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق[٢] بن منصور ، حدثنا [روح المؤدب] [٣] عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلىٰ أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام : وغلظ كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء إلىٰ السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستّة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ .

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق اللّٰه هذا العالم إلىٰ قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبوزرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها اللّٰه تعالىٰ يوم ، ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم** ﴾ ، قال : اليوم : الدنيا .

وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : الدنيا من أولها إلىٰ آخرها مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضىٰ ، ولا كم بقي إلا اللّٰه عز وجل .

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جدًّا ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، أخبرني محمد بن كعب : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

---

(٣) تقدم تخريجه في الموضع السابق .
(٤) تفسير الطبري (٧١/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : إبراهيم .
[٣] - في ز ، خ : نوح المعروف

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . [ورواه الثوري][١] عن سماك بن حرب، عن عكرمة : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فهذا[٢] . يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار[٣] خمسين ألف سنة . وقد وردت أحاديث في معنىٰ ذلك ، قال الإمام أحمد (٥) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا** ». ورواه ابن جرير(٦) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراج وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة، عن أبي عمر الغُدّاني قال : كنت عند أبي هُرَيرة فمرّ رجل من بني عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامري مالًا . فقال أبو هريرة : رُدّوه [إليَّ فردوه][٤]. فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامري : إي والله ، إن لي لمائةً حُمْرًا ومائةً أدمًا - حتىٰ عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق ورباط الخيل - فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم - يُرَدّد ذلك عليه - حتىٰ جعل لونُ العامريّ يتغير - فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من كانت له إبلٌ لا يعطي حَقها في نَجدتها ورِسْلها** » ، قلنا : يا رسول الله : ما نجدتُها ورِسْلها ؟ قال : « **في عُسرها ويسرها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذّ ما كانت ، وأكثره ، وأسمنه ، وآشره حتى يبطح لها بقاع قَرقَر[٥] ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ**

(٥) المسند (٣/٧٥) (١١٧٣٤) . قال الترمذي (١٠/٣٤٠) : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ضعف في راويه .

(٦) تفسير الطبري (٢٩/٧٢) .

(٧) المسند (٢/٤٨٩ - ٤٩٠) .

[١] - في ز : رواه الترمذي .

[٢] - في ز ، خ : فهو .

[٣] - في ز : مقداره .

[٤] - زيادة من ز .

[٥] - في ز : قرقرة .

سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتىٰ يقضى بين الناس فيرىٰ سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتىٰ يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولاعَضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضىٰ بين الناس ، فيرىٰ سبيله » . فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطيَ الكريمة وتمنح الغزيرة[١] وتفقر الظهر وتسقي اللبن[٢] ، وتطرق الفحل . وقد رواه أبو داود(٨) من حديث شعبة ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به .

طريق أخرىٰ لهذا الحديث : قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن شُهَيل [٣] بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمىٰ[٤] عليها في نار جهنم، فتكوىٰ بها جبهته وجنبه[٥] وظهره ، حتىٰ يحكم اللّٰه بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار »** ... وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه ، **« الخيل لثلاثة : [لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر][٦]»** إلىٰ آخره .

ورواه مسلم(١٠) في صحيحه بتمامه منفردًا به دون البخاري ، من حديث شُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة في **« الأحكام »** ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : **« حتىٰ يحكم اللّٰه بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »** .

وقد روىٰ ابن جرير(١١) عن يعقوب ، عن [ابن عُلَيّة][٧] ، وعبد الوهاب ، عن أيوب ،

---

(٨) سنن أبي داود في كتاب : الزكاة ، باب : في حقوق المال ، حديث (١٦٦٠) (١٢٥/٢) مختصرًا . والنسائي (١٢/٥) كتاب الزكاة ، باب : التغليظ في حبس الزكاة بنحو حديث أحمد .

(٩) أخرجه أحمد (٢٦٢/٢) .

(١٠) ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، حديث (٩٨٧/٢٦) (٩٤/٧ - ٩٦) .

(١١) أخرجه الطبري (٧٢/٢٩) .

---

[١] - في ز : العزيزة .

[٢] - في ز ، خ : الإبل .

[٣] - في ز : سهل .

[٤] - في ز : فحمي .

[٥] - في ز : وجبينه .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : ابن عيينة .

عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، قال : فاتهمه[١] ، [فقيل له فيه][٢] ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثني . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بمالا أعلم .

وقوله : ﴿ **فاصبر صبرًا جميلاً** ﴾ ، أي : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك[٣] ، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه ، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **إنهم يرونه بعيدًا** ﴾ ، أي : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنى مستحيل الوقوع ، ﴿ **ونراه قريبًا** ﴾ ، أي : المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله - عز وجل - لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالى : العذابُ واقع بالكافرين ، ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وغير واحد : كدرديّ الزيت ، [﴿ **وتكون الجبال كالعهن** ﴾ ، أي : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي . وهذه الآية كقوله تعالى :][٤] ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا يسأل حميم حميمًا * يبصرونهم** ﴾ ، أي : لا يسأل القريب قريبه[٥] عن حاله ، وهو يراه في أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفي : عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من

---

[١] - في ز : فاتهم .
[٢] - سقط من .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : قريب .

بعض بعد ذلك ، يقول : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يا أيها الناس[١] اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق ﴾ ، وكقوله : ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ وكقوله: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وكقوله. ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ .

وقوله : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه * كلا ﴾ ، أي : لا يقبل منه فداء ولوجاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال[٢] ، ولو بملء الأرض ذهبًا ، أو من ولده الذي كان في الدنيا حُشَاشة كبده ، يودّ يوم القيامة إذا رأىٰ الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدي : ﴿ فصيلته ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة : فَخذه الذي هو منهم . وقال أشهب : عن مالك : ﴿ فصيلته ﴾ : أمه .

وقوله : ﴿ إنها لظىٰ ﴾ ، يصف النار وشدة حرها ، ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو[٣] صالح : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾، يعني: أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضًا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصري ، وثابت البناني : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، أي: مكارم وجهه . وقال الحسن أيضًا : تحرق كل شيء فيه ، ويبقىٰ فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نزاعة للشوىٰ ﴾ ، أي : نزاعة لهامته ومكارم وَجْهه وخَلْقه وأطرافه . وقال الضحاك : تبري اللحم والجلد عن العظم ، حتىٰ لا تترك منه شيئًا . وقال ابن زيد : الشوىٰ : الآراب العظام .

فقوله : ﴿نزاعة﴾ قال : تقطع [عظامه ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم][٤] .

وقوله : ﴿ تدعو من أدبر وتولىٰ * وجمع فأوعىٰ ﴾ ، أي : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلق ذَلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب ، وذلك أنهم كما قال الله عزوجل : كانوا ممن ﴿ أدبر وتولىٰ ﴾ ، أي : كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعىٰ ﴾ ، أي : جمع المال بعضه علىٰ بعض فأوعاه ، أي : أوكاه ومنع حق الله منه من

---

[١] - في ز : الذين آمنوا .

[٢] - في ز : مال .

[٣] - في ز ، خ : ابن .

[٤] - في ز : عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وتبدل جلودهم .

الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد في الحديث(١٢) : « **ولا تُوعي فيوعي الله عليك** » وكان عبد الله بن عكيم[١] لا يربط له كيسًا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ **وجمع فأوعىٰ** ﴾ .

وقال الحسن البصري : يا بن آدم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا . وقال قتادة في قوله : ﴿ **وجمع فأوعىٰ** ﴾ ، قال : كان جَمُوعًا قَمُومًا[٢] للخَبيث[٣] .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة : ﴿[**إن الإنسان خلق**][٤] **هلوعًا** ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ **إذا مسه الشر جزوعًا** ﴾ ، أي : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ، ﴿ **وإذا مسه الخير منوعًا** ﴾ ، أي : إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها علىٰ غيره ، ومنع حق الله فيها .

قال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح ، سمعت

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة فيما استطاع ، حديث (١٤٣٤) (٣٠١/٣) ، وطرفه في [٢٥٩١] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء ، حديث (١٠٢٩/٨٩) (١٦٦/٧ - ١٦٧) . كلاهما من حديث أسماء - رضي الله عنها .

(١٣) المسند (٣٢٠/٢) (٨٢٤٦) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في الجرأة والجبن ، حديث (٢٥١١) (١٢/٣) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٢) .

[١] - في خ : عليم .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : الحديث .
[٤] - في ز : لخلق .

أبي يحدث عن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **شر ما في رجل : شح هالع ، وجبن خالع** » .

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقري، به . وليس لعبد العزيز عنده سواه[١] .

ثم قال : ﴿ **إلا المصلين** ﴾ ، أي : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه[٢] الله ووفَّقَهُ [٣]، وهداه إلىٰ الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ . قيل : معناه يحافظون علىٰ أوقاتها وواجباتها ، قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي .

وقيل: المراد بالدوام هاهنا: السكون والخشوع، كقوله: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ قاله عتبة[٤] بن عامر، ومنه الماء الدائم أي: الساكن الراكد. وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملًا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة(١٤) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قلّ** » ، وفي لفظ : « **ما داوم عليه صاحبه** »(١٥) ، قالت : وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا عمل عملًا داوم عليه(١٦) . وفي لفظ : أثبته(١٧) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **الذين هم علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال - عليه السلام - نعت أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين[٥] حسن .

---

(١٤) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : الجلوس على الحصير ونحوه ، حديث (٥٨٦١) (١٠/ ٣١٤) .

(١٥) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : أحب الدين إلى الله أدومه ، حديث (٤٣) (١/١٠١) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : أمر من نعس في صلاته ...، حديث (٧٨٥/٢٢١) (٦/ ١٠٥) .

(١٦) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : صوم شعبان ، حديث (١٩٧٠) (٤/٢١٣) بلفظ : « إذا صلى صلاة » .

(١٧) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (٧٤٦/١٤١) .

---

[١] - في ز ، خ : بياض .

[٢] - في ز : عصم .

[٣] - في ز : وفق .

[٤] - في ز ، خ : عقبة .

[٥] - في ز : المؤمنين .

وقوله : ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم** ﴾ ، أي : في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات . وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في « **سورة الذاريات** » .

وقوله : ﴿ **والذين يصدقون بيوم الدين** ﴾ ، أي : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال : ﴿ **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** ﴾ ، أي : خائفون وجلون ، ﴿ **إن عذاب ربهم غير مأمون** ﴾ ، أي : لا يأمنه أحد ممن عَقل عن اللّٰه أمره إلا بأمان من اللّٰه تبارك وتعالىٰ .

وقوله : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ ، أي : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن اللّٰه . ولهذا قال : ﴿ **إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ ، أي : من الإماء ، ﴿ **فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ . وقد تقدم تفسير هذا[١] في أول سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ أي : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد [في الحديث][٢] الصحيح (١٨) : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد[٣] أخلف ، وإذا اؤتمن خان** » ، وفي رواية : « **إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » وقوله : ﴿ **والذين هم بشهاداتهم[٤] قائمون** ﴾ ، أي : محافظون عليها لا يزيدون فيها[٥]، ولا ينقصون منها[٦] ، ولا يكتمونها ، ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ أي : علىٰ مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل علىٰ الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم في أول[٧] سورة : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، سواء . ولهذا قال هناك : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾

وقال هاهنا : ﴿ **أولئك في جنات مكرمون** ﴾ أي : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ

(١٨) تقدم تخريجه في أول سورة الصف .

[١] - في ز ، خ : هذه .
[٢] - في ز ، خ : به الحديث في .
[٣] - في خ : أوعد .
[٤] - في ز : بشهادتهم .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .

أَمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفار الذين كانوا في زمن[١] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهم مشاهدون[٢] له ، ولما أرسله اللّٰه به من الهدىٰ وأيده به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارّون منه ، متفرقون عنه ، شاردون[٣] يمينًا وشمالًا ، فرقًا فرقًا ، وشيَعًا شيَعًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ ، الآية . وهذه مثلها ، فإنه قال تعالىٰ : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، أي : [فمال هؤلاء][٤] الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصري : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : منطلقين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، واحدها عِزَةٌ ، أي : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أي : في حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد في[٥] أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، متفقون علىٰ مخالفة الكتاب .

وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **فماللذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ ، قال : قبلك ينظرون ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قُرة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، متفرقين ، يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون : ما قال هذا الرجل؟ . وقال قتادة : ﴿ **مهطعين** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ، أي : فِرَقًا حول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لايرغبون في كتاب اللّٰه ، ولا في نبيه صلىٰ اللّٰه عليه

(١٩) أخرجه الطبري (٢٩/٨٥) .

---

[١] - في ز ، خ : زمان .
[٢] - في ز : يشاهدون .
[٣] - في ز : شاردين .
[٤] - في ز : ما لهؤلاء .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وسلم . وقال الثوري ، وشعبة ، وعيسىٰ بن يونس ، وعبثر[١] بن القاسم ، ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيىٰ القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة، ، عن جابر بن سمرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** »

رواه أحمد(٢٠) ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن جرير من[٢] حديث الأعمش به .

وقال ابن جرير(٢١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان[٣] ، عن عبدالملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج علىٰ أصحابه وهم حِلَق حِلق ، فقال : « **مالي أراكم عزين ؟** » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا** ﴾ ، أي : أيطمع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم ؟ لا[٤] بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ **إنا خلقناهم مما يعلمون** ﴾ ، أي : من[٥] المني الضعيف ، كما قال : ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾ ، وقال : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه علىٰ رجعه لقادر * يوم تبلىٰ السرائر * فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ ، أي : الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل مشرقًا ومغربًا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في[٦] مغاربها ، وتقرير[٧] الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولاحساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع

---

(٢٠) أخرجه أحمد (٩٣/٥) (٢٠٩٤١) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ...، حديث (٤٣٠/١١٩) (٢٠٠/٤ - ٢٠١) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : التحلق ، حديث (٤٨٢٣) (٢٥٨/٤) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا** ﴾ ، حديث (١١٦٢٢) (٤٩٨/٦) . والطبري (٨٦/٢٩) .

(٢١) أخرجه الطبري (٨٥/٢٩ - ٨٦) .

---

[١] - في خ : عنبر .
[٢] - في ز ، خ : في .
[٣] - في الطبري : شقيق .
[٤] - زيادة من خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : من .
[٧] - في ز : وتقدير .

وكائن لا محالة . ولهذا أتىٰ بـ « لا » في ابتداء القسم ليدل علىٰ أن المقسم عليه نفي ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد علىٰ زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة اللَّه تعالىٰ ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السماوات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أولم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : يوم القيامة [ ][١] نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ ، أي : بعاجزين . كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه * بلىٰ قادرين علىٰ أن نسوي بنانه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين علىٰ أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ واختار ابن جرير ﴿ **علىٰ أن نبدل خيرًا منهم** ﴾ ، أي : أمة تطيعنا ، ولا تعصينا وجعلها كقوله : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ . والمعنىٰ الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فذرهم** ﴾ ، أي : يامحمد ﴿ **يخوضوا ويلعبوا** ﴾ ، أي : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ ، أي : فسيعلمون غِب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون** ﴾ ، أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالىٰ لموقف[٢] الحساب ، ينهضون سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلىٰ غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : ﴿ **نَصْب** ﴾ ، بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنىٰ المنصوب . وقرأ الحسن البصري : ﴿ **نُصُب** ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أي : كأنهم في إسراعهم إلىٰ الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلىٰ النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون أيهم يستلمه أول ؟ وهذا مروي عن مجاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البَطِين ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس، وأبي صالح ، وعاصم بن بهدلة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم** ﴾ ، أي : خاضعة ﴿ **ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، ﴿ **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾ .

[**آخر تفسير سورة « سأل سائل »**][٣] [ولله الحمد والمنة][٤] .

---

[١] - في ز : أي .

[٢] - في ز : لوقت .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز ، خ .

سورة المعارج

مكيّة، وهي أربع وأربعون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أي: دعا داع ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ أي: استدعاه وطلبه وهو النَّضر بن الحارث حيث قال إنكارًا واستهزاءً: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال، ٣٢/٨].[١] / وقيل: أبو جهل، [٢٢٤و] حيث قال: ﴿أَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء، ١٨٧/٢٦]. وقيل: هو الحارث بن النُّعمان الفِهري، وذلك أنّه لمّا بلغه قول النبيّ[٢] صلّى الله عليه وسلّم في عليّ رضي الله عنه: «مَن كنت مولاه فعليّ مَولاه»،[٣] قال: «اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقًّا فأمطر علينا حجارةً مِن السماء»، فما لبث حتّى رماه الله تعالى بحَجر فوقَع على دِماغه فخرج مِن أسفله، فهلك مِن ساعته. وقيل: هو الرسول صلّى الله عليه وسلّم استعجل عذابهم.[٤]

وقُرئ: "سَالَ"،[٥] وهو إمّا مِن السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مرّ، أو مِن السَّيلان، ويؤيّده أنّه قُرئ: "سَالَ سَيْلٌ"،[٦] أي: اندفع وادٍ بعذاب واقع.

---

١ مرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٩/٤؛ واللباب لابن عادل، ٣٥٠/١٩.

٢ س ي: رسول الله.

٣ مسند أحمد، ٧١/٢ (٦٤١)؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ٥٦٩/٢ (٩٥٩)؛ سنن الترمذي، ٦٣٣/٥ (٣٧١٣).

٤ الأقوال الثلاثة في اللباب لابن عادل، ٣٥٠/١٩-٣٥١.

٥ قرأ بها أبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وزيد بن ثابت. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٢٨.

وصيغةُ الماضي للدلالة على تحقّق وقوعه إمّا في الدنيا وهو عذاب يوم بدر، فإنّ النَّضر قُتل يومئذ صَبْرًا،[١] وقد مرّ حال الفِهري،[٢] وإمّا في الآخرة فهو عذاب النار.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صفة أخرى لـ﴿عَذَابٍ﴾ أي: كائن للكافرين، أو صلة لـ﴿وَاقِعٍ﴾ أو متعلّق بـ﴿سَأَلَ﴾،[٣] أي: دعا للكافرين بعذاب واقع. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ صفة أخرى لـ﴿عَذَابٍ﴾، أو حال منه لتخصّصه بالصفة أو بالعمل، أو مِن الضمير في ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على تقدير كونه صفةً لـ﴿عَذَابٍ﴾، أو استئناف.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلّق بـ﴿وَاقِعٍ﴾ أو بـ﴿دَافِعٌ﴾، أي: ليس له دافع مِن جهته تعالى. ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعِد التي تصعَد فيها الملائكة بالأوامر والنّواهي، أو هي عبارة عن السماوات المترتِّبة بعضُها فوق بعض.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ عليه السلام، أُفرِد بالذِّكر لتميّزه وفَضْله. وقيل: ﴿ٱلرُّوحُ﴾ خَلْق هم حفَظة على الملائكة كما أنّ الملائكة حفَظة على الناس.[٤] ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أوامره تعالى. وقيل: هو مِن قبيل قول إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات، ٩٩/٣٧]، أي: إلى حيث أمرني به.[٥]

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ممّا يعدّه الناس. وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعد مداها على مِنهاج التمثيل والتخييل، / والمعنى أنّها [٢٢٤ظ] مِن الارتفاع بحيث لو قُدّر قَطْعها في زمان لَكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنةٍ مِن سِني الدنيا. وقيل: معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدارَ خمسين ألف سنةٍ، أي: يقطعون في يومٍ ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنةٍ لو فُرض ذلك.[٦]

---

١ الصَّبْر: نصب الإنسان للقتل، وأصل الصَّبْر: الحبس. لسان العرب لابن منظور، «نيط».
٢ يعني: مرّ آنفًا.
٣ وفي هامش م: على الوجه الأخير. «منه».
٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٩/٤. وسيأتي تفصيل وجوه تأويل "الروح" في تفسير النبأ، ٣٨/٧٨.
٥ القول في اللباب لابن عادل، ٣٥٤/١٩.
٦ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٦/٣.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلِّق بـ﴿وَاقِعٍ﴾. وقيل: بـ"سالَ" على تقدير كونه مِن السَّيلان، فالمراد به يوم القيامة، واستطالته إمّا لأنّه كذلك في الحقيقة، أو لشدّته على الكفّار، أو لكثرة ما فيه مِن الحالات والمحاسَبات.[١]

وأيًا ما كان فذلك في حقّ الكافر، وأمّا في حقّ المؤمن فلا، لِما روى أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه أنّه قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما أطولَ هذا اليوم! فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى إنّه يكون أخفّ مِن صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا».[٢]

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ متعلِّق بـ﴿سَأَلَ﴾؛ لأنّ السؤال كان عن استهزاء وتعنُّت وتكذيب بالوحي، وذلك ممّا يُضجره عليه السلام أو كان عن تضجّر واستبطاء للنصر، أو بـ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾، أو "سَالَ سَيْلٌ" فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعِه فقد شارفتَ الانتقام.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي: العذابَ الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلُّق ﴿فِي يَوْمٍ﴾[٣] بـ﴿وَاقِعٍ﴾.[٤] ﴿بَعِيدًا﴾ أي: يستبعدونه بطريق الإحالة فلذلك يسألون به.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ هيّنًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذِّر، على أنّ البُعد والقرب معتبران بالنسبة إلى الإمكان، والجملة تعليل للأمر بالصبر.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ متعلِّق بـ﴿قَرِيبًا﴾، أي: يمكن ولا يتعذَّر في ذلك اليوم، أو بمضمَر دلّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾، أو بمضمَر مؤخَّر، أي:

---

١ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٦٠.

٢ مسند أحمد، ١٨/٢٤٦ (١١٧١٧)؛ صحيح ابن حبّان، ١٦/٣٢٩ (٧٣٣٤)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٦/٨٠ (الفرقان، ٢٥/٢٦).

٣ في الآية الرابعة مِن هذه السورة.

٤ في الآية الأولى مِن هذه السورة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾... إلخ، يكون مِن الأحوال والأهوال ما لا يُوصَف، أو بدل مِن ﴿فِي يَوْمٍ﴾ على تقدير تعلُّقه بـ﴿وَاقِعٍ﴾.

هذا ما قالوا، ولعلّ الأقربَ أنّ قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ حكاية لسؤالهم / المعهود على طريقة قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف، ١٨٧/٧]، [٢٢٥و] وقولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس، ٤٨/١٠]، ونحوِهما؛ إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النَّضْر أو أبو جهل أو الفهري، فالسؤال بمعناه و"الباء" بمعنى "عن"، كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان، ٥٩/٢٥]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾... إلخ،[١] استئناف مَسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالةَ. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٢] مترتِّب عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ تعليل للأمر بالصبر كما ذُكر. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾... إلخ، متعلِّق بـ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾،[٣] أو بما يدلّ هو عليه، أي: يقع يوم تكون السماء كالمُهل، وهو ما أُذيب على مهَل مِن الفِلِزّات. وقيل: دُرديّ الزيت.[٤]

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا لاختلاف ألوان الجبال، منها ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا[٥] وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر، ٢٧/٣٥]، فإذا بُسّت وطُيِّرت في الجوّ أشبَهت العِهن المنفوش إذا طيَّرته الريح.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يسأل قريب قريبًا مِن[٦] أحواله ولا يُكلِّمه، لابتلاء كلّ منهم بما يشغله عن ذلك. وقُرئ على البناء للمفعول،[٧] أي: لا يطلب مِن حميم حميمُه أو لا يُسأل منه حالُه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصَّر الأحِمّاء الأحِمّاءَ فلا يَخفَون عليهم، وما يمنعهم مِن التساؤل إلّا تشاغلهم بحال أنفسهم. وقيل: ما يغني عنه مِن مشاهدة الحال

---

١ في الآية الثانية مِن هذه السورة.
٢ في الآية الخامسة مِن هذه السورة.
٣ في الآية الثانية مِن هذه السورة.
٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٠/٤.
٥ م س - ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾.
٦ س: عن.
٧ قرأ بها أبو جعفر والبزيّ بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.

كبياض الوجه وسواده.[١] والأوّل أدخَلُ في التهويل. وجَمْع الضميرين لعموم الحميم. وقُرئ: "يَبْصِرُونَهُمْ".[٢] والجملة استئناف.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنّى الكافر. وقيل: كلّ مُذنِب.[٣] وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ أي: العذاب الذي ابتلُوا به يومئذ ﴿بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حكاية لودادتهم.

و﴿لَوْ﴾ في معنى التمنّي. وقيل: هي بمنزلة "أنْ" الناصبة،[٤] فلا يكون لها جواب، وينسبِك منها وممّا بعدها مصدر يقع مفعولًا لـ﴿يَوَدُّ﴾، والتقدير يودّ افتداءه ببنيه... إلخ، والجملة استئناف لبيان أنّ اشتغال كلّ مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنّى أن / يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقِهم بقلبه فضلًا أن يهتمّ بحاله ويسأل منها. وقُرئ: "يَوْمَئِذٍ"[٥] بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكّن، وبتنوين ﴿عَذَابِ﴾ ونصبِ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾،[٦] وانتصابه بـ﴿عَذَابِ﴾ لأنّه في معنى تعذيب. [٢٢٥ظ]

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته التي فُصل عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ أي: تضمُّه في النسب أو عند الشدائد.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن الثقلين والخلائق، و﴿مَن﴾ للتغليب. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطفٌ على ﴿يَفْتَدِى﴾، أي: يودّ لو يفتدي ثمّ لو ينجيه الافتداء، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني يتمنّى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثمّ ينجيه ذلك وهيهات.

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع إنجاء الافتداء. وضمير ﴿إِنَّهَا﴾ إمّا للنار المدلول عليها بذِكر العذاب، أو هو مبهَم تُرجِم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى: ﴿لَظَىٰ﴾ وهي عَلَم للنار منقول مِن اللظى بمعنى اللهب.

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٤٦-٤٤٧.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ١٩/٣٦١.

٤ ذكره العكبري في التبيان، ٢/١٢٤٠، ونقله ابن عادل في اللباب، ١٩/٣٦٤.

٥ قرأ بها أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٩.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة واليماني. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٥.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ نصب على الاختصاص، أو حال مؤكِّدة، والشَّوى: الأطراف، أو جمع شَواة وهي جلد الرأس. وقُرئ: "نَزَّاعَةٌ"[1] بالرفع على أنّه خبر ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾، أو هو الخبر و﴿لَظَىٰ﴾ بدل مِن الضمير، أو الضمير للقصّة و﴿لَظَىٰ﴾ مبتدأ و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبره.

﴿تَدْعُواْ﴾ أي: تجذب وتُحضِر. وقيل: تدعو وتقول لهم: إليّ إليّ يا كافرُ يا منافقُ. وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثمّ تلتقِطهم التقاطَ الحبّ. وقيل: تدعو: تُهلِك. وقيل: تدعو زبانيتها.[2] ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ أي: عن الحقّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الطاعة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أي: جَمَع المال فجعله في وعاء وكَنَزه، ولم يؤدِّ زكاته وحقوقه، وتشاغل به عن الدِّين، وزُهيَ باقتنائه حرصًا وتأميلًا.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الهَلَع: سرعة الجَزَع عند مسّ المكروه وسرعة المَنْع عند مسّ الخير، وقد فسّره أحسنَ تفسير قولُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر والمرض ونحوهما ﴿جَزُوعًا﴾ أي: مُبالِغًا / في الجَزَع مكثِرًا منه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ [٢٢٦و]
أي: السَّعة والصحّة ﴿مَنُوعًا﴾ مُبالِغًا في المنع والإمساك. والأوصافُ الثلاثة أحوال مقدَّرة أو محقَّقة؛ لأنّها طبائعُ جُبل الإنسان عليها. و﴿إِذَا﴾ الأولى ظرف لـ﴿جَزُوعًا﴾ والثانية لـ﴿مَنُوعًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناء للمتَّصفين بالنعوت الجليلة الآتية مِن المطبوعين على القبائح الماضية؛ لأنباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحقّ، والإشفاقِ

---

[1] قرأ بها العشرة إلّا حفصًا. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.

[2] الأقوال الأربعة في الكشّاف للزمخشري، ٤٦١/٤.

على الخلق، والإيمانِ بالجزاء، والخوف مِن العقوبة وكَسْر الشَّهوة، وإيثار الآجِل على العاجل، على خلاف القبائح المذكورة الناشئة مِن الانهماك في حبّ العاجل وقَصْر النظر عليه.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ لا يشغَلهم عنها شاغل.

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي: نصيب معيَّن يستوجبونه على أنفسهم تقرُّبًا إلى الله تعالى وإشفاقًا على النّاس مِن الزكاة المفروضة والصدقات المُوظَّفة.

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ للذي يسأله ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الذي لا يسأله، فيُظنّ أنّه غنيّ فيُحرَم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بأعمالهم حيث يُتعبون أنفسهم في الطاعات البدنيّة والماليّة طمعًا في المثوبة الأخرويّة بحيث يُستدلّ بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم مع ما لهم مِن الأعمال الفاضلة استقصارًا لها واستعظامًا لجنابه عزّ وجلّ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون، ٦٠/٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ﴾ اعتراضٌ مؤذِن بأنّه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ سلَف تفسيره في سورة المؤمنين.[١]

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ﴾ أي: طلَب لنفسه ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ وراء ما ذُكر مِن الأزواج والمملوكات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المبتغون ﴿هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ المتعدُّون لحدود الله تعالى.

---

١ في تفسير الآيتين الخامسة والسادسة منها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ لا يُخلّون بشيء مِن حقوقها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: مقيمون لها بالعدل إحياءً لحقوق الناس. [٢٢٦ظ] وتخصيصُها بالذِّكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة / فضلها. وقُرئ: "لِأَمَانَتِهِمْ"[١] و"بِشَهَادَتِهِمْ"[٢] على إرادة الجنس.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يُراعون شرائطها ويكمِّلون فرائضها وسُننها ومستحَبّاتِها وآدابَها. وتكريرُ ذِكر الصّلاة ووَصْفهم بها أوّلًا وآخرًا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات. وتكريرُ الموصولات لتنزيل اختلاف الصفاتِ منزلةَ اختلاف الذوات، كما في قول مَن قال:

إلى المَلِك القَرْم وابنِ الهُمامِ ... وليثِ الكتائب في المُزدَحَمْ[٣]

إيذانًا بأنّ كلّ واحد مِن الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله، له شأن خطير مُستتبع لأحكام جمّة، حقيق بأن يفرَد له موصوف مستقلّ ولا يُجعَل شيء منها تتمّةً للآخر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الموصوفين بما ذُكر مِن الصفات، وما فيه مِن معنى البُعد مع قُرب العهد بالمُشار إليهم للإيذان بعلوّ شأنهم وبُعد منزلتهم في الفضل، وهو مبتدأ خبرُه ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: مستقِرُّون في جنّات لا يُقادَر قَدْرها ولا يُدرَك كُنهها.

وقوله تعالى: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ خبر آخرُ، أو هو الخبر و﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ متعلِّق به، قدّم عليه لمراعاة الفواصل، أو بمضمَر هو حال مِن الضمير في الخبر، أي: مكرَمون كائنين في جنّات.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٤١﴾

---

١ قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

٢ قرأ بها العشرة إلّا يعقوبَ وحفصًا. النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.

٣ مضى بتخريجه وشرحه في تفسير البقرة، ٢٣١/٢.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مُسرِعين نحوَك مادّي أعناقهم إليك مقبِلين بأبصارهم عليك.

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: فِرَقًا شتّى، جمع "عِزَةٍ"، وأصلها "عِزْوَة" مِن "العِزْو"، كأنّ كلّ فِرقة تعتزي إلى غير مَن تعتزي إليه الأخرى. كان المشركون يُحلِّقون حول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَلَقًا حَلَقًا وفِرَقًا فِرَقًا ويستهزئون بكلامه عليه السلام، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلَندخلنّها قبلهم، فنزلت.[١]

﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ بلا إيمان.

﴿كَلَّآۖ﴾ ردْع لهم مِن ذلك الطمع الفارغ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ قيل: هو / تعليل الرَّدع،[٢] والمعنى: إنّا خلقناهم مِن أجل ما يعلمون، كما في قول الأعشى: [٢٢٧و]

أأزمَعْتَ مِن آل ليلى ابتِكارا وشطَّتْ على ذي هوًى أن تُزارا[٣]

وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة، فمَن لم يستكملها بذلك فهو بمَعزِل مِن أن يُبوَّأ مُبَوَّأ الكاملين فمِن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنّة، وهم مكبُّون على الكفر والفُسوق وإنكار البعث. وقيل: معناه إنّا خلقناهم ممّا يعلمون مِن نُطْفة مَذِرة، فمِن أين يتشرَّفون ويدَّعون التقدّم، ويقولون لَندخُلنّ الجنّة قبلهم.[٤] وقيل: إنّهم مخلوقون مِن نُطْفة قَذِرة لا تُناسب عالم القدس، فمتى لم تستكمِل الإيمانَ والطاعة ولم تتخلَّق بالأخلاق المَلَكيّة لم تستعدّ دخولَها.[٥] ولا يخفى ما في الكلّ مِن التمحّل.

والأقرب أنّه كلام مستأنَف قد سِيق تمهيدًا لِما بعده مِن بيان قدرته تعالى على أن يُهلِكهم لكفرهم بالبعث والجزاء، واستهزائهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبما نزل عليه مِن الوحي، وادّعائهم دخولَ الجنّة بطريق السُّخرية،

---

١ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٦٧/٢٧؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ٤٦٦؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٢/٤.
٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤.
٣ في ديوانه ٤٤٥؛ وهو له في الصحاح للجوهري، (زمع)؛ واللباب لابن عادل، ٣٧٥/١٩؛ وبلا عزو في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٧٢/٢٧.
٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤.
٥ الكلام في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٩/٣.

وينشئ[١] بدلهم قومًا آخرين، فإنّ قدرته تعالى على ما يعلمون مِن النشأة الأولى حجّة بيّنة على قُدرته تعالى على ذلك، كما يُفصِح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

والمعنى: إذا كان الأمر كما ذُكر مِن أنّا خلقناهم ممّا يعلمون فأقسِم بربّ المشارق والمغارب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: نُهلِكهم بالمرّة حسبما يقتضيه جناياتهم، ونأتي بدلهم بخَلْق آخرين ليسوا على صفتهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكنّ مشيئتنا المبنيّة على الحِكَم البالغة اقتضت تأخيرَ عقوباتهم.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخلّهم وشأنَهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم الذي مِن جملته ما حُكي عنهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ هو يوم البعث عند النفخة الثانية، لا يوم النفخة الأولى كما تُوهِّم، فإنّ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ بدل مِن ﴿يَوْمَهُمُ﴾. وقُرئ: "يُخْرَجُوْنَ"[٢] على البناء للمفعول مِن الإخراج. ﴿سِرَاعًا﴾ حال مِن مرفوع / ﴿يَخْرُجُونَ﴾، أي: مسرِعين ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وهو كلّ ما نُصِب فعُبد مِن دون الله تعالى. وقُرئ بسكون "الصاد"،[٣] وبفتح "النون" وسكون "الصاد" أيضًا.[٤] ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون. [٢٢٧ظ]

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وُصفت أبصارهم بالخشوع مع أنّه وَصْف الكلّ لغاية ظهور آثاره فيها. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم ذِلّة شديدة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر ما سيقع فيه

---

١ السياق: أن يُهلِكهم... وينشئ...

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب والأعشى والبُرجُمي وأبي حَيْوَة وأبي البَرَهسم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٣١.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي العالية والحسن وقتادة وعمرو بن فائد وابن مُسلم عن ابن عامر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٣١.

٤ قرأ بها العشرة إلّا ابن عامر وحفصًا. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩١.

مِن الأحوال الهائلة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».[١]

---

١ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٢٨/٢٧ (المعارج، ١/٧٠)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٣٥٠/٤؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٠

سورة المعارج

مكية، أربعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿سأَلَ سائلٌ﴾: دعا داعٍ ﴿بِعَذابٍ واقِعٍ لِلكافِرينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ﴾ ـ هو النضرُ بنُ الحارثِ، قال: «اللَّهمَّ إن كانَ هذا هُوَ الحَقَّ» الآيَةَ ـ ٣ ـ ﴿مِنَ اللهِ﴾: مُتَّصلٌ بـ «واقع» ﴿ذِي المَعارِجِ﴾: مَصاعِدِ الملائكة وهي السماوات، ٤ ـ ﴿تَعرُجُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ والرُّوحُ﴾: جِبريلُ ﴿إلَيهِ﴾: إلى مَهبِطِ أمرِه من السماء ﴿في يَومٍ﴾: متعلّقٌ بمحذوف، ....

سورة المعارج

قولُهُ: (دَعَا دَاعٍ) أي: استَدعاهُ، ولذلك عُدِّيَ الفِعلُ بالباء، وقرأَ نافعٌ وشاميٌّ[١] بألفٍ من الهَمزِ أو من واوٍ أو ياءٍ أُبدِلا.

قولُهُ: (هو) أي: السَّائِلُ.

قولُهُ: (النَّضرُ) أو أبُو جَهلٍ، أو نوحٌ، أو مُحمَّدٌ عليهما السَّلام.

قولُهُ: (﴿دافِعٌ﴾) أي: ليسَ له دافِعٌ يَردُّهُ من جهَتِهِ؛ لتعَلُّقِ إرادَتِهِ به، فلا يكونُ من غيرِهِ.

قولُهُ: (مَصَاعِدِ) أو الدَّرَجاتِ في دارِ المثوباتِ.

قولُهُ: (واليَاء) التَّذكيرُ للكِسائِي[٢].

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) أو بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وقيل: مُتعَلِّقٌ بـ﴿يَعرُجُ﴾، وهو استِئنافٌ لبَيانِ ارتِفاعِ تلك المعارِجِ،

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٠).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

أي: يقع العذاب بهم في يوم القِيامة، ﴿كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لِما يَلقى فيه من الشدائد. وأمّا المُؤمن فيكون عليه أخفّ من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث.

٥ ـ ﴿فاصبِرْ﴾ ـ وهذا قبل أن يُؤمر بالقِتال ـ ﴿صَبرًا جَمِيلاً﴾ أي: لا جزعَ فيه.

٦ ـ ﴿إنَّهُم يَرَونَهُ﴾ أي: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غيرَ واقع، ٧ ـ ﴿ونَراهُ قَرِيبًا﴾: واقعًا لا محالة، ٨ ـ ﴿يَومَ تَكُونُ السَّماءُ﴾ ـ مُتعلّقٌ بمحذوف، أي: يقعُ ـ ﴿كالمُهلِ﴾: كذائب الفِضّة، ٩ ـ ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ﴾: كالصّوف في الخِفّة والطيران بالريح، ١٠ ـ ﴿ولا يَسألُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريبٌ قريبَه لِاشتغال كُلٍّ بحاله.

والمعنى: إنَّها بحيثُ لو قُدِّرَ قطعُها في زمانٍ لكانَ في زمانٍ يُقدَّرُ بخمسِينَ ألفَ سَنةٍ من سنيِّ الدُّنيا.

قولُهُ: (بالنِّسبَةِ) أو لأنَّهُ على الحقيقَةِ كذلك.

قولُهُ: (هَذا) هذا إن كان معناهُ الصَّبرَ على أذى الكُفَّارِ وتَركِ مُقاتَلَتِهم، وأمَّا إذا كان الأمرُ بالصَّبرِ على الطَّاعَةِ وفي المصيبَةِ، ومِن تحمُّلِ عبءِ الرِّسالةِ فلا نسخَ، وهو الظَّاهِر.

قولُهُ: (لا جَزَع فِيهِ) ولا شَكوى إلى مَخلوقٍ.

قولُهُ: (أي: العَذَابَ) أو يومَ القيامَةِ.

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) دَلَّ عليهِ: ﴿وَاقِع﴾.

قولُهُ: (كَذَائِبِ الفِضَّةِ) أي: المذابِ في مَهَلٍ وتَدريجٍ، كالفلِزَّاتِ[١].

قولُهُ: (كالصُّوفِ) المصبُوغِ ألواناً.

قولُهُ: (والطَّيَرَانِ) عَطفٌ على: (الخِفَّةِ).

قولُهُ: (بالرِّيحِ) أي: بسَبَبِها، مُتعَلِّقٌ بـ﴿تكونُ﴾؛ لأنَّ الجبالَ مُختَلفةُ الألوانِ فإذا بُسَّت وطُيِّرَت في الجوِّ أشبَهَت العِهنَ المنفوشَ: إذا طَيَّرتهُ الرِّيحُ.

قولُهُ: (قَرِيب) وما ذكَرَ البَيضاوِيُّ[٢] عن ابنِ كَثيرٍ: (ولا يسأل)، مَجهولاً غيرُ مَعروفٍ عندَ القُرَّاء[٣].

---

(١) الفلز: نحاس أبيض يجعل منه قدور عظام مفرغة، «العين» للخليل (٧/ ٣٦٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٥).

(٣) قلت: قرأ بذلك البزي بخلف عنه، وابن مجاهد في «السبعة في القراءات» غلط ذلك، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٥٠)، و«جامع البيان في القراءات السبع» (٤/ ١٦٥٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُم﴾ أي: يُبصَّر الأحِمّاءُ بعضُهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلّمون ـ والجملة: مُستأنفة ـ ﴿يَوَدُّ المُجرِمُ﴾: يتمنّى الكافر ﴿لَو﴾ بمعنى: أن ﴿يَفتَدِيْ مِن عَذابِ يَومِئِذٍ﴾ ـ بكسر الميم وفتحها ـ ﴿بِبَنِيهِ، وصاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وأخِيهِ، وفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿الَّتِي تُؤوِيهِ﴾: تضمُّه، ١٤ ـ ﴿ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ: عطفٌ على «يفتدي». ١٥ ـ ﴿كَلاّ﴾: ردٌّ لِما يَودّه، ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿لَظَى﴾: اسم لجهنّمَ لأنها تتلظّى، أي: تتلهّب على الكُفّار، ١٦ ـ ﴿نَزّاعةً لِلشَّوَى﴾: جمعُ شَواة ـ وهي جِلدة الرأس ـ ١٧ ـ ﴿تَدعُو مَن أدبَرَ وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان بأن تقول: «إليّ إليَّ»، ١٨ ـ ﴿وجَمَعَ﴾ المال ﴿فأوعَى﴾: أمسكَه في وِعائه ولم يُؤدِّ حقّ الله منه.

١٩ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: حالٌ مُقدّرة، وتفسيرُه: ٢٠ ـ ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقتَ مس الشرّ، ٢١ ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا﴾ وقتَ مسّ الخيرِ أي: المالِ لحقِّ الله منه، ٢٢ ـ ﴿إلاّ المُصَلِّينَ﴾ أي: المُؤمنين، ٢٣ ـ ﴿الَّذِينَ هُم عَلَى صَلاتِهِم دائِمُونَ﴾: مُواظبون،.........

قولُهُ: (مُستَأنَفَةٌ) تدُلُّ على أنَّ المانِعَ عن السُّؤالِ هو الشَّاغِلُ دُونَ الخفاءِ، وجمعُ الضَّميرِ لعُمومِ الحَميمِ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافِعٌ والكَسائِي[1].

قولُهُ: (تَضُمُّهُ) في النَّسَبِ وعندَ الشَّدائِدِ.

قولُهُ: (رَدٌّ) أي: رَدعٌ للمُجرِمِ عن الوَدادَةِ، ودَلالَةٌ على أنَّ الافتداءَ لا يُنجيهِ.

قولُهُ: (أي: النَّارَ) أو مُبهَمٌ تفسيرُهُ ﴿لظى﴾، وهو خبرٌ أو بدَلٌ.

قولُهُ: (جِلدَةُ الرَّأسِ) أو الشَّوَى: الأطرافُ، وحفصٌ بنَصْبِ ﴿نَزَّاعَة﴾ على الاختِصاصِ[2].

قولُهُ: (بأَن تَقُول) أو تجذِبَ، أو تدعو زَبانيتُها.

قولُهُ: (أَمسَكَهُ) أي: جعَلَهُ في وعاءٍ وكنَزَهُ حِرصاً وتأميلاً.

قولُهُ: (حَالٌ مُقَدَّرَةٌ) أو مُحَقَّقةٌ؛ لأنَّها طبيعَةٌ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وكذا الحالُ في الحالَينِ المتأخِّرَين.

قولُهُ: (وتَفسِيرُهُ) أي: ما بعدَهُ، وقيل معناهُ: شَديدَ الحِرصِ قَليلَ الصَّبرِ.

قولُهُ: (وَقتَ مَسِّ الشَّرِّ) أي: الضُّرِّ والفقرِ، أشارَ إلى أنَّ: ﴿إذا﴾ ظَرفٌ لـ﴿جَزُوعًا﴾.

قولُهُ: (لِحَقِّ اللهِ) مُتعلِّقٌ بـ﴿مَنُوعاً﴾.

قولُهُ: (مُوَاظِبُونَ) لا يَشغَلُ عنها شاغِلٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

٢٤ ـ ﴿والَّذِينَ في أمْوالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ﴾ هو الزكاة ٢٥ ـ ﴿لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾: المُتعفّف عن السّؤال فيُحرَم، ٢٦ ـ ﴿والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاء، ٢٧ ـ ﴿والَّذِينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ﴾: خائفون ـ ٢٨ ـ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّهِم غَيرُ مأمُونٍ﴾ نزولُه ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ، إلاّ علَى أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم﴾ من الإماء ـ ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ. فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾: المُتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ـ ٣٢ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، وفي قراءة بالإفراد: ما اؤْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا، ﴿وعَهدِهِم﴾ المأخوذِ عليهم في ذلك، ﴿راعُونَ﴾: حافظون، ٣٣ ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِشَهادتِهِم﴾ ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿قائمُونَ﴾: يُقيمونها ولا يكتمونها، ٣٤ ـ ﴿والَّذِينَ هُم علَى صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥ ـ ﴿أُولئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿فما لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: نحوَك ﴿مُهطِعِينَ﴾: حالٌ،.........................

قولُهُ: (هُوَ الزَّكَاةُ) وسائرُ الواجِباتِ الماليَّة.

قولُهُ: (فَيُحرَمُ) غالِباً بحِسبانِهِ غَنيًّا.

قولُهُ: (خَائِفُونَ) على أنفُسِهِم.

قولُهُ: (نُزُولُهُ) اعتِراضٌ يدُلُّ على أنَّه لا ينبَغي لأحَدٍ أن يأمَنَ من عَذابِ الله وإن بالَغَ في طاعَتِه.

قولُهُ: (مِنَ الإِمَاءِ) من بَيانيَّةٌ.

قولُهُ: (المُتَجَاوِزُونَ)كالاستِمناءِ لغَيرِ ضَرورَةٍ، والمتعَةِ، ووَطءِ العَبدِ والحَيوانِ والميتَةِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكّيٍّ[1].

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) أي: في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَة) لِحَفص[2].

قولُهُ: (بالجَمعِ) لاختلافِ الأنواعِ.

قولُهُ: (في أَوقَاتِهَا) ورِعايَةِ بقيَّةِ شُروطِها وأركانِها وواجِباتِها، وفي تكريرِ ذِكرِ الصَّلاةِ ووصفِهِم بِها أوّلاً وآخِراً باعتِبارَين ـ أعني: المداوَمَةَ والمحافَظَة ـ دلالَةٌ على فَضلِها على غَيرِها.

قولُهُ: (نَحوَكَ) أو حَولَك.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

أي: مُديمِي النظر، ٣٧ ـ ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: جماعاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلَنّها قبلَهم؟ ٣٨ ـ ٣٩ ـ قال تعالى: ﴿أيطمَعُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُدخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن طمعهم في الجنّة. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ كغيرهم ﴿مِمّا يَعلَمُونَ﴾: من نُطَف. فلا يُطمع بذلك في الجنّة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿فلا﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿أُقسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب. ﴿إنّا لَقادِرُونَ على أن نُبَدِّلَ﴾: نأتيَ بدَلَهم ﴿خَيرًا مِنهُم، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين عن ذلك. ٤٢ ـ ﴿فذَرْهُم﴾: اتركْهم، ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلاقُوا﴾: يلقَوا ﴿يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ، ٤٣ ـ ﴿يَومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿سِراعًا﴾ إلى المحشر، ﴿كأنَّهُم إلَى نَصْبٍ﴾، وفي قراءة بضمّ الحرفين، شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون، ٤٤ ـ ﴿خاشِعةً﴾: ذليلة ﴿أبصارُهُم، تَرهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ. ذلِكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾. ذلك: مُبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يومُ القيامة.

قولُهُ: (مُدِيمِي النَّظَرِ) أو مُسرِعين.

قولُهُ: (أي: جَمَاعَاتٍ) يعني: فِرَقاً شَتَّى، جمعُ: عِزَة.

قولُهُ: (وسَائِرِ الكَوَاكِبِ) يعني: جَمَعَها باعتِبارِ ضَمِّ الكَواكِبِ، والتَّحقيقُ أنَّ لهما كُلَّ يومٍ ولَيلةٍ مَشرِقًا ومَغرِبًا، وحيثُ ثَنَّى اعتُبِرَ مَشرِقَي الشِّتاءِ والصَّيفِ ومَغرِبيهِما، وحيثُ أفرَدَ اعتُبِرَ الجِنس.

قولُهُ: (نَأتِي بَدَلَهُم) بأن نُهلِكَهُم ونَأتي بخَلقٍ أمثَلَ منهم.

قولُهُ: (بعَاجِزِينَ) أو مغلوبينَ إن أرَدنا.

قولُهُ: (اترُكْهُم) أمرُ تهديدٍ ووعيدٍ.

قولُهُ: (إلى المحشَر) أي: مُسرِعينَ، جمعُ: سَريعٍ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لشاميٍّ وحَفصٍ[1]، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

سُورَةُ المعَارِج

وتسمَّى: سورة الواقع[1]، وسورة سأل.

وهي مكية بالاتفاق على ما قال القرطبيُّ[2]. وفي «مجمع البيان»[3]: عند الحسن إلَّا قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية: ٢٤].

وآيُها ثلاث وأربعون في الشامي، واثنتان وأربعون في غيره[4].

وهي كالتتمة لسورة «الحاقة» في بقيَّة وصف القيامة والنار، وقد قال ابن عباس: إنَّها نزلت عقيب سورة «الحاقة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ أي: دعا داعٍ به، فالسؤال بمعنى الدعاء، ولذا عدِّي بالباء تعديته بها في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الدخان:٥٥] والمراد: استدعاء العذاب وطلبه، وليس من التضمين في شيء. وقيل: الفعل

---

(١) في الأصل و(م): المواقع، والمثبت من السبعة في القراءات ص٦٥٠، والإتقان ١/ ١٧٦.

(٢) في تفسيره ٢١/ ٢١٨.

(٣) ٢٩/ ٥٠.

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه: والمختلف فيه آية: «ألف سنة». انتهى منه. وقد جاء في البيان في عدّ أي القرآن للداني ص٢٥٤، ومجمع البيان ٢٩/ ٥٠، والإتقان ١/ ٢١٦، وحاشية الشهاب ٨/ ٢٤١ أن عدد آياتها ثلاث وأربعون أو أربع وأربعون. وذكر أبو الليث السمرقندي والواحدي والبغوي والزمخشري والقرطبي والإمام الرازي والبيضاوي وأبو حيان وأبو السعود في تفاسيرهم أنها أربع وأربعون، فقول المصنف اثنان وأربعون، لعله وهم منه رحمه الله.

مضمَّن معنى الاهتمام والاعتناء، أو هو مجازٌ عن ذلك، فلذا عدِّي بالباء. وقيل: إنَّ الباء زائدة. وقيل: إنَّها بمعنى: «عن»، كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩].

والسائل هو النضر بن الحارث كما روى النسائيُّ وجماعةٌ وصحَّحه الحاكم عن ابن عباس[(١)]، ورُوي ذلك عن ابن جُريج والسُّدي والجمهور، حيثُ قال إنكاراً واستهزاءً: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وقيل: هو أبو جهل، حيثُ قال: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء:١٨٧].

وقيل: هو الحارث بن النعمان الفِهْري، وذلك أنَّه لمَّا بلغه قولُ رسول الله ﷺ في عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، قال: اللهمَّ إن كان ما يقول محمد ﷺ حقّاً، فأمطر علينا حجارةً من السماء. فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجرٍ، فوقعَ على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته[(٢)]. وأنت تعلم أنَّ ذلك القولَ منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرَّم الله تعالى وجهه كان في غدير خُمّ، وذلك في أواخر سنيِّ الهجرة، فلا يكون ما نزل مكيّاً على المشهور في تفسيره، وقد سمعتَ ما قيل في مكية هذه السورة.

وقيل: هو الرسولُ ﷺ استعجلَ عذابَهم. وقيل: هو نوح عليه السلام سأل عذابَ قومه.

وقرأ نافع وابن عامر: «سال» ـ بألف، كقال ـ «سايل» بياء بعد الألف[(٣)]،

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٣، والنسائي في الكبرى (١١٥٥٦)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وجاء في مطبوع المستدرك موقوفاً على سعيد بن جبير، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٣ وعزاه لهما ولغيرهما من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٥٣-٥٤ وفي إسناده انقطاع، وانظر كلام المصنف الآتي. وقول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» سلف ٧/ ٣٦.

(٣) قراء «سال» بالألف في السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠. قال في السبعة: وكلهم قرأ: «سائل» بالهمزة بلا خلاف. اهـ. وقال ابن الجزري في النشر: وانفرد

فقيل: يجوز أن يكون قد أُبدلت همزةُ الفعل ألفاً؛ وهو بدلٌ على غير قياس، وإنَّما قياس هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة مَنْ قال: سِلْتُ أسَالُ. حكاها سيبويه(١). وفي «الكشاف»(٢): هو من السؤال، وهو لغة قريش يقولون: سِلْتَ تسَال، وهما يتسايلان. وأراد أنَّه من السؤال المهموز معنًى لا اشتقاقاً بدليل: وهما يتسايلان. وفيه دلالةٌ على أنَّه أجوف يائيٌّ، وليس من تخفيف الهمزة في شيء. وقيل: السُّوال: بالواو الصريحة مع ضمِّ السين وكسرها، وقولُه: يتسايلان. صوابُه: يتساولان، فتكون ألفُه منقلبةً عن واو كما في: قال وخاف، وهو الذي ذهب إليه أبو علي في «الحجة»(٣) وذكر فيها أنَّ أبا عثمان حكى عن أبي زيد أنَّه سمع من العرب من يقول: هما يتساولان. ثمَّ إنَّ في دعوى كون: سِلْت تسال لغةَ قريش تردُّداً، والظاهر خلاف ذلك، وأنشدوا لورود: سال، قولَ حسان يهجو هُذَيلاً لمَّا سألوا النبيَّ ﷺ أن يبيح لهم الزنى:

سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلَّتْ هذيلٌ بما قالت ولم تُصِبِ(٤)

وقولَ آخر:

سالتاني الطَّلاقَ أن رأتاني ... قلَّ مالي قد جئتماني بنُكْرِ(٥)

وجوِّز أن يكون سال من السيلان، وأُيِّد بقراءة ابن عباس: «سَال سَيْل»(٦) فقد

= النهرواني عن الأصبهاني عن ورش بتسهيل «سائل» بين بين هذا الموضع خاصة، وكذا رواه الخزاعي عن ابن فليح عن ابن كثير وسائر الرواة عن الأصبهاني وعن ورش خلافه.

(١) في الكتاب ٣/ ٥٥٥.
(٢) ٤/ ١٥٦.
(٣) ٦/ ٣١٧.
(٤) ديوان حسان ص١٢٣، والكتاب ٣/ ٤٦٨، وفيهما: بما جاءت، بدل: بما قالت، وذكره المبرد في الكامل ٢/ ٦٢٦ برواية: بما سالت.
(٥) يروى البيت ـ في عدة أبيات ـ لزيد بن عمرو بن نُفيل، ولابنه سعيد بن زيد، ولنُبيه بن الحجاج، ينظر الخزانة ٦/ ٤١٥. والبيت في الكتاب ٣/ ٥٥٥، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٥، والخزانة ٦/ ٤١٠، ورواية البيان، والخزانة:

سالتاني الطلاق أن رأتا ما ... لي قليلاً.......

(٦) القراءات الشاذة ص١٦١، والمحتسب ٢/ ٣٣٠.

قال ابن جني[1]: السيل هاهنا: الماء السائل، وأصلُه المصدر من قولك: سال الماء سيلاً، إلَّا أنَّه أُوقع على الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي: غائراً. وقد تسومح في التعبير عن ذلك بالوادي فقيل: المعنى: اندفَع وادٍ بعذاب واقع.

والتعبيرُ بالماضي قيل: للدلالة على تحقُّق وقوع العذاب، إمَّا في الدنيا وهو عذاب يوم بدر وقد قُتل يومئذٍ النضرُ وأبو جهل، وإمَّا في الآخرة وهو عذابُ النار.

وعن زيد بن ثابت أنَّ سائلاً اسمُ وادٍ في جهنم. وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن ابن عباس[2] ما يحتمله.

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ صفةٌ أخرى لـ «عذاب»، أي: كائن للكافرين، أو صلةٌ لـ «واقع» واللَّام للتعليل، أو بمعنى: «على»، ويؤيّده قراءةُ أُبيٍّ: «على الكافرين»[3]. وإن صحَّ ما رُوي عن الحسن وقتادة: أنَّ أهلَ مكة لمَّا خوَّفهم النبيُّ ﷺ بعذابٍ، سألوا عنه: على مَنْ ينزل وبمن يقع؟ فنزلت، كان هذا ابتداءَ كلامٍ جواباً للسائل، أي: هو للكافرين.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ صفةٌ أخرى لـ «عذاب»، أو حالٌ منه؛ لتخصيصه بالصفة أو بالعمل، أو من الضمير في «للكافرين» على تقدير كونه صفةً لعذاب، على ما قيل، أو استئناف، أو جملة مؤكِّدةٌ لـ : هو للكافرين، على ما سمعت آنفاً، فلا تَغْفُل.

وقوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقٌ بـ «دافع»، و«من» ابتدائية، أي: ليس له دافعٌ يردُّه من جهته عز وجل؛ لتعلُّق إرادته سبحانه به.

وقيل: متعلِّقٌ بـ «واقع»، فقيل: إنَّما يصحُّ على غير قول الحسن وقتادة، وعليه يلزم الفصلُ بالأجنبي؛ لأنَّ «للكافرين» على ذلك جوابُ سؤال، ثمَّ إنَّ التعلُّقَ

---

(١) في المحتسب ٢/ ٣٣٠.

(٢) عزاه لهما السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٤.

(٣) البحر ٨/ ٣٣٢.

بـ «واقع» ـ على ما عدا قولهما ـ إن جُعل «للكافرين» من صلته أيضاً كان أظهرَ، وإلَّا لزم الفصلُ بين المعمول وعامله بما ليس من تتمَّته، لكن ليس أجنبياً من كلِّ وجهٍ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ هي لغةً: الدرجات، والمراد بها على ما رُوي عن ابن عباس: السماوات تعرجُ فيها الملائكة من سماءٍ إلى سماء. ولم يعيِّنها بعضُهم فقال: أي: ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي.

وقيل: هي مقاماتٌ معنوية تكون فيها الأعمال والأذكار. أو: مراتبُ في السلوك كذلك يترقَّى فيها المؤمنون السالكون. أو: مراتبُ الملائكة عليهم السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة تفسيرها بالفضائل والنِّعم. وروى نحوَه ابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم عن ابن عباس(١).

وقيل: هي الغُرف التي جعلها الله تعالى لأوليائه في الجنة. والأنسب بما يقتضيه المقام من التهويل ما هو أدلُّ على عِزِّه عز وجل وعِظَم ملكوته تعالى شأنه.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ عليه السلام كما ذهب إليه الجمهور، أُفرد بالذكر لتميُّزه وفضله، بناءً على المشهور من أنَّه عليه السلام أفضلُ الملائكة. وقيل: لمجرَّد التشريف، وإن لم يكن عليه السلام أفضلَهم بناءً على ما قيل من أنَّ إسرافيل عليه السلام أفضلُ منه.

وقال مجاهد: «الروح» ملائكةٌ حَفَظةٌ للملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحَفَظةُ كما لا نرى نحن حَفَظتنا. وقيل: خَلْق هم حفظة الملائكة مطلقاً كما أنَّ الملائكة حَفَظةُ الناس. وقيل: مَلَكٌ عظيم الخِلْقة، يقوم وحدَه يوم القيامة صفًّا ويقوم الملائكة كلُّهم صفًّا. وقال أبو صالح: خَلْقٌ كهيئة الناس وليسوا بالناس.

وقال قبيصة بن ذؤيب: روح الميت حين تُقبض. ولعلَّه أراد: الميت المؤمن.

وقرأ عبد الله والكسائيُّ وابن مِقْسم وزائدة عن الأعمش: «يعرج» بالياء التحتية(٢).

---

(١) ينظر الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٦٤.

(٢) التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠ عن الكسائي، والكلام من البحر ٨/ ٣٣٣.

﴿إِلَيْهِ﴾ قيل: أي: إلى عرشه تعالى وحيث يهبط منه أوامرُه سبحانه. وقيل: هو من قبيل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات:٩٩] أي: إلى حيثُ أمرني عز وجل به. وقيل: المراد إلى محلِّ برِّه وكرامته جلَّ وعلا، على أنَّ الكلام على حذف مضافٍ. وقيل: إلى المكان المنتهى إليه، الدالِّ عليه السياق. وفُسِّر بمحلِّ الملائكة عليهم السلام من السماء.

ومعظم السلف يعدُّون ذلك من المتشابه مع تنزيهه عزَّ وجل عن المكان والجسميَّة واللوازم التي لا تليق بشأن الألوهية.

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ أي: من سنينكم، الظاهرُ تعلُّقه بـ «تعرج»، واليوم بمعنى الوقت، والمراد به: مقدار ما يقوم الناس فيه لربِّ العالمين إلى أن يستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة وأهلُ النار في النار من اليوم الآخر والذي لا نهايةَ له. ويشيرُ إلى هذا ما أخرج الإمام أحمد وابنُ حبان وأبو يعلى وابن جرير والبيهقيُّ في «البعث» عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنة، ما أطولَ هذا اليوم! فقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده إنَّه لَيُخفَّفُ على المؤمن حتى يكونَ أهونَ عليه من صلاةٍ مكتوبةٍ يصلِّيها في الدنيا»(١).

واختُلف في المراد بهذا التقدير على هذا الوجه:

فقيل: الإشارةُ إلى استطالة ذلك اليوم لشدَّته، لا أنَّه بهذا المقدار من العدد حقيقةً. وُروي هذا عن ابن عباس. والعرب تصفُ أوقاتَ الشدَّة والحزن بالطول، وأوقاتَ الرخاء والفرح بالقِصَر، ومن ذلك قول الشاعر:

مِن قِصَر اللَّيل إذا زُرْتني ... أشكو وتَشْكِين من الطُّولِ(٢)

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٤-٢٦٥، وأحمد (١١٧١٧)، وابن حبان (٧٣٣٤)، وأبو يعلى (١٣٩٠)، وابن جرير ٢٩/ ٢٥٣-٢٥٤، والبيهقي (١٢٦) (الاستدراكات). وهو من طريق درّاج عن أبي الهيثم، ودراج قال عنه أحمد: أحاديثه مناكير. ولينه، كما ذكر الذهبي في الميزان ٢/ ٢٤، وذكر له هذا الحديث، غير أن الحافظ حسَّن إسناده في الفتح ١١/ ٤٤٨.

(٢) البيت دون نسبة في نفحة الريحانة ٤/ ١٧٧.

وقوله:

ليلي وليلَى نفَى نومي اختلافُهما بالطُّول والطَّوْل يا طوبى لو اعتدلا
يجودُ بالطُّول ليلي كلَّما بخلتْ بالطَّوْل ليلَى وإن جادَتْ به بخلَا[١]

وقوله:

ويومٍ كظلِّ الرمح قصَّر طولَه دمُ الزِّقِّ عنَّا واصطفاقُ المزاهرِ[٢]

إلى ما لا يكاد يحصى. وفي قوله عليه الصلاة والسلام في الخبر السابق: «إنَّه لَيُخفَّف على المؤمن حتى يكونَ أهونَ عليه من صلاة مكتوبةٍ» إشارةٌ إلى هذا. وكذا ما رُوي عن عبد الله بن عمرو من قوله: يُوضع للمؤمنين يومئذٍ كراسيُّ من ذهب، ويظلّل عليهم الغمام ويقصر عليهم ذلك اليوم ويهون حتى يكون كيوم من أيامكم هذه[٣]. ولينظر على هذا القول ما حكمة التنصيص على العدد المذكور.

وقيل: هو على ظاهره وحقيقته وأنَّ في ذلك اليوم خمسين موطناً، كلُّ موطن ألفُ سنة من سني الدنيا، أي: حقيقةً.

وقيل: الخمسون على حقيقتها إلَّا أنَّ المعنى: مقدارُ ما يُقضى فيه من الحساب قَدْرُ ما يقضى بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا، وهو مرويٌّ عن عكرمة.

وأشار بعضهم إلى أنَّ المقدارَ المذكور عليه مجازٌ عمَّا يلزمه من كثرة ما يقع فيه

---

(١) البيتان دون نسبة في معاهد التنصيص ١/ ٢٦٦، والكشكول ٢/ ٣٨٤، ورواية الشطر الثاني في البيت الأول في معاهد التنصيص: حتى لقد صيّراني في الهوى مثلاً.

(٢) نسبه في الشعر والشعراء ١/ ٢٨٤ لبعض الضَّبِّيين، ونسبه صاحب الحماسة كما شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٢٦٩ لشُبرمة بن الطفيل، ونسبه في الحيوان ٦/ ١٧٩، والصحاح (صفق)، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩ ليزيد بن الطَّثْرية. قال في اللسان (صفق) بعد أن ذكر البيت: قال ابن بري: نسب الجوهريُّ هذا البيتَ ليزيد بن الطَّثْرية، وصوابه: لشُبرمة بن الطفيل. اهـ. وأراد بدم الزق: الخمر. ورواية الحماسة:

ويومٍ شديد الحرِّ قَصَّرَ طولَه دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاكُ المزاهرِ

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.

من المحاسبات، أو كناية، فكأنَّه قيل: في يوم يكثر فيه الحساب ويطول بحيثُ لو وقع من غير أسرع الحاسبين وفي الدنيا طالَ إلى خمسين ألف سنة.

وتخصيصُ عروجِ الملائكة والروح بذلك اليوم مع أنَّ عروجَهم متحقِّقٌ في غيره أيضاً للإشارة إلى عِظَم هولِه وانقطاع الخَلْق فيه إلى الله عز وجل وانتظارِهم أمرَه سبحانه فيهم، أو للإشارة إلى عِظَم الهول على وجه آخر.

وأيًّاما كان فالجملة استئنافٌ مؤكِّدٌ لما سيق له الكلام.

وقيل: هو متعلِّقٌ بـ «واقع». وقيل: بـ «دافع». وقيل: بـ «سال»، إذا جُعل من السيلان، لا به من السؤال؛ لأنَّه لم يقع فيه. والمراد باليوم على هذه الأقوال: ما أُريد به فيما سبق. و«تعرج الملائكة والروح إليه» مستطرد عند وصفه عز وجل بـ «ذي المعارج».

وقيل: هو متعلِّقٌ بـ «تعرج» كما هو الظاهر، إلَّا أنَّ العروج في الدنيا، والمعنى: تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى ويقطعون في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فُرض سيرُه فيه. ورُوي عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو روايةٌ عن ابن عباس أيضاً.

واختلف في تحديد المسافة فقيل: هي من وجه الأرض إلى منتهى العرش. وقيل: من قعر الأرض السابعة السفلى إلى العرش. وفصّل بأنَّ ثخن كلِّ أرض خمس مئة عام، وبين كلِّ أرضَيْن خمسُ مئة عام، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمس مئة عام، وثخنُ كلِّ سماءٍ كذلك، وما بين كل سماءين كذلك، وما بين السماء العليا ومقعر الكرسيِّ كذلك، ومجموعُ ذلك أربعةَ عشرَ ألف عام، ومن مقعر الكرسيِّ إلى العرش مسيرةُ ستٍّ وثلاثين ألف عام، فالمجموع: خمسون ألف سنة. وفي خبرٍ أخرجه ابن أبي حاتم(١) عن ابن عباس نحوُه، ولعلَّه لا يصحُّ، وإن لم تبعُد هذه السرعة من الملائكة عليهم السلام عند مَنْ وقفَ على سرعة حركة الأضواء، وعلم أنَّ الله عز وجل على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٤.

ومن الناس من اعتبر هذه المدَّة من الأرض إلى العرش عُروجاً وهبوطاً، واعتبرها كذلك من الأرض إلى مقعر السماء الدنيا في قوله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] ومَنْ يعتبر أحدَ الأمرين يعتبر هنا محدَّب السماء الدنيا والأرض. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما للمتصوِّفة في ذلك.

وقيل: الكلام بيانٌ لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعدِ مداها على سبيل التمثيل والتخييل، والمراد: أنَّها في غاية البعد والارتفاعِ المعنوي على بعض الأوجه في المعارج، أو الحسّي كما في بعضٍ آخرَ، وليس المراد التحديدَ.

وعن عكرمة أنَّ تلك المدَّة هي مدةُ الدنيا منذ خُلقت إلى أن تقوم الساعة إلَّا أنَّه لا يدري أحدٌ ما مضى منها وما بقي، أي: تعرج الملائكة إليه في مدة الدنيا، وبقاء هذه البنية. وهذا يحتاج إلى نقل صحيح. ثم الظاهر أنَّه أراد بالدنيا ما يقابل الأخرى، ويشمل العرش ونحوه. ويَرِدُ عليه أنَّ ما ورد عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه جواباً لمن سأله: متى خلق الله تعالى العرش؟ يكذِّبه، فإنَّه يدلُّ على أنَّ ما مضى من أول زمنِ خَلْقِه إلى اليوم يزيد على خمسين ألف سنة بألوفِ ألوفِ سنينَ لا يحصيها إلَّا اللهُ عز وجل. ولعلَّه أولى بالقبول ممَّا قاله عكرمة.

والحقُّ أنَّه لا يعلم مبدأ الخلق ولا مدَّة بقاء هذه البنية إلَّا الله عز وجل، بَيْد أنَّا نعلم بتوفيق الله تعالى أنَّ هذا العالم حادثٌ حدوثاً زمانياً، وأنَّه ستبدَّلُ الأرض غيرَ الأرض والسماوات، وتبرز الخلائق لله تعالى الواحد القهّار.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ متفرِّعٌ على قوله تعالى: (سَأَلَ سَآئِلٌۢ) ومتعلِّقٌ به تعلُّقاً معنوياً؛ لأنَّ السؤال كان عن استهزاءٍ وتعنُّتٍ وتكذيب بناءً على أنَّ السائل النضرُ وأضرابُه وذلك مما يُضْجِره عليه الصلاة والسلام، أو كان عن تضجُّرٍ واستبطاءٍ للنصر؛ بناءً على أنَّه ﷺ هو السائل، فكأنَّه قيل: فاصبر ولا تستعجل فإنَّ الموعود كائنٌ لا محالةَ، والمعنى على هذا أيضاً على قراءة من قرأ «سال سايل» من السيلان كقراءة «سال سَيْلٌ»، ولا يظهر تفرُّعه على «سأل» من السؤال إن كان السائل نوحاً عليه السلام.

والصبرُ الجميل على ما أخرجه الحكيم الترمذيُّ في «نوادر الأصول» عن ابن عباس: ما لا شكوى فيه إلى أحدٍ غير الله تعالى. وأخرج عن عبد الأعلى بن الحجّاج أنَّه ما يكون معه صاحبُ المصيبة في القوم بحيث لا يُدرى من هو[1].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي: العذابَ الواقع. أو: اليومَ المذكور في قوله تعالى: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ) إلخ بناءً على أنَّ المراد به يوم الحساب متعلقاً بـ «تعرج» على ما سمعتَ أولاً، أو بـ «دافع»، أو بـ «واقع»، أو بـ «سال» من السيلان. أو يوم القيامة المدلول عليه بـ «واقع» على وجهٍ، فما يدلُّ عليه كلام «الكشاف»[2] من تخصيص عود الضمير إلى يوم القيامة بما إذا كان «في يوم» متعلقاً بـ «واقع»، فيه بحثٌ.

ومعنى «يرونه»: يعتقدونه ﴿بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: من الإمكان، والمراد أنَّهم يعتقدون أنه محالٌ. أو من الوقوع، والمراد: أنَّهم يعتقدون أنه لا يقع أصلاً وإن كان ممكناً ذاتاً. وكلامُ كفار أهل مكة بالنسبة إلى يوم القيامة والحساب محتملٌ للأمرين، بل ربمَّا تسمعهم يتكلَّمون بما يكاد يشعر بوقوعه حيثُ يزعمون أنَّ آلهتهم تشفع لهم، فهم متلوِّنون في أمره تلوُّنَ الحرباء.

والعذابُ إن أُريد به عذابُ يوم القيامة فهو كيوم القيامة عندهم، أو أنَّه لا يقع بالنسبة إليهم مطلقاً لزعمهم دفعَ آلهتهم إيَّاه عنهم، وإن أُريد به عذابُ الدنيا فالظاهرُ أنَّهم لا ينفون إمكانه، وإنَّما ينفون وقوعَه، ولا تكاد تتمُّ دعوى أنهم ينفون إمكانه الذاتيَّ.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: من الإمكان. والتعبيرُ به للمشاكلة كما قيل بها في «نراه» إذ هو ممكنٌ، ولا معنى لوصف الممكن بالقرب من الإمكان؛ لدخوله في حيِّزه، والمرادُ وصفه بالإمكان، أي: ونراه ممكناً، وهذا على التقدير الأول في «يرونه بعيداً»، أو: نراه قريباً من الوقوع، وهذا على التقدير الثاني فيه، وقد يقال كذلك

---

(١) عزاهما له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥، ولم نجدهما في مطبوع نوادر الأصول.
(٢) ٤/ ١٥٧.

على الأول أيضاً على معنى: إنَّهم يرونه بعيداً من الإمكان ونحن نراه قريباً من الوقوع فضلاً عن الإمكان. ولعلَّه أولى من تقدير الإمكان في الجملتين.

وجملةُ «إنهم» إلخ تعليلٌ للأمر بالصبر. وقيل: إن كان المستعجلُ هو النضرَ وأضرابَه فهي مستأنفةٌ بياناً لشبهة استهزائهم وجواباً عنه، وإن كان النبيَّ ﷺ فهي تعليلٌ لِمَا ضمِّن الأمر بالصبر من ترك الاستعجال بأنَّ رؤيتنا ذلك قريباً توجب الوثوقَ وترك الاستعجال.

وقولُه سبحانه: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ قيل: متعلقٌ بـ «قريباً» أو بمضمَرٍ يدلُّ عليه «واقعٌ»، وهو: يقع، أو بدل عن «في يوم» إن عُلِّل به دون «تعرج». والنصبُ باعتبار أنَّ محلَّ الجارِّ والمجرور ذلك، إذ ليس بدلاً عن المجرور وحدَه، فاشتراطُ أبي حيان[1] لمراعاة المحلِّ كونَ الجارِّ زائداً أو شبهه كـ : رُبَّ، غيرُ صحيح، ولا يحتاج تصحيح البدلية إلى التزام كون حركة «يوم» بنائيةً؛ بناءً على مذهب الكوفيين المجوِّزين لذلك وإن أضيف لمُعْرَبٍ.

وذكر أنَّه على هذه التقادير الثلاث المرادُ بالعذاب عذابُ القيامة، وأمَّا إذا أُريد عذابُ الدنيا فيتعيَّنُ أن يكون التقدير: يوم تكون السماء يكون كَيْتَ وكَيْتَ. وكأنَّهم لمَّا استعجلوا العذابَ أُجيبوا بأزَفِ الوقوع، ثم قيل: لِيَهُن ذلك في جنب ما أُعدَّ لكم يوم تكون السماء كالمهل، فحينئذٍ يكون العذاب الذي هو العذاب.

ثم لا يخفى أنَّ البدلية ممكنةٌ على تقدير تعلُّق «في يوم» بـ «تعرج» أيضاً، بناءً على أنَّ المراد به يوم القيامة أيضاً كما قدَّمنا، وأنَّ الأولى عند تعلُّقه بـ «قريباً» أن لا يراد من القرب من الإمكان الإمكانُ الذاتي، لما في تقييده باليوم نوعُ إيهام، وأنَّ ضميرَيْ «يرونه» و«نراه» إذا كانا ليوم القيامة يلزم وقوع الزمان في الزمان في قولنا: يقعُ يومُ القيامة يومَ تكون كالمهل. ويجاب بما لا يخفى.

وجوَّز في «البحر»[2] كونَه بدلاً من ضمير «نراه» إذا كان عائداً على يوم القيامة،

(١) في البحر ٨/ ٣٣٤.
(٢) ٨/ ٣٣٤.

وفي «الإرشاد»[1] كونَه متعلّقاً بـ «ليس له دافع». وبعضُهم كونَه مفعولاً به لـ: اذكر، محذوفاً. وتعلُّقُه بـ «نراه» كما قاله مكّي[2] لا نراه. وكذا تعلّقه بـ «يبصرونهم» كما حكاه. ومثلُه ما عسى أن يقال من تعلّقه[3] بـ «يود» الآتي بعدُ، فتأمّل.

والمُهْل: أخرج أحمد والضياء في «المختارة»[4] وغيرُهما عن ابن عباس أنَّه: دُرْديُّ الزيت. وهو ما يكون في قعره. وقال غيرُ واحد: المُهْل: ما أُذيب على مَهْلٍ من الفِلِزَّات، والمراد: يوم تكون السماء واهيةً. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية أنَّ السماء الآن خضراءُ، وأنَّها تحوَّل يومَ القيامة لوناً آخر إلى الحمرة[5].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ كالصوف دون تقييد، أو الأحمر، أو المصبوغ ألواناً، أقوالٌ، واختار جمعٌ الأخيرَ، وذلك لاختلاف ألوان الجبال، فمنها جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ وغرابيبُ سود، فإذا بُسَّت وطيِّرت في الجوِّ أشبهت العهنَ أي: المنفوش ـ كما في «القارعة»[6] ـ إذا طيَّرته الريحُ.

وعن الحسن: تسير الجبال مع الرياح ثم تنهدُّ ثم تصير كالعهن ثم تُنسف فتصير هباءً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ أي: لا يسأل قريبٌ مشفِقٌ قريباً مشفقاً عن حاله، ولا يكلِّمُه؛ لابتلاء كلٍّ منهم بما يشغله عن ذلك، أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة[7]. وفي رواية أخرى عنه: لا يسأله عن حاله؛ لأنَّها ظاهرةٌ. وقيل: لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيئاً ليأسه عن ذلك. وقيل: لا يسأله شفاعةً. وفي «البحر»[8]: لا يسأله نصره ولا منفعته؛ لعلمه أنَّه لا يجد ذلك عنده. ولعلَّ الأول أبلغُ في التهويل.

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ٣٠.
(٢) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦.
(٣) في (م): متعلقه، بدل: من تعلقه.
(٤) مسند أحمد (١٩٤٦)، والمختارة ١٠/ ١٩-٢٠.
(٥) ينظر الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.
(٦) في قوله تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [الآية: ٥].
(٧) كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.
(٨) ٨/ ٣٣٤.

وأيّاً ما كان فمفعول «يسأل» الثاني محذوفٌ. وقيل: «حميماً» منصوبٌ بنزع الخافض أي: لا يسأل حميمٌ عن حميمٍ.

وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي بخلاف عن ثلاثتهم «ولا يُسأل» مبنيًّا للمفعول[(١)]، أي: لا يُطلب من حميم حميمٌ، ولا يُكلَّفُ إحضاره، أو لا يُسأل منه حاله. وقيل: لا يُسأل ذنوب حميمه ليؤخذ بها.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصَّر الأحمَّاءُ الأحمَّاءَ، فلا يخفَوْن عليهم، وما يمنعهم من التساؤل إلَّا اشتغالُهم بحال أنفسهم، وقيل: ما يغني عنه من مشاهدة الحال، كبياض الوجه وسواده. ولا يخفى حالُه.

و«يُبصَّرونهم» قيل: من بَصّرتُه بالشيءِ: إذا أوضحتَه له حتى يُبْصره، ثم ضُمِّن معنى التعريف أو حذف الصلة إيصالاً. وجمع الضميرين لعموم الحميم.

والجملةُ استئنافٌ، كأنَّه لما قيل: «لا يسأل» إلخ قيل: لعلّه لا يبصره. فقيل: يبصَّرونهم. وجوّز أن تكون صفةً، أي: حميماً مبصَّرين معرَّفين إياهم. وأن تكون حالاً إمَّا من الفاعل أو من المفعول أو من كليهما، ولا يضرُّ التنكير لمكان العموم وهو مسوِّغٌ للحالية. ورُجِّحت على الوصفية بأن التقييد بالوصف في مقام الإطلاق والتعميمِ غيرُ مناسب، وليس فيها ذلك فلا تغفل.

وقرأ قتادة: «يبصِرونهم» مخفّفاً مع كسر الصاد[(٢)]، أي: يشاهدونهم.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنى الكافر. وقيل: كلُّ مذنبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: العذاب الذي ابتُلي به يومئذ ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ حكايةً لودادتهم. و«لو» في معنى التمنيِّ. وقيل: هي بمنزلة: «أنْ» الناصبة، فلا يكون لها جوابٌ، وينسبك منها وممَّا بعدها مصدرٌ يقع مفعولاً لـ «يودُّ»، والتقدير: يودُّ افتداءَه ببنيه.. إلخ.

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٤، والنشر ٢/ ٣٩٠، وينظر السبعة لابن مجاهد ص٦٥٠، والحجة للفارسي ٦/ ٣٢٠-٣٢١.

(٢) البحر ٨/ ٣٣٤، وضُبطت في القراءات الشاذة ص١٦١: «يُبْصَرونهم».

والجملة استئنافٌ لبيان أنَّ اشتغالَ كلِّ مجرم بنفسه بلغ إلى حيثُ يتمنَّى أن يَفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه، فضلاً أن يهتمَّ بحاله ويسأل عنها. وجوَّز أن تكون حالاً من ضمير الفاعل على فرض أن يكون هو السائل، فإن فُرض أنَّ السائلَ المفعولُ فهي حالٌ من ضميره. وقيل: الظاهر جعلها حالاً من ضمير الفاعل؛ لأنَّه المتمنِّي. وأيّاً ما كان فالمراد: يودُّ المجرم منهم.

وقرأ نافع والكسائي ـ كما في «أنوار التنزيل» ـ والأعرج: «يومَئِذٍ»[1] بالفتح على البناء؛ للإضافة إلى غير متمكِّنٍ، وقرأ أبو حيوة كذلك وبتنوين «عذاب»[2]، فـ «يومئذ» حينئذٍ منصوب بـ «عذاب» لأنَّه في معنى: تعذيب.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته الأقربين الذين فصل عنهم. كما ذكره غيرُ واحد. ولعلَّه أَولى من قول الراغب[3]: عشيرته المنفصلة عنه. وقال ثعلب: فصيلته: آباؤه الأدْنَوْن.

وفسر أبو عبيدة الفصيلة بالفخذ[4] ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ أي: تضمُّه انتماءً إليها، أو لِياذاً بها في النوائب.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين الإنس والجنِّ، أو الخلائق الشاملة لهم ولغيرهم، و«مَنْ» للتغليب.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ عطفٌ على «يفتدي»، والضمير المرفوع للمصدر الذي في ضمن الفعل، أي: يودُّ لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداءُ. وجوَّز أبو حيان[5] عودَ الضمير إلى المذكور. والزمخشريُّ[6] عودَه إلى «من في الأرض». و«ثم» لاستبعاد

---

(١) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٨/ ٢٤٤، وهي في التيسير ٢١٤، والنشر ٢/ ٢٨٩ عن نافع والكسائي، وقرأ بها أبو جعفر أيضا، ولم نعثر على من نسبها إلى الأعرج.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦١.
(٣) في المفردات (فصل).
(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، ونقل المصنف قوله وقول ثعلب عن البحر ٨/ ٣٣٠.
(٥) في البحر ٨/ ٣٣٤.
(٦) في الكشاف ٤/ ١٥٨.

الإنجاء، يعني يتمنَّى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبَذَلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك، وهيهات.

وقرأ الزهريُّ: «تؤويهُ» و«ينجيهُ» بضمِّ الهاءَين[1].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ للمجرم عن الودادة، وتصريحٌ بامتناع الإنجاء.

وضميرُ ﴿إِنَّهَا﴾ للنار المدلول عليها بذكر العذاب. وقوله تعالى ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ خبر «إنَّ» وهي عَلَمٌ لجهنم، أو للدَرَكة الثانية من دَرَكاتها، منقولٌ من اللَّظى بمعنى اللَّهب الخالص، ومُنع الصرفَ للعلميَّة والتأنيث. وجُوِّز أن يراد اللَّهبُ على المبالغة، كأنَّ كلَّها لهبٌ خالص، وحذف التنوين إمَّا لإجراء الوصل مجرى الوقف، أو لأنَّه عَلَمُ جنسٍ معدولٌ عمَّا فيه اللَّامُ، كـ : سَحَر، إذا أردتَ سَحَراً بعينه.

وقوله تعالى ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: الأطراف، كاليد والرجل، كما أخرجه ابن المنذر وابن حميد عن مجاهد وأبي صالح[2]، وقاله الراغب[3] وغيرُه.

وقيل: الأعضاء التي ليست بمقتل، ولذا يقال: رمى فأشوى، إذا لم يقتل.

أو جمعُ: شواةٍ، وهي: جلدة الرأس. وأنشدوا قول الأعشى:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ ... قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه[4]

ورُوي هذا عن ابن عباس وقتادة وقرَّة بن خالد وابن جبير، وأخرجه ابن

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٤.

(٢) الذي أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد عن مجاهد ـ كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ـ: الشوى: جلود الرأس، وعن أبي صالح: الشوى: لحم الساقين. أمَّا تفسيرها بالأطراف، فعن مجاهد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ١٦٨، وعزاه له السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥، وعن أبي صالح وقد أخرجه ابن المنذر كما ذكر ذلك السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥.

(٣) في المفردات (شوى).

(٤) لم نقف عليه في ديوانه، ونسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٦١، وهو دون نسبة في تهذيب اللغة ولسان العرب (شوى).

أبي شيبة عن مجاهد[١]، وأخرج عن أبي صالح والسدّي تفسيرَها بلحم الساقين[٢]. وعن ابن جبير: العَصَب والعَقِب. وعن أبي العالية: محاسن الوجه.

وفُسّر نزعُها لذلك بأكلها له فتأكله ثم يعود وهكذا.

نصب[٣] بتقدير: أعني أو أخصُّ، وهو مرادُ مَن قال: نُصب على الاختصاص للتهويل. وجُوِّز أن يكون حالاً، والعامل فيها «لظى» وإن كان عَلَماً؛ لمَا فيه من معنى التلظّي كما عمل العَلَم في الظرف في قوله:

أنا أبو المِنْهال بعضَ الأحيان[٤]

أي: المشهورُ بعضَ الأحيان، قاله أبو حيان[٥]، وإليه يشير كلام «الكشف»[٦]. وقال الخفاجي[٧]: لظى بمعنى متلظِّية، والحال من الضمير المستتر فيها لا منها بالمعنى السابق؛ لأنَّها نكرةٌ أو خبرٌ، وفي مجيء الحال من مثله ما فيه.

وقيل: هو حالٌ مؤكِّدةٌ كما في قوله:

---

(١) الذي في مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٨، عن مجاهد: الشوى: الأطراف، وتفسيرها بجلدة الرأس عن مجاهد عزاه السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) المصنف ١٣/ ١٦٨ عن أبي صالح فقط.

(٣) قوله: نصب، خبر لقوله: وقوله تعالى: «نزاعة للشوى».

(٤) وبعده: ليس عليَّ حَسَبي بضُؤْلان. وهو في: الشعر لأبي علي الفارسي ١/ ٢٥٠، والخصائص ٣/ ٢٧٠ـ وعقد له فصلاً ـ وتهذيب اللغة ١٢/ ٦٥ ونسبه لبعض بني أسد، ولسان العرب (ضأل)، والمغني ص٥٦٨، وشرح شواهد المغني للبغدادي ٦/ ٣١٨. قال البغدادي بعد نقله كلام أبي علي الفارسي وابن جني في تعليقهما على الشاهد: ومقتضى كلامهما أن أبا المنهال ليس صاحب الرجز، وليس كذلك، بل هو صاحب الرجز. . . . ورأيت في شرح «ديوان الفرزدق» أن أبا المنهال هو أبو عيينة بن المهلب. اهـ. والمنهال: الرجل الكثير الإنهال، والضؤلان: الضعيف الحقير كالضئيل. وقد تكلّم عليه البغدادي كلاماً جيداً فانظره.

(٥) في البحر ٨/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥.

(٧) في حاشيته على تفسير البيضاوي ٨/ ٢٤٤.

أنـا ابـنُ دَارةَ مـعـروفـاً بـهـا نَـسَـبـي وهـل بـدارةَ يـالَـلـنَّـاس مـن عـارِ[(١)]

والعامل: أحقُّه[(٢)]، أو الخبر؛ لتأويله بمسمًّى، أو المبتدأ؛ لتضمُّنه معنى التنبيه، أو معنى الجملة. وارتضاه الرضي. وقيل: حال من ضمير «تدعو» قُدِّم عليه.

وجوَّز الزمخشريُّ[(٣)] أن يكون ضمير «إنَّها» مبهماً ترجم عنه الخبر، أعني: «لظى». وبحث فيه بما ردَّه المحقِّقون.

وقرأ الأكثرون: «نزاعةٌ» بالرفع[(٤)]، على أنَّه خبرٌ ثانٍ لـ «إنَّ»، أو صفةٌ لـ «لظى»، وهو ظاهرٌ على اعتبار كونها نكرةً، وكذا على كونها عَلَم جنسٍ؛ لأنَّه كالمعرَّف بلام الجنس في إجرائه مجرى النكرة، أو هو الخبر، و«لظى» بدلٌ من الضمير وإن اعتُبرت نكرةً؛ بناءً على أنَّ إبدال النكرة غيرَ منعوتةٍ من المعرفة قد أجازه أبو عليٍّ وغيرُه من النحاة إذا تضمَّن فائدةً كما هنا، وجوِّز على هذه القراءة أن يكون ضميرُ «إنَّها» للقصة، و«لظى» مبتدأ بناءً على أنَّه معرفةٌ، و«نزاعةٌ» خبره.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُواْ﴾ خبر مبتدأ مقدَّر، أو: حالٌ متداخلة أو مترادفة أو مفردة، أو خبرٌ بعد خبر على قراءة الرفع، فلا تغفل.

والدعاء على حقيقته وذلك كما رُوي عن ابن عباس وغيره: يخلقُ الله تعالى فيها القدرةَ على الكلام كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم، فتناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. ورُوي أنَّها تقول لهم: إليَّ إليَّ يا كافرُ يا منافقُ.

---

(١) البيت لابن دارة، وهو سالم بن مسافع بن يربوع، ودارةُ أمُّه؛ سُمّيت بذلك لجمالها، تشبيهاً بدارة القمر. الشعر والشعراء ١/ ٤٠١-٤٠٣. والبيت في الكتاب ٢/ ٧٩، والخصائص ٢/ ٢٦٨ و٣/ ٦٠، وأمالي ابن الشجري ٣/ ٢٢، ولسان العرب (دبر)، وشرح ابن عقيل ١/ ٦٥٤، والخزانة ٣/ ٢٦٥ وفيه: مشهوراً.

(٢) يعني مضمراً، كما في حاشية الشهاب ٨/ ٢٤٤، وينظر باب الحال في شرح الرضي على الكافية.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٥٨.

(٤) هي قراءة العشرة ما عدا عاصم في رواية حفص عنه. السبعة ص٦٥٠-٦٥١، والتيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠.

وجوّز أن يراد به الجذبُ والإحضار، كما في قول ذي الرُّمَّة يصف الثور الوحشيَّ:

أمسى بِوَهْبَينِ مُجتازاً لمرتَعِه من ذي الفوارسِ تدعو أنفَهُ الرِّبَبُ[1]

ونحوه قوله أيضاً:

ليالِيَ اللَّهوُ يَطْبيني فأتبعه كأنَّني ضاربٌ في غَمْرة لَعِبُ[2]

ولا يبعد أن يقال: شبَّه لياقتها لهم أو استحقاقهم لها ـ على ما قيل ـ بدعائها لهم، فعبَّر عن ذلك بالدعاء على سبيل الاستعارة.

وقال ثعلب: «تدعو»: تُهلِك، من قول العرب: دعاك الله تعالى، أي: أهلكك. وحكاه الخليل عنهم[3]. وفي «الأساس»[4]: دعاه الله تعالى بما يكره: أنزله به. وأصابتهم دواعي الدهر: صروفُه. ومن ذلك قوله:

دعاكَ اللهُ من[5] رجلٍ بأفعى إذا نام العيونُ سَرَتْ عليكا[6]

واستُظهر أنَّه معنًى حقيقيٌّ للدعاء، لكنَّه غيرُ مشهور. وفيه تردُّدٌ.

---

(١) البيت في ديوانه ١/ ٧٧، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٩٥٤، ولسان العرب (ربب)، وهو أحد أبيات قصيدته البائية المشهورة. ووهبين، وذو الفوارس: موضعين، الرِّبب: جمع رِبَّة: ضرب من الشجر أو النبت. قال شارح الديوان: لمّا شمَّ الثورُ الرِّبَبَ أتاها، وكأنها دعته إلى نفسها. اهـ. وجاء في هامش الأصل شرح لبعض الكلمات.

(٢) هو أيضاً أحد أبيات قصيدته البائية، وهو في ديوانه ١/ ٣٨، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٩٤٦، وفيه: ليالي الدهر، ولسان العرب (ضرب). قال شارح الديوان: يطبيني: يدعوني، وضارب: سابح، والغمرة: الماء الكثير. والمعنى: كأنني في غفلة وبُلهنيةٍ أسبحُ في الماء.

(٣) ينظر العين ٢/ ٢٢١، مادة (دعو).

(٤) مادة (دعو).

(٥) جاء في هامش الأصل: «مِنْ» تجريدية على ما قال الطيبي. منه.

(٦) البيت دون نسبة في العين (دعو)، وأساس البلاغة، ولسان العرب (دعا)، ورواية العين واللسان: من قيس، بدل: من رجل. والقيس هنا اسم من أسماء الذكر. وجاء في تهذيب اللغة ٣/ ١٢٣: قال أبو النجم:

رماك الله من عيش نافعي إذا نام العيون سرت عليكا

وجوِّز أن يكون الدعاء لزبانيتها، وأُسند إليها مجازاً، أو الكلامُ على تقدير مضافٍ، أي: تدعو زبانيتُها.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ في الدنيا عن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ أعرض عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: جمع المال فجعله في وعاءٍ وكَنَزه، ولم يؤدِّ حقوقه، وتشاغل به عن الدِّين وزُهِيَ باقتنائه حرصاً وتأميلاً. وهذا إشارةٌ إلى كفارٍ أغنياء، وما أخوفَ عبدَ الله بن عُكَيم[١]، فقد أخرج ابن سعد[٢] عن الحكم أنَّه قال: كان عبد الله بن عُكَيم لا يربطُ كيسَه، ويقول: سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ الهَلَع: سرعةُ الجزع عند مسِّ المكروه، وسرعةُ المنع عند مسِّ الخير، من قولهم: ناقة هَلُوع: سريعةُ السير.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير[٣] وغيرُهما عن عكرمة قال: سُئل ابن عباس عن الهَلُوع، فقال: هو كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ إلخ.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن الحسن أنَّه سُئل عن ذلك أيضاً فقرأ الآية.

وحُكي نحوه عن ثعلب قال: قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر[٥]: ما الهَلَعُ؟ فقلت: قد فسَّره الله تعالى، ولا يكون تفسيرٌ أبينَ من تفسيره سبحانه. يعني قولَه تعالى: (إِذَا مَسَّهُ) الآية.

ونظيرُ ذلك قولُه:

---

(١) عبد الله بن عُكيم الجهني، يُكنى أبا معبد، قيل: له صحبة. وأسلم بلا ريب في حياة النبي ﷺ (ت٨٨هـ). طبقات ابن سعد ٦/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٠.

(٢) تحرف في الأصل و(م) إلى: سعيد، والخبر أخرجه في الطبقات ٦/ ١١٤، وأخرجه أيضاً ابن جرير ٢٣/ ٢٦٥.

(٣) ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ٢٦٦، وعزاه لهما السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.

(٥) هو أبو العباس، الخزاعي، الأمير، كان شيخاً فاضلاً أديباً، ولي إمارة بغداد أيام المتوكل، توفي سنة (٢٥٣هـ). تاريخ بغداد ٥/ ٤١٨.

الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا[1]

والجملةُ المؤكَّدةُ في موضع التعليل لِمَا قبلها.

والإنسان: الجنس، أو الكافر، قولان، أُيِّد ثانيهما بما روى الطستيُّ عن ابن عباس أنَّ الآية في أبي جهل بن هشام[2]. ولا يأبى ذلك إرادةَ الجنس.

والشرُّ: الفقرُ والمرض ونحوهما. و«أل» للجنس، أي: إذا مسَّه جنس الشرِّ.

﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: مبالغاً في الجَزَع، مكثراً منه.

والجزعُ؛ قال الراغب[3]: أبلغُ من الحزن، فإنَّ الحزن عامٌّ، والجزعُ حزنٌ يصرف الإنسان عمَّا هو بصدده[4] ويقطعه عنه. وأصلُه: قَطْعُ الحبل من نصفه، يقال: جزعْتُه فانجزَعَ، ولِتصوُّر الانقطاع فيه قيل: جَزْعُ الوادي: لمُنقطَعِه. ولانقطاع اللَّون بتغيّره قيل للخرز المتلوّن: جَزْعٌ. وعنه استُعير قولُهم: لحم مُجزَّعٌ: إذا كان ذا لونين. وقيل للبسرة إذا بلغ الإرطابُ نصفَها: مجزَّعةٌ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ المالُ والغنى، أو الصحة ﴿مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ مبالغاً في المنع والإمساك. و«إذا» الأولى ظرفٌ لـ «جزوعاً»، والثانية ظرفٌ لـ «منوعاً».

والوصفان ـ على ما اختاره بعض الأجلَّة ـ صفتان كاشفتان لـ «هلوعاً» الواقعِ حالاً كما هو الأنسبُ بما سمعتَ عن ابن عباس وغيره.

وقال غيرُ واحدٍ: الأوصافُ الثلاثةُ أحوالٌ، فقيل: مقدَّرة إن أُريد اتِّصافُ الإنسان بذلك بالفعل، فإنَّه في حال الخَلْق لم يكن كذلك وإنَّما حصل له ذلك بعد تمام عقله ودخوله تحت التكليف. ومحقَّقة إن أُريد اتِّصافه بمبدأ هذه الأمور من

(١) البيت لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٥٣، والكامل ٤/ ١٤٠٠. قال المبرد: الألمعيّ: الحديد اللسان والقلب، وقد أبانه بقوله: الذي يظن... إلخ.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.
(٣) في المفردات (جزع).
(٤) في الأصل و(م): بصدره، والمثبت موافق للمفردات، والكليات (جزع).

الأمور الجبلِّيَّة والطبائع الكليَّة المندرجة فيها تلك الصفاتُ بالقوة[(١)]. ولا مانع عند أهل الحقِّ من خلقِه تعالى الإنسانَ وطبعِه سبحانه إيَّاه على ذلك.

وفي زوالها بعدُ خلاف، فقيل: إنَّها تزول بالمعالجة، ولولاه لم يكن للمنع منها والنهي عنها فائدةٌ، وهي ليست من لوازم الماهيَّة، فالله تعالى كما خلقها يزيلها. وقيل: إنَّها لا تزول، وإنَّما تُستَر ويُمنَعُ المرءُ عن آثارها الظاهرة كما قيل:

والطبع في الإنسان لا يتغيَّر[(٢)]

وهذا الخلافُ جارٍ في جميع الأمور الطبيعية.

وقال بعضهم: الأمورُ التابعةُ منها لأصل المزاج لا تتغيَّر، والتابعة لعَرَضه قد تتغيَّر.

وذهب الزمخشريُّ[(٣)] إلى أنَّ في الكلام استعارةً، فقال: المعنى أنَّ الإنسان لإيثاره الجزعَ والمنعَ وتمكُّنهما منه ورسوخهما فيه كأنَّه مجبولٌ عليهما مطبوعٌ، وكأنه أمرٌ خَلْقيٌّ وضروريٌّ غيرُ اختياريٍّ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] لأنَّه في البطن والمهد لم يكن به هَلَعٌ ولأنَّه ذمٌّ، واللهُ تعالى لا يذمُّ فعله سبحانه، والدليل عليه استثناءُ المؤمنين الذين جاهدوا أنفسَهم وحملوها على المكاره وظَلَفوها[(٤)] عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين.

وتُعقِّب بأنَّه في المهد أهلعُ وأهلعُ، فيسرع إلى الثدي ويحرص على الرَّضاع، وإنْ مسَّه ألمٌ جَزِعَ وبكى، وإن تمسَّك بشيءٍ فزُوحم عليه مَنَع بما في قدرته من اضطراب وبكاء، وفي البطن لا يُعلم حالُه، وأيضاً الاسم يقع عليه بعد الوضع، فما بعده هو المعتبر، وأنَّ الذمَّ من حيثُ القيام بالعبد كما حُقِّق في موضعه، وأنَّ الاستثناء: إمَّا منقطعٌ؛ لأنَّه لمَّا وصف سبحانه: «من أدبر وتولى» معلَّلاً بهلعه

(١) القوة: هي التهيُّؤ الموجود في الشيء، معجم متن اللغة (قوي).
(٢) عجز بيت صدره: حبّي لكم طبعٌ بغير تكلُّفٍ. وهو في زهر الأكم ٣/ ٨٠ بلا نسبة.
(٣) في الكشاف ٤/١٥٨-١٥٩.
(٤) أي: منعوها، ووقع في (م): طلقوها.

وجزعه قال تعالى: لكنَّ المصلين في مقابلتهم أولئك في جناتٍ، ثم كرَّ على السابق وقال: «فمال الذين كفروا» بالفاء تخصيصاً بعدَ تعميمٍ، ورجعاً إلى بدءٍ؛ لأنَّهم من المستهزئين الذين افتتح السورة بذكر سؤالهم. أو: متصل على أنَّهم لم يستمرَّ خلقُهم على الهَلَع. فإنَّ الأول لمّا كان تعليلاً كان معناه: خلقاً مستمراً على الهَلَع والجزع إلَّا المصلِّين، فإنَّهم لم يستمرَّ خلقُهم على ذلك، فلا يرد أنَّ الهَلَع الذي في المهد لو كان مراداً لما صحَّ استثناءُ المصلين؛ لأنَّهم كغيرهم في حال الطفولية. انتهى.

وهذا الاستثناء هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ إلخ، وقد وصفهم سبحانه بما ينبئ عن كمال تنزُّههم عن الهَلَع: من الاستغراق في طاعة الحقِّ عز وجل، والإشفاقِ على الخَلْق، والإيمانِ بالجزاء، والخوفِ من العقوبة، وكَسْرِ الشهوة، وإيثارِ الآجل على العاجل، فقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: مواظبون على أدائها، لا يخلُّون بها، ولا يشتغلون عنها بشيءٍ من الشواغل.

وفيه إشارةٌ إلى فضل المداومة على العبادة، وقد أخرج ابن حبان[1] عن أبي سَلَمة قال: حدثتني عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُذوا من العمل ما تطيقون، فإنَّ الله تعالى لا يملُّ حتى تملُّوا». قالت: فكان أحبُّ الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما دام عليه، وإن قلَّ، وكان إذا صلَّى صلاةً دام عليها، وقرأ أبو سلمة: (ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ).

وأخرج أحمد في «مسنده»[2] عنها أنَّها قالت: كان عملُه ﷺ ديمةً. قال جار الله: أي: ما فعل من أفعال الخير إلَّا وقد اعتاد ذلك، ويفعله كلَّما جاء وقته. ووُجِّه بأنَّ الفعلة للحالة التي يستمرُّ عليها الشخص. ثم في جعلِه نفسَ الحالة ما لا يخفى من المبالغة والدلالةِ على أنَّه كان مَلَكةً له عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في صحيحه (٣٥٣)، وأخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم في كتاب الصيام (٧٨٢): (١٧٧).
(٢) برقم (٢٤١٦٢)، وأخرجه أيضاً البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

وقيل: دائمون، أي: لا يلتفتون فيها، ومنه: الماء الدائم. وروي ذلك عن عمران بن حصين، وكذا عن عقبة بن عامر، أخرج ابن المنذر[1] عن أبي الخير أنَّ عقبةَ قال لهم: مَن الذين هم على صلاتهم دائمون؟ قال: قلنا: الذين لا يزالون يصلُّون. فقال: لا، ولكن الذين إذا صلُّوا لم يلتفتوا عَن يمينٍ ولا شمال. وإليه ذهب الزجاج[2]. فتُشعر الآيةُ بذمِّ الالتفات في الصلاة، وقد نطقت الأخبار بذلك. واستدلَّ بعضُهم بها على أنَّه كبيرةٌ، وتحقيقُه في «الزواجر»[3].

وعن ابن مسعود ومسروق أنَّ دوامها أداؤُها في مواقيتها. وهو كما ترى، ولعلَّ تركَ الالتفات والأداءَ في الوقت يتضمنه ما يأتي من المحافظة إن شاء الله تعالى.

والمراد بالصلاة على ما أخرج عبد بن حميد[4] عن إبراهيم التيميِّ: الصلاةُ المكتوبة. وعن الإمام أبي جعفر ﷺ أنَّ المراد بها النافلة. وقيل: ما أُمروا به مطلقاً منها.

وقرأ الحسن: «صلواتهم» بالجمع[5].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤﴾ أي: نصيبٌ معيَّن يستوجبونه على أنفسهم؛ تقرُّباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس. وهو على ما رُوي عن الإمام أبي عبد الله ﷺ ما يوظِّفه الرجل على نفسه يؤدِّيه في كلِّ جمعةٍ أو كلِّ شهر مثلاً.

وقيل: هو الزكاة؛ لأنَّها مقدَّرةٌ معلومة. وتعقِّب بأنَّ السورة مكيةٌ، والزكاةُ إنما فُرضت وعُيِّن مقدارُها في المدينة، وقبل ذلك كانت مفروضةً من غير تعيين.

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ الذي لا يسأل، فيُظَنُّ أنَّه غنيٌّ فيُحرَم. واستعمالُه في ذلك على سبيل الكناية، ولا يصحُّ أن يراد به مَن يحرمونه بأنفسهم؛ للُزوم التناقض كما لا يخفى.

---

(١) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.
(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٢٢.
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٣٦-١٣٧.
(٤) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.
(٥) البحر ٨/ ٣٣٥.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ المراد: التصديقُ به بالأعمال حيثُ يُتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية طمعاً في المثوبة الأُخروية؛ لأنَّ التصديق القلبيَّ عامٌّ لجميع المسلمين لا امتياز فيه لأحدٍ منهم، وفي التعبير بالمضارع دلالةٌ على أنَّ التصديق والأعمال تتجدَّدُ منهم آناً فآناً.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة؛ استقصاراً لها واستعظاماً لجنابه عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقولُه سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ اعتراضٌ مؤذِنٌ بأنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يأمنَ عذابَه عز وجل وإن بالغ في الطاعة كهؤلاء، ولذا كان السلف الصالح - وهم هم - خائفين وَجِلين، حتى قال بعضُهم: يا ليتني كنت شجرةً تُعضَد. وآخرُ: ليت أمِّي لم تلدني. إلى غير ذلك.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ سبق تفسيرُه في سورة المؤمنين(١) على وجهٍ مستوفًى، فتذكَّره.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يُخلُّون بشيءٍ من حقوقها، وكأنَّه لكثرة الأمانة جُمعت، ولم يجمع العهد، قيل: إيذاناً بأنَّه ليس كالأمانة كثرةً. وقيل: لأنَّه مصدرٌ. ويدلُّ على كثرة الأمانة ما روى الكلبيُّ: كلُّ أحدٍ مؤتمَنٌ على ما افتُرض عليه من العقائد والأقوال والأحوال والأفعال، ومن الحقوق في الأموال، وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين. وقال السديُّ: إنَّ حقوق الشرع كلَّها أماناتٌ قد قبلها المؤمن، وضمن أداءها بقبول الإيمان.

وقيل: كلُّ ما أعطاه الله تعالى للعبد من الأعضاء وغيرها أمانة عنده، فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لأجله، وأذن سبحانه له به، فقد خان الأمانة.

---

(١) ١٨/ ١٥.

والخيانةُ فيها وكذا الغدر بالعهد من الكبائر على ما نصَّ غيرُ واحدٍ، وقد روى البخاريُّ ومسلم[1] عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يَدَعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وأخرج البيهقيُّ في «شعب الإيمان»[2] عن أنس قال: ما خطبَنا رسولُ الله ﷺ إلَّا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

وقرأ ابن كثير: «لأمانتهم» بالإفراد[3] على إرادة الجنس.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ مقيمون لها بالعدل غيرُ منكرين لها أو لشيءٍ منها، ولا مخفين؛ إحياءً لحقوق الناس فيما يتعلَّق بها، وتعظيماً لأمر الله عز وجل فيما يتعلَّق بحقوقه سبحانه.

وخصَّ بعضُهم الشهادةَ بما يتعلَّق بحقوق العباد، وذكر أنَّها مندرجة في الأمانات إلَّا أنَّها خُصَّت بالذكر لإبانة فضلها، وجَمعها لاختلاف الأنواع، ولو لم يعتبر ذلك أُفْردَ على ما قيل؛ لأنَّها مصدر شامل للقليل والكثير.

وقرأ الجمهور بالإفراد[4] على ما سمعتَ آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: يراعون شرائطها، ويكملون فرائضها وسننها ومستحبَّاتها، باستعارة الحفظ من الضياع للإتمام والتكميل، وهذا غيرُ الدوام فإنَّه يرجع إلى أنفُس الصلوات، وهذا يرجع إلى أحوالها، فلا يتكرَّر مع ما سبق من قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)، وكأنَّه لمَّا كان ما يراعى في إتمام الصلاة وتكميلها ممَّا يتفاوت بحسب الأوقات جيء بالمضارع الدالّ على التجدُّد، كذا قيل. وقيل: إنَّ الإتيان به مع تقديم «هم» لمزيد الاعتناء بهذا الحكم،

---

(١) صحيح البخاري (٣٤)، وصحيح مسلم (١٠٦).

(٢) برقم (٤٣٥٤).

(٣) التيسير ص١٥٨، والنشر ٢/ ٣٢٨.

(٤) التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩١ وقرأ بالجمع عاصم في رواية حفص، ويعقوب.

لِمَا أنَّ أمر التقوى في مثل ذلك أقوى منه في مثل: هم محافظون، واعتبر هذا هنا دون ما في الصدر؛ لأنَّ المراعاة المذكورة كثيراً ما يُغفَل عنها.

وفي افتتاح الأوصاف بما يتعلَّق بالصلاة واختتامها به دلالةٌ على شرفها وعلوِّ قَدْرِها؛ لأنَّها معراج المؤمنين ومناجاة ربِّ العالمين، ولذا جُعلت قُرَّة عين سيِّد المرسلين صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

وتكريرُ الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلةَ اختلاف الذوات؛ إيذاناً بأنَّ كلَّ واحد من الأوصاف المذكورة نعتٌ جليل على حياله، له شأنٌ خطير مستتبعٌ لأحكامٍ جمَّةٍ حقيقٌ بأن يفردَ له موصوفٌ مستقلٌّ ولا يجعل شيء منها تتمَّةً للآخر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفين بما ذُكر من الصفات، وما فيه من معنى البعد لبعد المشار إليهم، إمَّا في الفضل أو في الذكر باعتبار مبدأ الأوصاف المذكورة. وهو مبتدأ، خبرُه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: مستقرُّون في جناتٍ لا يُقادَر قدرُها ولا يُدرَك كُنهها.

وقوله تعالى ﴿مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ خبرٌ آخر، أو هو الخبر، و«في جنات» متعلِّقٌ به قُدِّم عليه للاهتمام مع مراعاة الفواصل، أو بمضمَرٍ هو حال من الضمير في الخبر، أي: مكرمون كائنين في جنات.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ أي: في الجهة التي تليك ﴿مُهۡطِعِينَ ۝٣٦﴾ مسرعين نحوك، مادِّي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك؛ ليظفروا بما يجعلونه هُزُؤاً.

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ جماعاتٍ في تفرقة، كما قال أبو عبيدة[٢]، وأنشدوا قولَ عبيد بن الأبرص:

فجاؤوا يُهرعُون إليه حتى ... يكونوا حولَ منبره عِزينا[٣]

وخصَّ بعضُهم كلَّ جماعة بنحو ثلاثة أشخاص أو أربعة.

---

(١) أخرج النسائي ٧/ ٦١-٦٢، وأحمد (١٢٢٩٣) من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ النساء والطيبُ، وجُعل قُرَّة عيني في الصلاة».

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.

(٣) لم نقف عليه في ديوانه، وذكره السيوطي في الإتقان ١/ ٣٨٣.

جمع: عِزَة، وأصلها عزوة من العزِّ، ولأنَّ كلَّ فرقة تعتزي وتنتسب إلى غيرِ مَن تعتزي إليه الأخرى، فلامُها واوٌ. وقيل: لامُها هاءٌ، والأصل: عِزْهة، وجُمعت بالواو والنون كما جُمعت سَنَة وأخواتها، وتُكسر العين في الجمع وتضمُّ. وقالوا: عِزًى، على فِعَل، ولم يقولوا: عِزَات.

ونصب «عزين» على أنَّه حال من «الذين كفروا»، أو من الضمير في «مهطعين» على التداخل، و«عن اليمين» إمَّا متعلِّقٌ به لأنَّه بمعنى متفرِّقين، أو «بمهطعين» أي: مسرعين عن الجهتين، أو هو حالٌ أي: كائنين عن اليمين.

رُوي أنّه عليه الصلاة والسلام كان يصلِّي عند الكعبة ويقرأ القرآن، فكان المشركون يجتمعون حوله حلقاً حلقاً[١]، وفرقاً فرقاً[٢]، يستمعون ويستهزئون بكلامه عليه الصلاة والسلام، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنةَ كما يقول محمد ـ ﷺ ـ فَلَنَدْخُلَنَّها قبلهم، فنزلت[٣].

وفي بعض الآثار ما يشعر بأنَّ الأَوْلَى أن لا يجلسَ المؤمنون عِزين؛ لأنَّه من عادة الجاهلية.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: بلا إيمان، وهو إنكارٌ لقولهم: إنْ دخل هؤلاء الجنةَ.. إلخ.

وقرأ ابن يعمر والحسن وأبو رجاء وزيد بن عليٍّ وطلحة والمفضّل عن عاصم: «يَدخل» بالبناء للفاعل[٤].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ لهم عن ذلك الطمع الفارغ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ قيل: هو تعليل للردع، و«من» أَجْليَّة، والمعنى: إنَّا خلقناهم من أجل ما يعلمون، وهو تكميلُ النفس بالإيمان والطاعة، فمَن لم يستكملها بذلك فهو بمعزلٍ من أن يتبوّأ

---

(١) ضبطها في الأصل بفتح الحاء وكسرها.
(٢) لفظ: فرقاً، ليست في (م)، وفي الأصل فوقها: صح.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤.
(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وذكر قراءةَ المفضل عن عاصم ابنُ مجاهد في السبعة ص٦٥١.

مُتبوَّأ الكاملين، فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبُّون على الكفر والفسوق وإنكار البعث؟! وكونُ ذلك معلوماً لهم باعتبار سماعهم إيَّاه من النبيِّ ﷺ.

وقيل: «مِن» ابتدائية، والمعنى: إنَّهم مخلوقون من نطفةٍ قذرةٍ لا تناسب عالَم القدس، فمتى لم تُستكمل بالإيمان والطاعة، ولم تتخلَّق بأخلاق الملائكة عليهم السلام، لم تستعدَّ لدخولها. وكلا القولين كما ترى.

وقال مفتي الديار الرومية(١): إنَّ الأقرب كونُه كلاماً مستأنفاً، قد سيق تمهيداً لِمَا بعده من بيان قدرته عز وجل على أن يهلكَهم لكفرهم بالبعث والجزاء، واستهزائهم برسول الله ﷺ وبما نزل عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الوحي، وادِّعائهم دخولَ الجنة بطريق السخرية، وينشئَ بدلهم قوماً آخرين، فإنَّ قدرتَه سبحانه على ما يعلمون من النشأة الأولى حجَّةٌ بيِّنةٌ على قدرته عز وجل على ذلك، كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ أي: إذا كان الأمر كما ذكرنا من أنَّ خلقَهم مما يعلمون، وهو النطفةُ القذرة، فلا(٢) أقسم بربِّ المشارق والمغارب: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: نهلكهم بالمرَّة، حسبما تقتضيه جناياتهم، ونأتي بَدَلهم بخلقٍ آخرين ليسوا على صفتهم. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾ أي: بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكنَّ مشيئتَنا المبنية على الحِكَم البالغة اقتضت تأخيرَ عقوباتهم.

وفيه نوعُ بعدٍ. ولعلَّ الأقربَ كونُه في معنى التعليل، لكن على وجه قرَّر به صاحب «الكشف» كلام «الكشاف»(٣)، فقال: أراد أنَّه رَدْعٌ عن الطمع، معلَّلٌ بإنكارهم البعثَ من حيثُ إنَّ ذكرَ دليله إنَّما يكون مع المنكِر، فأقيم علَّةُ العلَّة مقام العلَّة مبالغةً لما حُكي عنهم طمعُ دخول الجنة، ومن البديهي أنَّه ينافي حالَ مَنْ لا يثبتها، فكأنَّه قيل: إنَّه ينكر البعثَ فأنَّى يتَّجه طمعُه؟ واحتجَّ عليهم بخلقهم أولاً، وبقدرته سبحانه على خَلْق مثلهم ثانياً. وفيه تهكُّمٌ بهم وتنبيهٌ على مكان مناقضتهم،

(١) هو أبو السعود، والكلام من تفسيره ٨/ ٣٤.
(٢) في تفسير أبي السعود ٨/ ٣٥: فأقسم.
(٣) ينظر الكشاف ٤/ ١٦٠.

فإنَّ الاستهزاءَ بالساعة والطمعَ في دخول الجنة ممَّا يتنافيان.

ووجهُ أقربيَّته قوَّةُ الارتباط بما سبق عليه، وهو في الحقيقة أبعدُ مغزًى، ومنه يُعلم أنَّ ما قيل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ إلخ، أنَّ معناه: إنَّا لقادرون على أنْ نعطيَ محمداً ﷺ مَنْ هو خيرٌ منهم، وهم الأنصارُ = ليس بذاك.

وفي التعبير عن مادة خَلْقهم بما يعلمون مما يكسر سَوْرة المتكبِّرين ما لا يخفى.

والمراد بالمشارق والمغارب: مشارقُ الشمس المئة والثمانون، ومغاربُها كذلك. أو مشارقُ ومغاربُ الشمس والقمر على ما رُوي عن عكرمة. أو مشارقُ الكواكب ومغاربُها مطلقاً كما قيل.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد: ربُّ المخلوقات بأسرها.

والكلامُ في «فلا أقسم» قد تقدم[1]. وقرأ قومٌ: «فلأقسم»[2] بلام دون ألف. وعبدُ الله بن مسلم وابن محيصن والجحدريُّ: «المشرق والمغرب» مفردَيْن[3].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخلِّهم غيرَ مكترثٍ بهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم الذي من جملته ما حُكي عنهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾ هو يومُ البعث عند النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، فإنَّه بدلٌ من «يومهم»، وهو مفعول به لـ «يلاقوا». وتفسيرُه بيوم موتهم أو يوم بدر أو يوم النفخة الأولى، وجعلُ «يوم» مفعولاً به لمحذوف كـ: اذكر، أو متعلّقاً بـ «ترهقهم ذلة» = مما لا ينبغي أن يُذهب إليه. وما في الآية من معنى المهادنة منسوخٌ بآية السيف.

وقرأ أبو جعفر وابن محيصن: «يَلْقَوْا»[4] مضارع: لقي، وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: «يُخرَجون»[5] على البناء للمفعول، من الإخراج.

---

(١) ٢٧/ ١٥٢.

(٢) البحر ٨/ ٣٣٦، وهي قراءة الحسن وعيسى، ينظر ٢٧/ ١٥٢.

(٣) البحر ٨/ ٣٣٦.

(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وقراءة أبي جعفر ـ من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٩١.

(٥) البحر ٨/ ٣٣٦، ونسبها ابن خالويه في الشواذ ص١٦١ لعليٍّ ﷺ.

﴿سِرَاعًا﴾ أي: مسرعين، وهو حالٌ من مرفوع «يخرجون»، وهو جمعُ: سريع، كظريف وظِراف.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وهو ما نُصِبَ فعُبِدَ من دون الله عز وجل، وعدَّه غيرُ واحد مفرداً، وأنشد قولَ الأعشى:

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه لعاقبة واللهَ ربَّك فاعْبُدا[1]

وقال بعضهم: هو جمعُ: نِصاب، ككتاب وكُتب. وقال الأخفش: جمعُ: نَصْب، كَرَهْن ورُهُن، والأنصابُ جمعُ الجمع[2].

وقرأ الجمهور: «نَصْب» بفتح النون وسكون الصاد[3]، وهو اسمٌ مفرد، فقيل: الصنم المنصوب للعبادة، أو العَلَم المنصوب على الطريق ليهتدي به السالكُ. وقال أبو عمرو: هو شبكة يقع فيها الصيد، فيسارع إليها صاحبُها مخافةَ أن يتفلَّت الصيدُ. وقيل: ما يُنصب علامةً لنزول الملك وسَيْره.

وقرأ أبو عمران الجوني ومجاهد: «نَصَب» بفتح النون والصاد[4]، فَعَل بمعنى مفعول.

وقرأ الحسن وقتادة: «نُصْب» بضمِّ النون وسكون الصاد[5]، على أنه تخفيف نُصُب بضمَّتين، أو جمع: نَصَب بفتحتين كوَلَد ووُلْد.

﴿يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يسرعون، وأصلُ الإيفاض كما قال الراغب[6]: أن يعدو مَنْ عليه الوَفْضَة ـ وهي الكنانة ـ فتَخَشْخَش عليه، ثم استُعمل في الإسراع.

---

(١) ديوان الأعشى ص١٨٧، والصحاح واللسان وتاج العروس (نصب). ورواية اللسان: لعافية. وعجزه في الديوان: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا. قال في اللسان: وقوله: وذا النُّصُبَ، بمعنى: إياك وذا النُّصُبَ. وفاعبدا: أراد: فاعبدنْ، فوقف بالألف.

(٢) وذكره أبو حيان في البحر ٨/ ٣٣٦.

(٣) هي قراءة العشرة ما عدا ابن عامر، وعاصم في رواية حفص، التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩١.

(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وتحرف الجوني في الأصل و(م) إلى: الحوفي.

(٥) البحر ٨/ ٣٣٦، ونسبها ابن خالويه في الشواذ ص١٦١ لأبي العالية.

(٦) في المفردات (وفض).

وقيل: هو مطلق الانطلاق. ورُوي عن الضحاك. والأكثرون على الأول.

والمراد أنَّهم يخرجون مسارعين إلى الداعي، يسبق بعضُهم بعضاً.

والإسراع في السير إلى المعبودات الباطلة كان عادةً للمشركين، وقد رأينا كثيراً من إخوانهم الذين يعبدون توابيتَ الأئمَّة ونحوهم ﷺ كذلك، وكذا عادةُ من ضلَّ الطريق أن يسرع إلى أعلامها، وعادةُ الجند أن يسرعوا نحو منزل المَلِك.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لِعِظَم ما تحقَّقوه، ووُصفت أبصارُهم بالخشوع مع أنَّه وصف الكلِّ؛ لغاية ظهور آثاره فيها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ شديدةٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: في الدنيا. واسمُ الإشارة مبتدأ، و«اليوم» خبرٌ، والموصولُ صفته، والجملةُ بعدَه صلته، والعائدُ محذوفٌ، أي: يوعدونه.

وقرأ عبد الرحمن بن خلَّاد، عن داود بن سالم، عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن، عن التمَّار: «ذلَّةُ» بغير تنوين مضافاً إلى «ذلك اليوم» بالجرِّ[(١)].

هذا، واعلم أنَّ بعض المتصوِّفة في هذا الزمان ذكر في شأن هذا اليوم الذي أخبر الله تعالى أنَّ مقداره خمسون ألف سنة أنَّ المراتب أربعٌ: الملك، والملكوت، والجبروت، واللَّاهوت، وكلُّ مرتبة عليا محيطةٌ بالسفلى، وأعلى منها بعشر درجات؛ لأنَّها تمامُ المرتبة؛ لأنَّ الله تعالى خَلَق الأشياء من عشر قَبَضات، يعني من سرِّ عشر مراتب الأفلاك التسعة، والعناصرُ في كلِّ عالم بحسبه، ولذا ترتَّبت مراتب الأعداد على الأربع، والألفُ منتهى المراتب وأقصى الغايات، ولمَّا كانت النسبة إلى الربِّ - أي: إلى وِجْهَة الحقِّ - هي الغايةَ القصوى بالنسبة إلى ما عداها ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] كان اليومُ الواحد المنسوب إليه ألفاً، ولذا كان اليوم الربوبيُّ ألفَ سنة كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فإذا ترقَّى الكون، واقتضت الحكمة ظهورَ النشأة الأخرى، وبرز آثارُ الاسم الأعظم في مقام الألوهية في رتبة الجامع، ظهر الكون

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٦.

والأكوان والمكنونات في محشرٍ واحدٍ على مراتبها في الأعيان، فظهر سرُّ النون من كلمة ﴿كُن﴾ لظهور ﴿فَيَكُونُ﴾ فظهر الخمسون في العَوْد كما نزل في البدء، وهو قوله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] فكان اليوم الواحد عند ظهور الاسم الأعظم في الجهة الجامعة خمسين ألف سنة، فالألف لترقِّي الواحد، ولمَّا كانت المراتب خمسين كان خمسين ألفاً، والخمسون: تفاصيلُ ظهور اسم الربِّ عند ظهور اسم الله في عالم الأمر الذي هو أول مراتب التفصيل في قوله تعالى: ﴿كُن﴾ وكان أول ظهور التفصيل خمسين؛ لأنَّ التوحيد الظاهر في النقطة والألف والحروف والكلمة التامَّة والدلالة التي هي تمام الخمسة إنَّما كانت في عَشرةِ عوالم المراتب التعيّنات، أو لأنَّ الطبائع الأربع مع حصول المزاج بظهور طبيعة خامسة وبها تمام الخمسة إنَّما كانت في عشرة عوالم بحسبها، فكان المجموع خمسين. والعوالمُ العشرة هي: عالم الإمكان، وعالم الفؤاد، وعالم القلب، وعالم العقل، وعالم الروح، وعالم النفس، وعالم الطبيعة، وعالم المادة، وعالم المثال، وعالم الأجسام. والخمسون في وجه الربِّ، ووجهة الحقِّ في العالم الأول الذي هو الآخر تكون خمسين ألف سنة. انتهى.

فإن فهمتَ منه معنًى صحيحاً تقبلُه ذوو العقول، ولا يأباه المنقول، فذاك، وإلَّا فاحمد الله تعالى على العافية، واسأله عزَّ وجلَّ التوفيق للوصول إلى معالم التحقيق.

وللشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه أيضاً كلامٌ في هذا المقام، فمن أراده فليتتبَّع كتبه، وليسأل الله تعالى الفتوحات، وهو سبحانه وليُّ الهبات.

(سورة المعارج)

(مكيّة، وهي أربع وأربعون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ **(هو النضر بن الحارث)** قال: (﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾) [الأنفال: الآية ٣٢] أو هو النبيّ ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم. ولما ضمن سأل معنىٰ دعا عدي تعديته

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة المعارج)** وتُسمى سورة سأل سائل **(مكيّة)** أي بالإجماع **(وهي أربع وأربعون آية)** ومائتان وست عشرة كلمة وألف وأحد وستون حرفًا، كذا في تفسير الخطيب. وفي الخازن ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وعشرون حرفًا. اهـ. **قوله:** **(هو النضر بن الحارث)** أسِرَ يوم بدر وقُتِل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب. أمره رسول الله ﷺ بذلك. أجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا، وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين. اهـ أسد الغابة. **قوله:** (﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾) الذي يقرأ محمد ﷺ (﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾) المنزّل (﴿مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾) مؤلم على إنكاره. قاله استهزاء وإيهامًا أنه على بصيرة وجزم ببطلانه.

كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالىٰ: (﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾) [الدخان: الآية ٥٥]. (و﴿سال﴾ **بغير همز: مدني وشامي وهو من السؤال**) أيضًا إلا أنه خفّف بالتلبين و﴿سَآئِلٌ﴾ مهموز إجماعًا.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ **صفة لـ** ﴿عَذَابٍ﴾) أي بعذاب واقع كائن للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٌ﴾ راد ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى إذ جاء وقته ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي مصاعد السماء للملائكة (**جمع معرج وهو موضع العروج**). ثم وصف المصاعد (**وبعد مداها**) في العلو والارتفاع فقال: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد. (**وبالياء: عليّ**) ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي

قوله: (﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾) أي يطلبون في الجنة كل فاكهة. **قوله**: (و﴿سال﴾ **بغير همز**) بعد السين بوزن قال (**مدني**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين. **قوله**: (**وهو من السؤال**) أيضًا إلا أنه ثقلت همزته فقلبت ألفًا للتخفيف على غير القياس، والقياس في مثله أن تسهل الهمزة بجعلها بين بين أي بين الهمزة والألف وهي لغة قريش. قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلّت هذيل بما سألت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال اللينة من سأل مهموز العين وتكون بهمزة ﴿سَآئِلٌ﴾ أصلية. **قوله**: (**صفة لـ** ﴿عَذَابٍ﴾) أي صفة أخرى لعذاب وصف العذاب أولًا بأنه ﴿وَاقِعٍ﴾ أي نازل لا محالة سواء طلبه أو لم يطلبه، وثانيًا بأنه معدّ للكافرين لا يتخطاهم وإن كان متعلّقًا بقوله: واقع تكون اللام فيه بمعنى على أو على بابها أي بعذاب نازل عليهم أو لأجلهم. **قوله**: (**جمع معرج**) بفتح الميم (**وهو موضع العروج**) لا بكسرها لأنه آلة العروج وهو غير مناسب لهذا المقام. **قوله**: (**وبعد مداها**) أي غايتها. في المصباح المدى بفتحتين الغاية. اهـ. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت (**عليّ**) الكسائي والباقون بالتاء من فوق.

جبريل عليه السلام خصّه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه، أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا، أو أرواح المؤمنين عند الموت ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه ومهبط أمره ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلة تعرج ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك، أو «من» صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة، فإما أن يكون استطالة له لشدّته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك فقد (**قيل: فيه خمسون موطنًا لكل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر**).

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ متعلّق بـ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما (**يضجر**) رسول

قوله: (قيل: فيه خمسون موطنًا لكل موطن ألف سنة، وما قُدّر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر). عبارة الخطيب قيل: فيه خمسون موطنًا على الكافر كل موطن ألف سنة وما ورد ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. انتهت بحروفها. وأيضًا فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». اهـ. **وفي مرقاة المفاتيح** (يخفف) أي يوم القيامة (على المؤمن) أي الكامل أو المصلّي (حتى يكون) أي طوله عليه (كالصلاة المكتوبة) أي كمقدار أدائها أو قدر وقتها، والظاهر أنه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾. وبقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدّثر: الآيات ٨ - ١٠] فمفهومه أنه على المؤمنين يصير يسيرًا، إما في الكمية وإما الكيفية وإما فيهما جميعًا حتى بالنسبة إلى بعضهم يكون هو كساعة وهم مَن جعلوا الدنيا وكسبوا فيها طاعة. اهـ بحروفها.

قوله: (يضجر) في المغرب الضَّجَر قَلَقٌ من غمّ وضيق نفس مع كلام وقد ضجر من كذا وتضجَّر منه وأضْجَرَهُ غَيْرُهُ. اهـ.

الله ﷺ، فأمر بالصبر عليه ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ **(بلا جزع ولا شكوى)** ﴿إِنَّهُمۡ﴾ إن الكفار ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي العذاب أو يوم القيامة ﴿بَعِيدٗا﴾ مستحيلًا ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ كائنًا لا محالة، فالمراد بالبعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه. نصب ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ بـ ﴿قَرِيبٗا﴾ أي يمكن في ذلك اليوم أو هو بدل عن ﴿فِي يَوۡمٖ﴾ فيمن علقه بـ ﴿وَاقِعٖ﴾ ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ **(كدردي الزيت)** أو كالفضة المذابة في تلونها.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠﴾

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا **(لأن** ﴿ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾**)**، فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠﴾ لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه. **(وعن البزي والبرجمي: بضم الياء)** أي ولا يسأل قريب عن قريب أي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه.

قوله: (بلا جزع) في مختار الصحاح الجَزَعُ ضد الصبر وبابه طرب.اهـ. **قوله: (ولا شكوى) في مختار الصحاح** شَكَاه من باب عدا وشِكايةً بالكسر وشَكِيَةً وشَكَاةً بالفتح أي أخبر عنه بسوء فعله به فهو مشكو ومشكي والاسم الشَّكوى.اهـ. **وعبارة الصحاح** شكوت فلانًا أشكوه شكوى وشكاية وشكية وشكاة إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك فهو مشكوّ ومشكيّ والاسم الشكوى.اهـ. **قوله: (كدرديّ الزيت)** الدرديّ بضم الدال وتشديد الياء ما يتجمد في قعره.اهـ شهاب. وفي لسان العرب دَرْدِيّ الزيت وغيره ما يبقى في أسفله انتهى. وأيضًا فيه وأصله ما يَرْكُد في أسفل كل مائع كالأشرِبة والأدهان.اهـ.

قوله: (لأن ﴿ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾**)** جمع جدّة بالضم طريق أي خط في الجبل وغيره (﴿بِيضٞ وَحُمۡرٞ﴾) وصفر وخضر (﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾) بالشدّة والضعف (﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾) عطف على جدد أي صخور شديدة السَّواد. **(وعن البَزّي)** هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذن المكيّ مولى لبني مخزوم ويكنّى أبا الحسن ويُعرف بالبزي. روى القراءة عن ابن كثير بإسناد وتوفي بمكة بعد سنة أربعين ومائتين **(والبُرْجمي)** أي عبد الحميد بن أبي صالح البُرجمي، يروي عن أبي بكر بن عياش وهو يروى عن عاصم **(بضم الياء)** مبنيًا

﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ﴾ صفة أي حميمًا مبصرين معرفين إياهم، أو مستأنف كأنه لما قال ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ قيل: لعله لا يبصره. فقيل: يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم. والواو ضمير الحميم الأول و«هم» ضمير الحميم الثاني أي يبصر الأحماء **(الأحِمّاء)** فلا يخفون عليهم. وإنما جمع الضميران وهما للحميمين لأن فعيلًا يقع موقع الجمع ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى المشرك وهو مستأنف، أو حال من الضمير المرفوع، أو المنصوب من ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ﴾ ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ **(وبالفتح: مدني وعليّ على البناء للإضافة إلى غير متمكن)** ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾ **(وعشيرته)** الأدنين ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه **(انتماء)** إليها. **(وبغير همز: يزيد)**.

للمفعول ونائبه حميم و﴿حَمِيمًا﴾ نصب بنزع الخافض عن والباقون بفتح الياء مبنيًّا للفاعل.

قوله: **(الأحِمّاء)** جمع حميم كشديد وأشداء. **قوله**: **(وبالفتح)** أي بفتح الميم **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وعليّ)** الكسائيّ **(على البناء للإضافة إلى غير متمكن)** المبنى وحاصله أنه اكتسب البناء من المضاف إليهْ وهو كلمة إذ وتنوينه عوض عن المضاف إليه والباقون بكسرها إجراء لليوم مجرى الأسماء فأعرب وإن أضيف إلى إذ لجواز انفصاله عنها. **قوله**: **(وعشيرته)** وهي القبيلة وهم بنو أب واحد، والفصيلة في الأصل القطعة المفصولة ويُطلق على الآباء الأقربين وعلى الأم لأن الولد يكون مفصولًا من الأبوين فلما كان الولد مفصولًا منهما كانا مفصولين منه أيضًا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الأقربون لتقدم قوله: ﴿بِبَنِيهِ﴾. **قوله**: **(انتماء)** أي نسبة. **قوله**: **(وبغير همز: يزيد)** أي أبدل أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة همزة ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ واوًا ساكنة فجمع بين الواوين الأصلية والمبدلة بلا إدغام والباقون بالإظهار. ويوقف عليه لحمزة بالإبدال بلا إدغام وبالإدغام وهما في الشاطبية وغيرها.

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الناس ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الافتداء عطف على ﴿يَفْتَدِى﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إن النار، ودلّ ذكر العذاب عليها، أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة ﴿لَظَىٰ﴾ علم للنار (﴿نَزَّاعَةً﴾ **حفص والمفضل على الحال المؤكدة، أو على الاختصاص**) للتهويل. وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لـ «إن» أو على «هي نزاعة» ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت ﴿تَدْعُواْ﴾ بأسمائهم يا كافر يا منافق إليّ إليّ، أو تهلك من قولهم دعاك الله أي أهلكك، أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ من الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ فجعله في وعاء ولم يؤد حقّ الله منه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أريد به الجنس ليصحّ استثناء المصلّين منه ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ عن ابن عباس ﵄: تفسيره ما بعده ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر (**ثعلبًا**) عن الهلع فقال: قد فسّره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله

قوله: (﴿نَزَّاعَةً﴾ **حفص**) بن سليمان (**والمفضل**) بن محمد (**على الحال المؤكّدة**) أي من ﴿لَظَىٰ﴾ لأن لظى بمعنى جهنم لا تكون إلا نزاعة فلا معنى للحال إلا على وجه التأكيد كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٦] (**أو على الاختصاص**) أي منصوب بأعني أو أخصّ. قوله: (**لأطراف**) أي الأعضاء.

قوله: (**ثعلبًا**) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار كان إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش

خير بخل به ومنعه الناس، وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه. والشر: الضرّ والفقر. والخير: السعة والغنى أو المرض والصحة.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي صلواتهم الخمس ﴿دَآئِمُونَ﴾ أي يحافظون عليها في مواقيتها. وعن ابن مسعود ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ يعني الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفّف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون. واعترض بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ بالهمز: سوى أبي عمرو أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحًا بين الخوف والرجاء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ نسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي إمائهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ على ترك الحفظ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ طلب منكحًا ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي غير الزوجات والمملوكات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المتجاوزون عن الحلال

الأصغر وأبو بكر بن الأنباريّ وأبو عمر الزاهد وغيرهم وكان ثقة حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم مقدمًا عند الشيوخ منذ هو حدث وكان ابن الأعرابي إذا شكّ في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه، توفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى، وقيل: لعشرٍ خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى.

والحرام. **(وهذه الآية تدلّ على حرمة المتعة)** ووطء **(الذكران والبهائم والاستمناء بالكفّ)**.

قوله: (وهذه الآية تدلّ على حرمة المتعة) معناها المشهور أن يوجد عقدًا على امرأة لا يُراد به مقاصد عقدة النكاح من القرار للولد وتربيته بل إلى مدة معينة ينتهي العقد بانتهائها أو غير معينة بمعنى بقاء العقد ما دام معها إلى أن ينصرف عنها فلا عقد فيدخل فيه بمادّة[1] المتعة والنكاح المؤقت أيضًا فيكون من إفراد المتعة وإن عقد بلفظ التزويج وأحضر الشهود وتحريم المتعة كان في حجة الوداع وكان تحريم تأبيد لا خلاف فيه بين الأئمة وعلماء الأمصار إلا طائفة من الشيعة ونسبة الجواز إلى مالك رضي الله تعالى عنه كما وقع في الهداية غلطٌ.

قوله: (الذكران) في المصباح الذكر خلاف الأنثى والجمع ذكور وذكورة وذكارة وذكران. اهـ.

قوله: (والبهائم) في المصباح البهيمة كل ذات أربع من دواب البحر والبر وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة والجمع البهائم. اهـ. **قوله: (والاستمناء بالكفّ)** في الدرّ المختار في كتاب الصوم ولو خاف الزنى يرجى أن لا وبال عليه انتهى.

وفي الطحطاوي قوله: ولو خاف الزنى مثله اللواط ولم يجد مَن يحل له وطئه. اهـ. **وفي ردّ المحتار** قوله: ولو خاف الزنى... الخ الظاهر أنه غير قيد بل لو تعيّن الخلاص من الزنى به وجب لأنه أخف، وعبارة الفتح فإن غلبته الشهوة ففعل إرادة تسكينها به فالرجاء أن لا يعاقب. اهـ. زاد في معراج الدراية وعن أحمد والشافعي في القديم الترخص فيه وفي الجديد يحرم. اهـ. وفي السراج إن أراد بذلك تسكين الشهوة المفرطة الشاغلة للقلب وكان عزبًا لا زوجة له ولا أمة أو كان إلّا أنه لا يقدر على الوصول إليها لعذر. قال أبو الليث: أرجو أن لا وبال عليه وأما إذا فعله لاستجلاب الشهوة فهو آثم. اهـ.

---

(١) أي م ت ع ١٢ منه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَنَٰتِهِمْ﴾ (**﴿لأمانتهم﴾ مكيّ**)، وهي تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون غير خائنين ولا ناقضين. وقيل: الأمانات ما تدلّ عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ (**﴿بشهادتهم﴾ سهل**). وبالألف: (**حفص ويعقوب**). ﴿قَآئِمُونَ﴾ يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف إظهارًا للصلابة في الدين ورغبة في إحياء حقوق المسلمين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كرّر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم، أو لأن إحداهما للفرائض والأخرى للنوافل. وقيل: الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها، أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أصحاب هذه الصفات ﴿فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ هما خبران.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَمَالِ﴾ كتب مفصولًا اتباعًا لمصحف عثمان ﷺ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ نحوك معمول ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ عن يمين النبيّ ﷺ وعن شماله ﴿عِزِينَ﴾ حال أي فرقًا شتّى (**جمع عزة وأصلها عزوة**) كأن

قوله: («**لأمانتهم**») بغير ألف بعد النون على التوحيد (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ، والباقون بالألف على الجمع. **قوله**: («**بشهادتهم**» **حفص**) بالألف بعد الدال على الجمع اعتبارًا بتعدد الأنواع (**وسهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة والباقون بغير الألف على التوحيد إذ المراد الجنس.

قوله: (**جمع عزة**) وهي الفرقة من الناس. **قوله**: (**وأصلها عزوة**) فلامها واو من عزوته بمعنى نسبة وأصل العزو الضم لأن المنسوب مضموم للمنسوب إليه نبّه به على أن القول بأن لامها ياء أو هاء ضعيف فحذف الواو للتخفيف فصار عزة له بتخفيف الزاء.

كل فرقة (تعتزي) إلى غير مَن تعتزىٰ إليه الأخرى فهم مفترقون. كان المشركون يحتفّون حول النبيّ ﷺ (حلقًا) حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء: سوى (المفضل) ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كالمؤمنين.

﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنّة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي من النطفة (المذرة) لذلك أبهم إشعارًا بأنه (منصب) يستحيا من ذكره، فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم، ويقولون لندخلن الجنّة قبلهم؟ أو معناه: إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنّة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها مَن لا إيمان له.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مطالع الشمس ﴿وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ ومغاربها ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فدع المكذبين ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضمّ الراء: سوى الأعشىٰ ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع حال أي إلى الداعي

قوله: (تعتزي) أي تنسب. **قوله**: (حلقًا) قيل: إنه بفتح الحاء وكسرها، وقيل: فتحها في الدرع وكسرها في الناس. **قوله**: (المفضل) بن محمد يروي عن عاصم.

قوله: (المَذِرة) أي القَذِرة. **قوله**: (مَنْصِب) أي أصل.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال (﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ شامي وحفص وسهل ﴿نُصْب﴾ المفضل. ﴿نَصْب﴾) غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني لا يرفعونها لذلتهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى (كَانُوا۟ يُوعَدُونَ)﴾ في الدنيا وهم يكذبون به.

قوله: (﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾) بضمتين (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وحفص وسهل) بن محمد وليس من السبعة (﴿نُصْب﴾) بالضم فالسكون (المفضّل) بن محمد (﴿نَصْب﴾) بالفتح فالسكون غيرهم. **عبارة تفسير النيسابوري** رحمه الله ﴿نُصُبٍ﴾ بضمتين ابن عامر وسهل وحفص ﴿نُصْبٍ﴾ بالضم فالسكون المفضّل الباقون بالفتح فالسكون. انتهت بحروفها. **قوله**: (﴿كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾) أي يوعدونه فحذف العائد من الصلة إلى الموصول.

تمّت سورة المعارج والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين